الجمهوريّة الجزائريَّة الدِّيمقراطيَّة الشَّعبيَّة

المجلس الأعلى للغة العربية

رئاسة الجمهوريّة

مناسبة وكلمة

أ.د. صالح بلعيد

الجزء السّادس

منشورات المجلس 2022

أ.د. صالح بلعيد

مناسبة وكلمة

الجزء السادس

52، شارع فرانكلين روزفلت
ص.ب 575، ديدوش مراد،
الجزائر
الهاتف: 85 79 72 48 23 213+
النّاسوخ: 62 72 48 23 213+
الموقع الإلكتروني: www.hcla.dz

الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

المجلس الأعلى للغة العربية

رئاسة الجمهوريّة

مناسبة وكلمة

أ.د. صالح بلعيد

الجزء السّادس

(1)

منشورات المجلس 2022

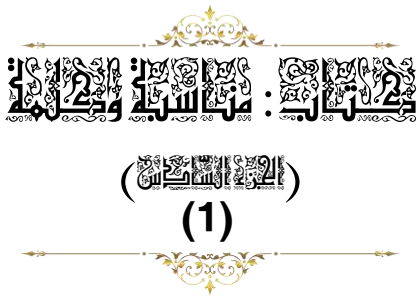

- إعداد : المجلس الأعلى للّغة العربيّة
- قياس الصّفحة: 24/16
- عدد الصّفحات: 338
- الإيداع القانوني: السّداسي الثّاني 2022
- ردمك: 978-9931298 07-6

52، شارع فرانكلين روزفلت

ص.ب 575، ديدوش مراد، الجزائر

الهاتف: 85 79 72 48 23 213+

النّاسوخ: 62 72 48 23 213+

الموقع الإلكتروني: www.hcla.dz

وقل
رب زدني علما

فهرس الموضوعات

الرّقم	العنوان	الصّفحة
01	لنا السّبق الحضاريّ بلغتنا	09
02	عبقريّة العربيّة في توظيف النّظم خدمة للعلوم	17
03	اللّغة العربيّة، الهويّة وأشياء ذات العلاقة	29
04	العربيّة في الإدارة - نماذج من منجزات المجلس -	61
05	اللّغة العربيّة والقيم؛ تكامل لا تصارع	71
06	الشّباب الجزائريّ واللّغة العربيّة	79
07	تعلّم اللّغة العربيّة في عصر التّواصل الرّقميّ	91
08	حماية اللّغة العربيّة - من السّياسات اللغويّة إلى الأمن اللغويّ-	103
09	اللّغة العربيّة والعلوم - تآلف معرفيّ عابر للتّخصّصات -	113
10	العربيّة بين التّجاذبات والمضايقات	121
11	اللّغة العربيّة وإجرائيّة الحوسبة الرّقميّة في الجزائر	129
12	المخطوطات الجزائريّة؛ الواقع والآفاق	141
13	العربيّة في الجزائر من مرحلة التّعريب إلى مرحلة التّمكين	153
14	تومبكتو جوهرة الصّحراء	163
15	في الاعتزاز اللّغويّ	175
16	اللّغة العربيّة من الواقع إلى المواقع	181
17	التّرجمة واللسانيّات - قضايا نظريّة وتحدّيات مستقبليّة -	189
18	أيّام الدّوسن الأدبيّة العربيّة للإبداع الشّعريّ	197
19	المجامع اللغويّة والعلميّة والمؤسّسات الثّقافيّة ودورها في تعزيز اللسان العربيّ	205
20	كلمة في هذا الملتقى	233
21	استخدام العربيّة في المؤسّسات العموميّة والتّعاملات الإداريّة	241
22	تعليميّة اللّغة العربيّة للنّاطقين بغيرها عند أهلها	255
23	كلمة الطّلبة الأحرار	265

24 كيف تنتج الأفكار؟ 271
25 في مملكة الشّعراء 281
26 كلمات في أيّام عنّابة الثّقافيّة 287
27 دور النّخب الجامعيّة في تعزيز التّنميّة المستديمة 297
28 في اليوم العالميّ لمحو الأميّة وحديث عن تضييق الفجوة الرّقميّة 309
29 من أجل أن نكون، وإلاّ لا نكون 321
30 استراتيجيّة المجلس الأعلى للّغة العربيّة 329

مُناسَبَةٌ وكَلِمَةٌ

لنا السّبق الحضاري بلغتنا*

السّلام عليكم جميعًا، صاحبة الفضل معالي وزيرة الثّقافة والفنّون، وفاء شعلال المحترمة، لقد شرّفت المجلسَ بمشاركتك الجميلة في هذا اليوم المنير، يومُ عرسِ العربيّة الكبير، فمرحبًا بك في مقرّ المجلس الأعلى للّغة العربيّة.

أصحابُ السّعادة والمقامات، أصحاب الهامات السّامقات في الدّولة الجزائريّة من نواب الشّعب ومسؤولين وإطارات، حضرات الضّباط من مختلف الأسلاك، أصحابَ القلم والرّيشة ورجال العلم والبحثة، أهلُ الذّوق والإبداع، مديرو المؤسّسات التي تعضد مشاريعَنا: موبيليس+ بنك البركة+ أوريدو+ تجمّع البنوك+ بيو گالينيك+ رامي+ مطبعة بهاء الدّين+ كليك كوم... أصدقاءُ المجلس بحفظ الأسماء والألقاب والرّتب، شركاؤنا في الإعلام، في كلّ القنوات والفضائيّات، كلُّ المحبّين للّغة العربيّة، والمنافحين والشّعراء والغاوين، كلّ الحضور واحدًا واحدًا.

تحايا المجلس الأعلى للّغة العربيّة لكلّ المتابعين لهذا العرس البهيج الذي ينقل عبر وسائل التّواصل الاجتماعيّ، تحايانا لكلّ المُحتفين في العالَم بمَلِكة اللغات، ويضعُون على رأسها تاجًا موشّحًا باسم (لغة الحضارة الإنسانيّة) هي بالفعل أكبر اللغات وأعمقها أدبًا وعلمًا وتاريخًا، وأكثرها عطاءً، وهي واسطة عقد السّلم والمثاقفة. ويمتدّ السّلام إلى كلّ الذين يريدون نجاح هذا اللقاء، ولكلّ من حضّر وحضر وسوف يحاضر، ويحفظ لكم المجلسُ كرمَ هذا الحضور المكثّف لمقام العربيّة؛ اللغةُ الجامعةُ المانعة المشتركة التي هي ماضينا وحاضرُنا ومستقبلُنا.

---

* - كلمة رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة التي أُلقيت بتاريخ 18 ديسمبر 2021م، في رحاب المجلس الأعلى للّغة العربيّة؛ بمناسبة اليوم العالميّ للّغة العربيّة بشعار اليونسكو (اللغة العربيّة والتّواصل الحضاريّ).

أيّها الجمع الكريم، أنتم اليوم في العرس العالميّ، وفي رحاب المجلس الأعلى مدعوّون لشهود هذا الاحتفاء الدّولي الكبير الذي يُقام عبر العالم، وفي كلّ الدّول وعبر مختلف الجامعات العالميّة، وفي مراكز البحوث، وفي كلّ المؤسّسات والمنظّمات العالميّة، وعبر اليونسكو والألكسو والإيسيسكو، وفي مختلف الجمعيّات الثّقافيّة الإقليميّة والمجامع اللغويّة العربيّة والعالميّة، وعبر جميع الدّول الإسلاميّة. هو عرس عظيم، في اليوم الكبير الذي يُحتفى فيه بتكريم اللغةِ الماجدةِ، ونحتفي - نحن في الجزائر- بلغة ذات الدّلالات الأربع: لغة الدّين والدّنيا والدّستور والدّولة.

وتتشرّفون اليوم وأنتم حضورٌ وجاهةً وبُعْدًا في حضرة ملكةِ اللغات، اللغة العربيّة أمّ اللغات الشّرقيّة التي ما تلاشتْ ولا انقرضتْ، وما كان ماضيها لا يقرأ في حاضرها، بل هو امتداد في الزّمان والمكان؛ امتداد لا يوجد في أيّة لغة من لغات العالم، وهي أمّ اللغات لما لها من وجود يَنيف عن سبعة عشر قرنًا، وعبر نشوئها ارتقت لمّا خرجت من السّاميات ولغات النّظائر، فنالت صفّةَ الفَرادة بما لها من خصائص لا توجد في أخواتها السّاميات. وحصل لها وحيٌّ ختامي، كان له وقع في تطويرها، وذلك الذي دفع بها إلى عولمة عالميّة أضحت لغةَ العالَم، وفي ظرف زمنيٍ قليل أصبحت لغةَ المصدرِ لكلّ اللغات.

أيّها الحضور، أراكم من المكرّمين؛ وأنتم تشهدون ما يولَى للعربيّة من مقام تناله من دولتنا والجزائر الجديدة، ولأوّل مرّة يحصل الانتقال من يوم اللغة العربيّة إلى الشّهر الكامل، شهرٌ أعددنا له مرافقاتٍ طوالع، بما بصَمنا به عبر الجامعات من طلائع، ومع الجمعيات الطّوالع، وكان إضفاء السّيد الرّئيس (عبد المجيد تبّون) الرّعاية السّاميّة من الرّوائع. وشكرًا لكم سيّدي الرّئيس على كلّ ما تُولُونه للهُويّة الوطنيّة من مجد به نُفاخر، وبتاريخنا المنير به نُجاهر، فأنْعِمْ بكم سيّدي الرّئيس!

عَلى قَدرِ أَهلِ العَزمِ تَأتي العَزائِمُ ❁ وَتَأتي عَلى قَدرِ الكِرامِ المَكارِمُ

إنّها العربيّة لغةٌ لها ما لها من خصائص لا توجد مجتمعة إلاّ فيها، لغة مُمثّلة في 12335912 كلمة، و 16800 جذر، ولغة أمّ+ لغة المنشأ لأزيد من 500 مليون عربيّ+ ولغة الأمّة+ ولغة مليار وثمانمئة من المسلمين+ لغة رسميّة لاثنين وستين (62) بلدًا في العالم، لغة أمميّة بامتياز، لغة ثانيّة في الشّابكة، لغة الجامعات عبر العالم، لغة القطب الشّرقيّ، لغة التّجارة الدّوليّة، لغة الماضي والحاضر والمستقبل، لغة كُتبت بها كلّ الدّيانات، لغة الحضارة الإنسانيّة، لغة الثّراء اللغويّ والرّصيد المعرفيّ الذي لا يوجد في أيّة لغة، لغة العولمة في طريقيْ: الحرير والمِلح، اللغة الوسيطة بين الضّفتين: الشّرقيّة والغربيّة، وعبْرها تمّ انتقال العلوم العربيّة التي كانت جسراً لثورة البُخار في أوروبا ...

أيّها الحضور، أيّها المتابعون، لا يمكن أن نتحدّثَ عن مقام العربيّة أمام اللغات، فتخونني الكلمات، ولا أجد ما يُشْكِلُها ويُشاكلها من عبارات، بقدر ما أريد العروج على أقوال النّزيهين من الغربيّين الذين يُقرّون ويُشيدون بأنّ علم الطّيران كان أساسُه محاولة تقليد الطّيور التي بدأها عبّاس بن فرناس، وأنّ جابر بن حيّان والخوارزمي كانا من أهل السّبق في خوارزميّات هذا العصر، وأنّ خرائط الجغرافيّ الإدريسي مهّدت للسّير في لجّ البحار والمحيطات وعالم الطّوبونيمات، وزادتها البوصلةُ في تعيين الجهات، وتقريب المسافات، بلهَ الحديثَ عن بصَريات(ابنِ الهيثم) التي انطلق منها علمُ الطّب عند الغربيّين.

وكان العربُ سبّاقين إلى قواعد الإبداع الطّبي التي اتّخذها الغربُ قاعدةَ تطوير العلوم الطّبية، وكان الطّب يُدرّس بالعربيّة في السّوربون لغاية 1624م، وما تبعها من العلوم التّطبيقيّة، فأَنْعِمْ به من سبقٍ! وهل يعود الزّمانُ ويجود، ولا شكّ سيعود بالعمل المعقود، سيعود بالتّفاني والتّماهي في خدمة لغتنا المشتركة، وكما كان ماضينا بالعربيّة مُغدَقًا ومُغدِقًا سيكون حاضرُنا مُشرِقًا، وبخاصّة أنّ النّياتِ صادقةٌ، والعزائمَ واثقةٌ. وتبقى العربيّةُ مجدَنا وتاريخَنا وانسجامَنا الجمعي، وحاضرَنا النّفعي، وعلينا شدّ الهمّة لتحقيق الأمل بالمَهمّة .

أيّها المُحبّون العاشقون لأمّ اللغات، شكرًا على تفاعلكم وحضورِكم معنا محاضرون وحضور ومن رحاب المجلس الأعلى للّغة العربيّة نحتفي بعرس العربيّة من خلال مقامكم، ونقول لكم إنّ الإقرار بهذا الاحتفاء إقرار أمميّ واضح منوط بالاعتراف بدور اللغة العربيّة في مدّ جسور التّواصل بين البشر على صهوة الثّقافة والأدب العربي، وإبراز الدّور التّاريخيّ الذي اضطلعت وتضطلع به العربيّةُ كأداةٍ لاستحداث المعارفِ وتناقُلِها؛ فضلًا عن كونها وسيلةً للارتقاء بالحوار وإرساءَ أسس السّلام، وكان هذا شعار اليونسكو (اللغة العربيّة والتّواصل الحضاري).

وهكذا يأتي الاعتراف باللغة العربيّة من Jack Lang المدير العامّ لـ(معهد العالم العربي/IMA) في كتابه (La Langue Arabes Trésor De France)، ومن نظيره الباحث Jean Provost في كتابه (Nos Ancêtres Les Arabes Ce que notre langue leur doit)، وغيرهما من النّزيهين الذي يُقِرّون بما قدّمته العربيّةُ للحضارة الغربيّةِ في مختلف المجالات العلميّة لدرجة أنّ Pierre Gory يقول "... كانت جريمةً حضاريّةً يوم أحرقَ الغربُ كُتبَ المسلمين ولو لم يحصل ذلك لكنّا الآن نتحاور من المجرّات". هي اعترافات واقعيّة حصل إثرَها القهرُ اللغويّ، واستُبعدت العربيّةُ في بلادها من العلوم، ووقع التّماهي في اللغات الأجنبيّة على اعتبار أنّها الأقوى والأفضل، وحصلت الازدواجيّة المتوحّشة التي أُعطيت للّغات الأجنبيّة صورةُ لغةِ الهُويّة دون وثائق ونصوص ومرجعيات.

وها هو الوعيُ اللغويّ يعود للمثاقفة اللغويّة؛ معتمدًا القوّةَ النّاعمةَ، ونرى العربيّةَ تنهض من جديد، لأنّها لغةٌ تملك جينات العيش والتّطوّر مهما حصل فيها من نكْسات وتعطيلات، وتبقى حيّةً لما لها من مُقوّمات البقاء بين الأجنبيات. هي اللغة العملاق التي لا يُبيدها الزّمان مهما عرفتْ من تراجعٍ أُريدَ لها، وتبقى تُصارع وتقول: تقرّبوا منّي ومن القول الجميل، وشنّفوا بِكَلِمي المَسامعَ ليعَذْب الشّعرُ، وتَجْمُلَ العباراتُ، واستعملوني في كلّ المجالات، فأنا جديرة بكلّ المقامات، فلا تكلوني لهذا الزّمن قاهر الأثيلات، ولا تُردّدوا قول من يقول "للكعبة ربٌّ يحميها" فأنتم مُطوّري، وعليكم العِوَل، وأنا طيّعةٌ لا أمَلّ.

وأنا هنا أردّد قول الشّاعرة (أحلام مستغانمي) "... سأظلّ أنحازُ للعربيّة؛ لأنّها لغةُ قلبي وعقيدتي؛ ولأنّها مجدُنا القوميُّ المشتركُ، ولأنّني لا أعرف كيف أقول كلمةَ (أحبّكَ) إلاّ بالعربيّة، ولا أطرَبُ إلاّ لها، ولا يُصيبني سهمُ الكلمات إلاّ إذا كان من رُمحها، ولا أبلغُ حالاتِ التّجلي إلاّ في حضرتها". نعم أيّتها الشّاعرة، تلكم كلماتٌ عميقاتٌ في حضرة جلالة الملكة (اللغة العربيّة) وأنا أقول: لغتي العربيّة لو وضعتُها في عيوني إلى يوم القيامة ما كفاني، فأجمِلْ بها من لغتٍ!

هو اليوم الكبير هذا اليوم إخواني، أرى العربيّةَ تكبر بوجودِكم وحضورِكم وتتبرّكون اليوم في رحاب المحاضرات وجاهةً وبُعدًا من كبار علماء الأمّة وتستمعون لعذب الشّعر من شعراء يُشنّفون آذاننا بِكَلِم العربيّة في ذاتها ومن ذاتها وما تسمعونه من روع الكلام على أفواه البراءة التّلاميذ؛ وهُم أملُ التّطوير اللغويّ، فإذا قال شهداؤنا "ارْموا بالثّورة إلى الشّارع يحتضنها"، أقول: ارْموا بالعربيّة إلى الشّباب يُطوّروها. هؤلاء الشّباب هم من المُطوّرين، نِعْمَ البراءةُ والشّبابُ أنتم! يا نَشءُ أنتم رجاؤنا فيكم، أجْمِلْ بالمحاضرين الشّباب أنتم! نِعْمَ الحضورُ أنتم! نِعْمَ النّاقلون لصوتنا أنتم أيّها الإعلاميون! هي كلماتٌ خالداتٌ في ذهننا، ويحصل فيها الزّحام، ولا أجد لها المُقام والمقام، وهي تنثال دائمًا للأمام، لشهود الاحتفاء بالمجد اللغويّ لكلّ الأنام.

فشكرًا لكلّ الفاعلين والمُخلصين والعُلماء والمُنافحين والشُّعراء والمُحاضرين والإعلاميّين، وكلّ الذين يعملون على نشر العربيّة، وأخصّ المنشّطَيْن= ريتاج ورامي في هذا الإبداع الأدبي، وزملائي في المجلس الأعلى. ونرجو من الجميع أن يعضدونا بأفكارهم وبتشجيعاتهم، وبما يرونه يعمل على خدمة الشّأن العامّ، واللغة العربيّة من الشّأن العامّ. كلّ التّحايا لكم جميعًا، ونرجو لكم مُتعةَ السّماع للقول المتين، بالكلام الرّصين. والسّلام عليكم أجمعين.

مُنَاسَبَةٌ وَكَلِمَةٌ

عَبقريّة العربيّة في توظيف النّظم خِدمةً للعلوم*

الدّيباجة: شكرا لكم السّادة رؤساء هذه الجلسة المجمعيّة؛

سعادةَ الأستاذ الدّكتور محمّد حسين آل ياسين، رئيسَ المجمع العلميّ العراقيّ الموقّر؛ السّادةَ الأساتيذَ الأفاضل، أعضاء المجمع العلميّ العراقيّ الموقّر؛ حضراتِ المشاركين الأجلّاء، كُلٌّ باسمه وجميلِ وَسمه، مع حِفظ الألقاب والرّتَب؛ المتابعين لجلَسَاتنا العلميّة هذه؛ السّلام عليكم جميعًا ورحمة الله وبركاته؛

آثِر ذي أثير؛ يُشرّفني أن أتقدّم إلى المجمع العلميّ العراقيّ الموقّر رئيسًا وأعضاءً، وإلى اللّجنة العلميّة، بجزيل الشّكر، وجميلِ العِرفان، باسمي وباسم العاملين معي في المجلس الأعلى للغة العربيّة؛ على تنظيم النّسخة الثّانيّة من المؤتمر العلميّ الدّوَليّ الافتراضيّ، وإتاحة هذه السّانحة، لنتهادى محاسن لغة القرآن الكريم التي شُرّفْنا بأن نكون من أهلها، ونَفخَر بالانتساب إليها.

وَيَجمعُنــا - إذَا اختَلَفَــت بِــلادٌ - ❁ بَيــــانٌ غَيــــرُ مُختَلِــــفٍ ونُطــــقُ

لقد أعددت لَمحفَلكُمُ المَهيب هذا، ورقةً بحثيّة وثيقةً الصّلةِ بشعار مُلتقانا (العربيّة، هُويّتنا، رسالتنا الإنسانيّة)، الغرض منها التّنويه ببعض فضائل وأفضال العربيّة على أهلها، وعلى الإنسانيّة جمعاء، مُذ سطعت بها أنوار الرّسالة في حِراء، لتُعلِن "اقرأ" بلسان أُمّةٍ الجمُّ الغفير من أهلها أمّيٌّ لا يَحسُب ولا يقرأ ولا يكتُب، وهم في غيرهم من الأمم المتحضّرة يومَها كالخردلة تقع بين طَبقَي الرّحى، فلا الطّحنُ يَنالُها، ولا سَلامتُها يُعتدُّ بها. لقد كانت الكلمات العربيّة الأولى التي نطق بها

---

*- كلمة رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة في المؤتمر العلميّ الدّوليّ الافتراضيّ الثّانيّ الذي نظّمه المجمع العلميّ العراقيّ، بمناسبة احتفائيّة "اليوم العالميّ للّغة العربيّة"، بتاريخ 24-25 ديسمبر 2021.

مَلَك السّماء مُشعِرةً بأنَّ عهدا جديدا لهذا اللسان قد بدأ، وأنَّ فجرًا لهذه الأمَّة قد أشرق، وأنّ البشريّة ستُفتحُ دونَها مَغاليق عُلوم لا حَصرَ لها، عُدّتها فيها القراءة، وقيد ذاك الصّيد المعرفيّ فيها الكتابة.

وقد صدَّقت الأيّام ذلك كُلَّه ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: 53]؛ فمنذ تلك اللحظة وإلى يوم النّاس هذا؛ لم يَزلْ مَعين هذا اللسان ثَرًّا، ويده سَخاء لم تَغِض أصواتَه إنشادات الشّعراء ولا قراءات التّالين ولم يُنضِب حروفه مِدادُ الكَتَبة ولا أوراق المتعلّمين، فبكتابه ربّ العباد يُفرَد ويوحّد، وبألفاظه يُسجد له ويُتعبّد، وبأصواته يُرتّل القرآن ويُجوّد، وبحججه يُنسَف الباطل ويُفنّد. وها هي ذي البشريّة عن بَكرة أبيها إشادةً بفضله له تتجنَّد، ووفاءً ببعض حقّه، رافعةً شِعار (اللغة العربيّة والتّواصل الحضاري).

أيّها الحفل الكريم؛ لقد ارتأيت أن نتدارس وإيّاكم موضوعا أراه من الأهميّة بمكان، قَمِنًا بالكشف عن بعضٍ من جوانب العبقريّة التي توشّحت بها لغتنا الكريمة؛ إنه ذاك التّراث الزّاخر الذي يَعُدُّ المِئين من المنظومات العلميّة التي دبّجتها أقلام الجِلّة من عُلمائنا على امتداد قرون من الزّمان في مختلَف الفنون، وقد اخترت مجالات علميّة طريفة تَشي باقتدار علمائنا على تضمين منظومهم دقيق المصطلحات العلميّة، وإخلاصهم في نفع الإنسانيّة بلا استثناء؛ ويتعلّق الأمر بمجال الفيزياء النّوويّة، والفلاحة، والتّغذيّة، والطّبخ، والفراسة.

-المنظومات العلميّة:

1. الفيزياء النّوويّة: من روائع مكرُمات العربيّة التي أهدتها إلى البشريّة في هذا العلم ما جادت به قريحة أحد أبنائها، وخطّه بحروفها شاعر الحكماء وحكيم الشّعراء أبو الحسن علي بن موسى الأنصاريّ الجِيّاني، المعروف بـ(ابن أرفع رأسه)، الإمام الكبير والأديب البليغ، المقرئ، من علماء القرن السّادس الهجريّ (515-593هـ = 1121-1197م) في ديوان شعري بعُنوان: "ديوان الشّذور وتحقيق الأمور"، يضم ألفا وأربعمائة وتسعين (1490) بيتًا، في إحدى وأربعين (41) قصيدةً شعريّة

مُرتّبًا رَوِيّها على حروف المعجم. وقد خمّس هذا الدّيوان محمّد بن موسى القُدُسيّ، وشرحه الجِلدكي -خاتمة الكيميائيّين المسلمين الكبارفي كتاب كبير سمّاه "غايّة السّرور فى شرح ديوان الشّذور"، ضمّنه خبرته في الكيمياء وبراعته فى الوصف، وقد قسّمه المصنف إلى أربعة أقسام، كل قسم يضمُّ سبعة حروف من الدّيوان إلاّ الرّابع فيضم ثمانيّة حروف. وقد اختار الدّكتور عبد العزيز عبد الرّحمن سعد آل سعد نُتفًا من أجزائه الأربعة وحقّقها، ونشرته الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، عام (2018م).

تأتي أهميّة "ديوان الشّذور وتحقيق الأمور" من كونه لم يَنظِم أحدٌ في الكيمياء مثل نظمه، يقول ابن شاكر الكُتبي: "ولو لم يكن للأندلسيّين غير كتاب "شذور الذّهب" لكفاهم دليلًا على البلاغة (..)، فلم ينظم أحٌد في الكيمياء مثل نظمه بلاغة معانٍ، وفصاحة ألفاظٍ، وعذوبة تراكيب، حتى قيل فيه: إن لم يعلّمك صناعة الذّهب علّمك الأدب. وفي عبارة بعضهم: إن فاتك ذهبه، لم يفتك أدبه". فابن أرفع لم يكن رأس أقدر الشّعراء الأندلسيّين على النّظم فحسب بل وفي أشعاره دليل على رسوخ قدم العرب في صنعة الكيمياء، واقتدارهم على تسخير النّظم خِدمةً للعلوم. فقد مزج ابن أرفع رأسه الكيمياء بالشّعر، والتّجريب بالخيال، والمعادن بالمجاز، وجمع بين صناعة الذّهب وتعليم الأدب، وقلَّما اجتمع هذان في شاعر أو كاتب. ومن جملة ما ورد في الدّيوان المشار إليه زائيّة نظمها ابن أرفع رأس، يقول فيها:

فشتَّانَ بين اثنينِ، هذا مُكَوكَبٌ ❁ يدورُ، وهذا مركزٌ للمراكزِ
وإنّهما عند الحكيمِ لَواحدٌ ❁ لأنّهما من واحدٍ مُتمايزِ
فهذا على هذا يدورُ، وهذه ❁ لها مركزٌ راسٍ بقُدرةِ راكزِ
وإنّهما عند الحكيمِ لَواحدٌ ❁ لأنّهما من واحدٍ مُتمايزِ
وبينهما ضدّانِ، عالٍ وسافلٌ ❁ بقاؤُهما فَردينِ ليس بجائزِ
وبينهما جسمٌ مُشِفٌّ كأنّه ❁ من اللُّطفِ فيما بينهم غيرُ حاجزِ
فأعجِبْ بها من أربعٍ حَالُ بعضها ❁ إلى بعضها عن نسبةٍ في الغرائزِ

فراسِـبُها السّـفليُّ كـوَّن جسمَـــه ❁ لنـا مـن غلـيظِ الصّـاعدِ المتمايـــزِ

هذه الأبيات يُمكن اعتبارها وكأنّها قيلت في وصف الذّرّة في الرّبع الأوّل من القرن الميلادي العشرين، أو لكأنّها ترجمة ناطقة للنظريّة الذّريّة الحديثة للفيزيائي الدّنماركي نيلز بور (Niels Henrik David Bohr) (18851962) وحصل إثرها على جائزة نوبل في الفيزياء عام 1913م، وهو أحد من ساعد في إنتاج القنبلة الذّريّة.

2. علم الفلاحة : كان قدوم العرب إلى شبه الجزيرة الأيْبيريّة دافعا لتطوير المجال الفلاحي وكل ما يتّصل بالنّبات والزّهور والبستنة، إضافة إلى اهتمامهم بعلوم الطّب التي تقوم أساسا على الخصائص العلاجيّة للنباتات، ومن ثم علم النّبات بشكل عام، ممّا أدى إلى دراسات خصوصيّات وحاجات كلّ نبتة من أجل أقلمتها في المناخ الجديد. وقد أُلّفت في هذا الشّأن مصنفات، ونُظّمت منظومات لعلَّ أهمَّها كتاب (إبداء الملاحة وإنهاء الرّجاحة في أصول صناعة الفلاحة)، ألّفه أبو عثمان سعد بن أحمد/ ابن لِيُون التّجِيبي (750-681هـ = 1282-1350م)، أحد علماء الأندلس، وأدبائها المقدّمين، له أكثر من مئة مصنّف، واختصر كثيرا من أمّات الكتب.

لم يكن ابن لِيون التّجَيبي مهندسا زراعيا فحسبُ، بل كان أيضا فيلسوفا وقاضيا وعالم رياضيات وشاعرا. وكما كان الحال بالنّسبة لمعظم علمائنا، تنقّل ابن ليون في بلاد المغرب العربيّ والمشرق لتوسيع مداركه. ومنظومته هذه ألّفها في النّصف الأوّل من القرن الرّابع عشر، وهي دالّة على المكانة المرموقة التي كانت تحتلّها الهندسة الزّراعيّة في العلوم الأندلسيّة، وهذه الأرجوزة خلافًا لغيرها، كقصيدة فرجيل الزّراعيّة مثلا، تضمُّ بعضا من الزّينة البلاغيّة، وقد استعمل الكاتب "الأسلوب النّثري والبحث عن موضوعيّة دائمة مع سهولة استعماله لبحر الرّجز" بحسب ما تقول جواكينا إجواراس. وقد استعان ابن ليون بمراجع عربيّة من المشرق والمغرب، معاصرة له أو سابقة عليه، إضافة إلى كتابات إغريقيّة، وفارسيّة ولاتينيّة.

يقول ابن ليون في البيت السّادس من مقدمة أرجوزته، شارحًا غرضه من تصنيفها :

والله قــد جعــل الفلاحـــــهْ ❁ أكثــر أرزاق الـــورى المُتاحَـــــهْ
وقـد نظمـت القـول فيهـا رجَـزا ❁ ألفـا وثلـث الألـف نظمـا مُوجَـزا

يُحدّد ابن ليون في كتابه فن الزّراعة ويشرح مجالاته التّطبيقيّه وتقنياته المعتمدة في أرض الأندلس، ويتناول الأراضين بمختلَف أنواعها، مُزوّدا أرجوزته هذه بشروحات ضافيّة ورسومات توضيحيّة راقيّة تشي بتمكُّن في هذا المجال، كما يدرس العناصر الأربعة الضّروريّة لهذا الفن؛ وهي: الأرض والماء، والزّبْل، والعمل. يقول:

وهـي الأراضـي والميـاه والزّبـول ❁ والعمـــل الـــذي بيانـــه يَطـــولُ

وثمة مقطع يتعلّق بتخطيط واختيار مواقع المنازل الرّيفيّة، وما يلزم فعله لترتيب البساتين والدّيار والمزارع؛ يقول فيه:

ومـا لـه بابـان فهـــو أستـــــر ❁ وراحـــة السّـــاكن فيهـــا أكثـــر
ثـم يلي الصّـهريج مـا لا يَسـقُط ❁ وَرْقُـــه مـــن كـــل مـــا يُنشِّـــط

3علم الطّبخ (Gastronomy): كان لعلماء المسلمين اهتمام كبير بتدبير الأطعمة وعاداتها وآدابها، وكانوا هم الوحيدين في العالم الذين صنَّفوا كتبًا للطّبخ في الفترة بين القرنين العاشر والثّالث عشر الميلادي، وكانت الأطباق المعروضة في الكتب تفوح بروائح قويّة عطرة، ليس فقط برائحة "الأعشاب والمكسَّرات والتّوابل"، مثلما كتب المؤرّخ الأمريكي تشارلز بيري، "بل وأحيانًا برائحة مكوّنات قد نعتبرها عطورًا، كماء الورد، والمسك أو العنبر وأحيانا حتى برائحة البخور".

ومن جملة ما أُلِّف في هذا المقام أرجوزة نادرة في الغذاء والطّبخ للعلاّمة أحمد بن حسين/ابن قُنفذ القسنطيني (810 -740هـ = 1340-1407م) وهو أحد أعلام الجزائر المشاهير، مؤرّخ، فقيه، فلكي، قاضي، مفتي، محدث مُكثر من التّصنيف.

وأرجوزته موسومةٌ بـ: "رسالة في الأغذيّة والأشربة"، وهذه الأرجوزة التي ألّفها لأحد سلاطين زمانه تعدّ من نوادر تأليفه، فهي علاوة على أنّها تمسّ جانبا من جوانب العلاج الغذائي تعطي صورة لطبيعة المزروعات والأغذيّة بل وفنون الطّبخ بالمغرب عامّة وقسنطينة وأحوازها خاصّة في القرن التّاسع الهجري (الرّابع عشر الميلادي)، ومن النّاحيّة العمليّة قَسّم الأغذيّة إلى أغذيّة نباتيّة وحيوانيّة، وتحدّث عن تركيب الأغذيّة طارحا فنونا من الأطعمة التي امتاز بها الطّبخ المغربيّ والأندلسيّ، كما قدّم صنوفا من الأطعمة التي كانت منتشرة في تلك الفترة.

تتألّف أرجوزة ابن قُنفُذ من 280 بيتا، مُقسّمةً على عشر (10) مقالات تناولت خصائص الحبوب، والبقول، والفواكه، واللحوم، وأعضاء الحيوان وتوابل الطّعام، والألبان، والمياه، وفي الأطعمة المركّبة من عناصر عِدّة، ليختمها بنصائح صحيّة وفوائد كلّيّة. ومجموع ما ورد في هذه الأرجوزة دالٌّ على خبرة وتمكّن في هذا المجال.

فممّا قاله ابن قُنفُذ "في طبائع الحبوب بحسب الشّهرة والتّجريب":

وأفضل الحبوب في المآكل ❁ البرّ عند سائر الأفاضل
وطبعه الحر مع الرّطوبه ❁ وليس في استمرائه معوبه
والبرد في الفول مع الحلباء ❁ يهجره الموجوع في الغذاء
والغض منه نافع رطب ❁ ثقيل هضم في المعا وصعب
وأكله بالفلفل الحراق ❁ ينفع في الجماع بالإطلاق

وممّا قاله "في البقول لرجز الكلام والفصول":

وأفضل أنواع البقول ❁ الخس عند أهل العقول
وطبعه التّرطيب والبروده ❁ وشأنه ليانة محموده
يصلح في الحرّ والشّباب ❁ وصاحب الحمى والالتهاب
وكان جالينوس في تدبيره ❁ يأخذه للنوم في سريره

وممّا قاله " في اليابس والخضراء من الفواكه على الولاء":

والحـــر فـي التـين مـع الرّطوبـــه ❁ ولـــيس فـــي استـــمرائه معوبـــه
وغضـــــه أرطـب في المـــذاق ❁ قـــالوا وهـــذا مـــذهب الحـــذاق
وشأنـــه التّليـين في الطّبـيعـــه ❁ يفـــعلها فـــي مـــدة سريعـــه
والحصـرم الـحامض وهـو البـارد ❁ ينفـــع مـــن بـــه الـــمرار الزّائـــد

وممّا قاله "في اللحوم بمطلق الأحكام والعموم":

واللحـم من جـديٍ رضيع سـالم ❁ مُفضّـــل مـــوافق مـلائـــم
والماعـز الـحولي فـي الألطـاف ❁ دون الرّضـيع الحســن الأوصـاف
وأوفـــق الضّـأن هـــو الحـــولي ❁ وبعـــده فـــي نوعـــه الفـــتي
وأرطـب اللحـم مـن الخـرفـــان ❁ يـجزره المرطـــوب فـي الإنسـان

وممّا قاله "في الأعضاء باختصار من غير مأكول ولا إكثار":

لـحـــم الـــرّؤوس ليـــن ردي ❁ والـفعـــل مـــن أكـــارع جلـي
وفـي الـدّماغ البـرد والرّطـوبـــهْ ❁ وفعـــله مـن بعضـــها عجيبـــهْ
وهـي مـن الدّجـاج للإنســان ❁ تزيـد فـــي العقـــل والأذهـــان
وفـي القلـوب كثـرة التّسخيـن ❁ وقـــوة الغـــذاء بـالتّسكيـــن

وممّا قاله "خاتمة الكتاب وقد مضى الكلام بالصّواب" :

واعـــلم بـأنّ صـحّة الأبـدان ❁ هي التـــي تنفـع فـي الإنســان
وأحـوج النّـاس أليـــن الأُمَـــرا ❁ لكـونـــهم أئـــمّة بـــلا امتـــرا
وفـي صـلاحهم صـلاح العالـم ❁ هـذا الـذي يقـوله كـل عالـم
وإن تـرد مـولاي لـذّة الطّعـام ❁ فخـذه مـمّا لا يطـول انهضـام
بقـدر مـا يكـفي عـلى اعـتدال ❁ مـن غيـر إكـثـار ولا إقـلال
وذاك عنـد شهـوة الطّـعام ❁ وراحـة النّفـس مـن الآلام

وجنب الفول مع الألبان ❁ كذلك الهريسة مع الرّمان
وتابع الحيتان بالحلواء ❁ فإنّها لها من الدّواء
وخذ إذا أمعنت في شرب اللبن ❁ من زنجبيل تكتفي من المحن

4- علم التّغذيّة: ممّا نُظّم في هذا المقام (أرجوزة الفواكه الصّيفيّة والخريفيّة) لأبي الحسن علي بن إبراهيم الأندلسيّ المراكشيّ؛ وهو طبيب وشاعر وأحد قادة جند الأندلس، وكان أبوه طبيبًا ماهرًا حكيمًا عظيم الشّأن من أجلاء الحكماء المتقنين المهرة، المرجوع إليه في المعضلات من الدّاء وكانت مسائله كلّها متقنة. وللمراكشيّ أراجيز أُخَر كـ(أرجوزة طب العيون) (أرجوزة في الأعشاب). وفيما يتّصل بـ(أرجوزة الفواكه الصّيفيّة والخريفيّة)، فإنّ عدد أبياتها قريب من 300 بيت، تحدّث فيها المؤلّف عن قريب من 30 فاكهة تنبت في فصليّ الصّيف والخريف؛ ومنها: المشماش، والتين (الباكور) والتّفّاح والإجاص، وحب الملوك، والكُمّثرى.

فممّا قاله في مُستهلّ منظومته:

وبعدُ فالعادة عندَ النّاسِ ❁ الهجْمُ في الأكل بلا قياس
لاسيما في سائر الفوَاكهِ ❁ نَضَجَ أو قَصَّرَ عن إدراكهِ
في طَلعةِ الفجر على الطّبيبِ ❁ يشكو بطول الليل في التّعذيب
من بَعْدِ أَنْ يَقَعَ في الأمراضِ ❁ وشدَّةِ الأوجاعِ والأغْراض
فكان واجبا على العِباد ❁ جميعهم من حاضِر وباد
أن يعتنوا بهذه المقَاله ❁ لأنّها تنجي منَ الجَهاله
بهذه الفواكه الصّيفيه ❁ الخضرة المقبِلة الطّريه

وممّا قاله في شأن الباكور :

وكلّ ما يُقال في الباكور ❁ فإنّه تِينٌ على المشهور
لكنَّه أبْكَرَه الرّحمان ❁ وأوّلُ المصيفِ له إبّان

وإنَّ مـن أفعـالِـه التّسخينَـا ❁ والحـرُّكـان طبعَـه واللّينـا
ويُشـعِل الحـرارة اليسيـره ❁ لكـلّ محـرور بـلا ضـروره
قدِّمْـه قبـل الأَخْـذِ في الغَـذاءِ ❁ فأنّـه أولـى للاسـتمراءِ
وكُلْـه فـي أوائـلِ النّهَـار ❁ بقُـرْب عهْـدِه مـن الأشجـار
أنهـاكَ عـن تنـاولِ البَكُـور ❁ فـي آخـر النّهـار والحَـرُور
والبائـتِ المجْنـي مـنَ الأشـجار ❁ لَشَـرُّ مـا يُوكَـل فـي الثّمـار
ولا الـذي قَصَّـر عـن إدراكـهِ ❁ ومـا تـعفَّن مـن الفواكـه

5- علم الفراسة : وهو علم يُستدل به بالخلق الظّاهر على الخلق الباطن. ونذكر في هذا المقام أرجوزة في فن الفراسة محمود بن محمّد الحمزاوي (1236-1305هـ = 1821-1887م) : مفتي الدّيار الشّاميّة، وأحد العلماء المكثرين من التّصانيف. وكان عجيبا في كتابة الخطوط الدّقيقة، كتب سورة الفاتحة على ثلثي حبة أرز. وأولع بالصّيد فكان آيّة في حسن الرّمايّة والتّفنّن بها. وكان فقيها أديبا شاعرا. وقد قدّم لأرجوزته بمقدمة ذات صِلة بعلم الجينات الوراثي، ثم أورد فصولا تحدّث فيها عن صلة الأعضاء الظّاهرة بالأخلاق الباطنة؛ فعقد فصلا للّون وآخر للشّعر والجبهة والأذن والحاجب والعين والأنف والفم والأسنان والوجه والصّوت والحركة والعنق والبطن والظّهر والكتف والذّراع والكفّ والقدم والعَقِب والسّاق والخطوة. فممّا قاله في مقدّمة أرجوزته:

إذا أراد الله خلـق نَسمـهْ ❁ مـع اعتـدال الخلـق ذاتًـا وسِمـهْ
أصلـح نُطفـةً مـن الآبـاء ❁ ووفّـق الأمّ إلـى الغـذاء
فتخـرج النّشـأة في أعلى الصّـور ❁ كحِليـة البشـير سـيّد البشـر
مُعتـدِلًا في الخلـق والأخـلاق ❁ وتلـك مـن مـواهب الخـلّاق
وإن يكـن في الـرّحِم اختـلالُ ❁ أثّـر فـي النّشـأة ذاك الحـالُ

وممّا قاله في فصل الصّوت:

ومن يكن جهير صـوت ذاك دلّ ❁ علـى شـجاعة وإن كـان اعتـدل

ما بين كدّ وتأنٍّ في الكلم ❁ وغِلَظ ورقّة ذاك علم
بأنّه في العقل والتّدبّرِ ❁ والصّدق في مكانة لم تُنكرِ
وفي الكلام سرعة مع رقّته ❁ لكلّ محرور بلا ضروره
وغلظ في الصّوت ذا على الغضب ❁ وسوء خلقه يدلّ لا ريب
وغنّة الصّوت دليل الحمق ❁ والكبر مع بلادة وخرق

وممّا قاله في فصل العَقِب والسّاق:

ورقّة الأعقاب في الإنسان ❁ دلّت على حسن بديع الشّان
وغلظ دلّ على الشّجاعة ❁ إذ هو ليث فاختبر طباعه
وغلظ السّاقين مع عرقوبه ❁ لبله وقحة كانا به

وممّا قاله في خاتمة أرجوزته:

وقد يقلّ بعض ذي النّعوت قُل ❁ وبعضها يأتي كثيرًا في الرّجُل
والحُكم إن تعارضت للغالبِ ❁ من حُسن أخلاق ومن مَعائِبِ
وإن تساوت عددًا في الشّخصِ ❁ فلا تمحّض ذاته للنقصِ
إذ يتدافعان بالأحكامِ ❁ فيمنعان سطوة الأقلامِ
وكلّ من جرّب ما قلنا وَجدْ ❁ في فحصه شاهد صحّة وجِدْ

هذا غيض من فيض، فيما يتّصل بالمنظومات العلميّة، الغرض منها الإسهام في أن ينفض عنها الغبار، ويُردّ إليها الاعتبار، وتنبري الأقلام لتحقيقها، وإعمال الفِكر فيها، والمتاح ممّا تضمّنته من مصطلحات علميّة وفنّيّة تكون لنا نعم الزّاد في معتركنا المعرفيّ هذا، لتستعيد العربيّة سابق مجدها. وختامًا أجدّد الشّكر لكم على هذه الدّعوة الكريمة، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مُنَاسَبَةٌ وَكَلِمَةٌ

اللغة العربيّة، الهويّة وأشياء ذات العلاقة*

الدّيباجة: سيكون حديثنا في هذه المقالة مُتشعّبًا في مجالات اللغة العربيّة وعلاقاتها بأشياء تخصّها وترتبط بها، ولهذا تروْنَ العِنوانَ يشير إلى ذلك بـ (...الهويّة وأشياء ذات العلاقة) ورأينا ضرورة المزج بينها في موضوعات مُقتضبة ووصفات بصُرنا بها في منجزاتنا وتجربتنا، ورأينا تقديمها علّنا نُسهم في واجب حماية العربيّة من الاستعمال الوحشي، وما يحدق بها من الحوادث اللسانيّة، وما يحوم حولها من أخطار، ونكون قد قدّمنا الوصْفات التي تعمل على تطويرها والدّفع بها إلى اللحاق العلميّ، ومن ثمّ التّصدّر، كما كانت ذات زمان لغة التّواصل الحضاري بعالميتها، وحلقةَ وصْلٍ بين الثّقافات، ولغةَ العلم والإبداع وقد قدّمتْ للعالم معارفَ عاليّةً في القانون والطبّ والفلسفة والرّياضيّات والفلك والهندسة والعمران... وفي كلّ ذلك عرفت خصائصَ في نموّها وتطوّرها واتّسمت عبقريّتُها في سماتها الصّوتيّة والصّرفيّة والمعجميّة والكتابيّة حتى أضحت لغةً كبيرةً بحجم الذين أبدعوا فيها من العرب ومن غير العرب.

إنّها العربيّة اللغة الأمميّة التي تحتاج في وقتنا المعاصر إلى منهجيّة جديدة لمسايرة لغات العصر التي تشهد انفجارًا معرفيًا في عالم التّقانة الحديثة، والعربيّة تفتقر إليها، فكيف السّبيل للّحاق في هذا التّغوّل العالمي الذي يأتي على دحْر اللغات الضّعيفة والتي لا تمتلك العلمَ. وبذا رأينا تقديمَ بعضِ الأفكار مُغلّفةً بمنهجيّة القوّة النّاعمة المبنيّة على تحقيق نِسَبٍ سنويّة حتى تصل إلى الكمال عبر التّدرّج النّسبيّ في كلّ مرّة، وعبر كلّ مشروع. والمهمّ في الأمر حصول الانتقال النّوعي السّلميّ الذي يحفظ اللغةَ العربيّة من القلاقل اللسانيّة، ويؤدّي بها إلى المحافظة

* - قُدّمت المحاضرة في المكتبة الرّئيسيّة للمطالعة العموميّة، بأمّ البواقي، بمناسبة (شهر اللغة العربيّة) بتاريخ 4 جانفي 2022م.

على مكانتها في الانسجام الجمعي، وتتحقّق بها التّنميّة البشريّة وهي أسّ التّنميّة المجتمعيّة واللغويّة والاقتصاديّة والبيئيّة.

1. اللغة والفكر والهُويّة: ما نريد أن نبدأ به هو الحديث عن حدود العلاقة بين اللغة والفكر والهُويّة؛ انطلاقًا من أنّ اللغة فكرٌ، والفكر لغةٌ؛ فهُما وجهان لعُملة واحدة؛ حيث الفكر لا يكون إلاّ باللغة، واللغة فكر يوحي للّغة تحريك آليات الإنسان في الحديث/ إحداث حركة ما استجابة لما يراه، واللغة تعبير لمجريات إرادة الفكر، وبذا تكون اللغةُ لسانَ تواصلٍ تحمل ثقافةً هي الهُويّة التي تظهر في الأسماء والأماكن والتّوجّهات والانتماء والثّقافة والتّعبير والفنّ واللباس والمعتقدات والتّمظهُر...

وهكذا تكون الهُويّةُ نتاجَ الأفكار والمعاني التي يضعها أو يبنيها الأفراد عبر اللغة، وأنّ الصّفة الخاصّة للمجتمع يأتي من تفاعل تسري في داخله خطابات لغويّة آنيّة أو قادمة، وما يرتهن بالمتغيّرات التّاريخيّة، وتعكس كلّ ما تزخر به المنظومة المجتمعيّة من أوجه التّكامل/ التّخالف. وهذا هو التّكامل بين اللغة والفكر والهُويّة، فلا نجد هذه الصّفة في لغة الحيوان، ولا في لغة من أُصيب بعاهةِ الصَّمَم، أو مَنْ وُلد بعاهةِ نقْص في آليات التّواصل اللغويّ.

ووراء كلّ هذا نرى ونسمع أنّ كلّ الأمم تستعمل لغتها/ لغاتها، وهي أصل رأسمالها وعامل تقدّمها، وما من أمّة من الكبار الثّمانيّة G 8/ الكبار الاثنين والعشرين G22 تقدّموا إلاّ بلغاتهم، وبها سجّلوا نهْضاتٍ عاماتٍ قويّةً، وكانت النّهضةُ اللغويّة مصاحبةً، وما من صراع بشريّ إلاّ ويُبَطّن في جوفه صراع لغويّ، فاللغة هي المنظار الذي من خلاله يُدرِك الإنسانُ عالمَه، وهي العامل الحاسم الذي يُشكّل هُويّة هذا الإنسان، ويُضفي على المجتمع طابعَه الخاصّ، بلهَ الحديث عن عامل الشّخصيّة والاعتزاز والوجود والقوميّة في أيّ بلد في العالم، وهي من الإشكال الذي تتّكل عليه الدّولُ مع التّطوّرات التي تعرفها "وقد أوجدت هذه التّطوّرات موجّةً دافقّةً من القوميّة تمّ بناؤها على العلاقة بين الدّولة واللغة، ويعتقد تلثا الأروبيّين تقريبًا أنّه من الضّروريّ حماية لغاتهم مع زيادة شدّة هذه التّرجمات

وتزداد النّسبّة في اليونان وفنلندا والبرتغال وإسپانيا ولكسمبورج وفي نفس اللحظّة يقوم السّياسيّون بإطلاق تصريحات فجائيّة تتحدّث عن حماية اللغة بدلًا من حماية الأسواق التي أصبحت أقل جاذبيّة"[1].

وفي المُحصَّلَة، فإنّ اللغة ليست أداة التّواصل فقط ولكنّها هي من شؤون الهويّة والأمن والسّيادة الوطنيّة، وهي الهويّة ذاتها وثقافة الأمّة كامنة فيها، وما من حضارة إلاّ وصاحبتها اللغة. وهكذا اللغة العربيّة في وطننَا هي الاستقلال والانتماء والموروث والتّاريخ، وقد أقامت وشائج ترابط وطنيّة، وبها قامت الدّولة الجزائريّة، وهي الآن رمز للسّيادة الوطنيّة والحفاظ عليها من الحفاظ على رمز السّيادة، وكلّما قويت السّيادة الوطنيّة قويت لغتها الوطنيّة وزاد انتشارها واتّضحت معالمها، وزادت الوشائج التي تربط بين الوطن، فهي وطن روحيّ للمواطنة.

2. اللغة العربيّة تكاملٌ وانتماءٌ: ما نُراهن عليه في المنطلق بأنّ اللغة العربيّة عندنا ترتبط بدائرة الهويّة بما تستكنهه من دوائر التّلاقي؛ باعتبارها لغة العرب والمسلمين ومن ينتمي للحضارة العربيّة الإسلاميّة وفي ذاتها لغة هُويّة تجمع الشّمل، وتُوحِّد الصّف، وتعقد الآصرةَ، وهي ليست مقطوعة الصّلة عن الأنا الجمعيّة بمختلف مستوياتها: الأنا التّاريخيّة، والجغرافيّة، والثّقافيّة، والسّياسيّة والدِّينيّة والحضاريَّة، وداخل كلِّ مستوى درجاتٌ.

وإنّ العربيّة في الجزائر لغة الشّعب الجزائريّ لا لغة الآحاد، ولكنّها لغة لها مضامين بالمعاني والمباني والانتماء والحمولة الثّقافيّة والذّاكرة والتّاريخ والانصهار، وحصل لها الاهتمام المرتبط بالدّين، وظلّت معبّرة عن الوعي الجماعي للأمّة الجزائريّة المرتبطة بهُوية أبنائها، والمعبّرة عن وَحْدة صفوفهم وأهدافهم وفكرهم في آنٍ واحد وبذلك أضحت مجتلى حاضنة الماضي البعيد والحاضر المعاصر، والمستقبل القادم.

هي اللغة العربيّة التي تربطنا بالدّين الإسلاميّ والأمّة العربيّة، وأضحى وجودُنا الحاضر مرتبطًا باستعمالها، وهي اللسان والاستعمال، وليست بالعِرق ويتمثّل ذلك في الأثر النّبويّ الشّريف الذي رواه المؤرّخ والمحدث الشّهير (ابن عساكر)

"ليست العربيّة من أحدكم بأبيه ولا بأمّه، وإنّما العربيّة لسان، فمن تكلّم العربيّة فهو عربيّ". وقد تمدّدت في وطننًا، كما نالت موقعها الاستعمالي والمعرفيّ في شمال أفريقيا عن طريق ساكنتها الذين أعْلَوْها على مَحلّياتهم، وعملوا على نشرها في القارة التي لُقّبت **(قارّة اللغة العربيّة)**.

إنّها عربيّة الواجب عندنا؛ باعتبار الواجب يُفهم جيّدًا بها، فما لا يُفهم به الواجب فهو واجب، وعلى قول (ابن تيميّة) "اعلمْ أنّ اعتيادَ اللغةِ يُؤثّر في العقل والخُلُق والدّين تأثيرًا قويًا بيّنًا، ويؤثّر أيضًا في مشابهة صدر هذه الأمّة من الصّحابة والتّابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدّين والخُلق، وأيضًا فإنّ نفس اللغة العربيّة من الدّين، ومعرفتُها فرضُ واجبٍ، فإنّ فهمَ الكتاب والسّنة فرضٌ، ولا يُفهَم إلاّ بفهم اللغة العربيّة، وما لا يتمّ الواجبُ إلاّ به فهو واجبٌ".

إنّها لغةُ الأمّ في حليبها في بيت الرّضاعة الذي يُطلق دائمًا على اللغة التي تلقّاها الصّبيّ بفطرته وغريزته، وتعلّمها كما تعلّم الأكلَ والشّربَ والمشيَ، ربّما بدون جهد إراديّ منه، ولكن من خلال الاستجابة الغريزيّة لدوافع البقاء والتّحضّر. ولهذا فإنّ اللغة الأمّ تصبح جزءًا لا يتجزّأ من شخصيّة صاحبها وتظلّ حتى وإنْ زاحَمَتْها لغاتٌ أخرى أقربَ اللغات للتّعبير عن الحالة النّفسيّة على اختلاف ميادين الإرسال والاستقبال.

3. العربيّة ذات خصائص لا توجد مجتمعةً في كلّ اللغات: تكون العربيّة اللغة الآحاد عالميًا التي تجتمع فيها خصائص لا تجتمع في كلّ ألسن البشر، وهي: لغة طبيعيّة+ لغة المواصفات التّواصليّة المبنيّة على النّسق والفطرة والاتّساق والمنطق والعلّة+ لغة أمّ+ اللغة الأمّ+ لغة الأمّة العربيّة+ لغة المسلمين+ لغة يتردّد بها الآذانُ والصّلواتُ عبر العالم دون توقّف+ لغة الحضارة الإنسانيّة+ لغة أمميّة+ لغة الوكالات الأمميّة الواحدة والعشرين (21)+ لغة كُتبت بها كلّ الدّيانات السّماويّة+ لغة تراتيل بعض الدّيانات غير الإسلاميّة+ لغة أمّ اللغات الحاميّة السّاميّة+ لغة الامتداد الزّماني الذي يصل إلى واحد وعشرين (21) قرنًا+ لغة الامتداد المكاني عبر كلّ القارات+ لغة الماضي والحاضر والمستقبل+ لغة ما

انقرضت أو تلاشت+ لغة المستويات اللغويّة+ لغة التّسامح اللغويّ+ لغة قبول اللغة البيضاء+ لغة رسميّة في جامعة الدّول العربيّة، وبعدد اثنين وعشرين (22) دولة+ لغة رسميّة أجنبيّة أولى في ثلاثَ عشرةَ (13) دولة+ لغة رسميّة أجنبيّة ثانيّة في سبع وعشرين (27) دولة؛ بمجموع 62 دولة في العالم+ لغة القطب اللغويّ الثّانيّ في العالم (العربفونيّة)+ لغة الحضارة الشّرقيّة+ لغة علم وتعليم في كلّ جامعات العالم+ لغة تواصل ماضيها بحاضرها+ لغة أفادت كلّ الحضارات العالميّة+ لغة التّفتح بالأخذ والعطاء، والعطاء أكثر من الأخذ+ لغة العولمة في ماضيها المغدِق+ لغة الثّقافة الشّرقيّة+ لغة التّواصل الحضاري في عصر الظّلمات لدى الأوروبيّين+ لغة الارتقاء بالحوار وإرساء أسس السّلام بين الحضارة العربيّة الإسلاميّة والحضارة الغربيّة المسيحيّة... دون الحديث عمّا نالته من تسميات: لغة الضّاد/ تاج اللغات/ أمّ اللغات/ جلالة الملكة/ لغة الشّعر والأدب الرّفيع+ لغة المتنبّي/ لغة سيبويه... وما تناله من انتشار سريع لدى غير أهلها وما تعرفه من أرمادة من المؤسّسات التي تقوم على نشرها وحمايتها والدّفاع عنها، وجبال من المؤلّفات فيها وبها وعنها وعبر مختلف القارات واللغات، وما سنّته الأمم المتّحدة من أيّام سنويّة قارة تمسّ جانبًا من جوانبها اللغويّة: 21 فبراير+ 16 مايو+ 21 مايو+ 30 سبتمبر+ 18 ديسمبر.

هي مؤشّرات إيجابيّة يمكن التّنويه بها، ولكن في ذات الوقت هناك مؤشّرات مُقلقة، فهل عملنا على سدّها من مثل: انحسار الفصحى في الكتابات، واستعمالها في الآداب والعلوم الإنسانيّة، وشلل بعض المؤسّسات التّعريبيّة، وطغيان التّلهيج في الإعلام والمسرح، ضعف المعرّب في الدّفاع العلميّ، وظهور قويّ للغات الأجنبيّة كلغة هُوية دون قوانين...

هي مِحَنٌ تضاف إلى مِحنة عدم توحيد المصطلح، ومِحنة المضايقات التّقنيّة، ومِحنة ضعف الاعتزاز اللغويّ، ومِحنة عدم تحديث المعاجم، ومِحنة شيوع الأخطاء الشّائعة، ومِحنة الكتابة والتّدريس بالعاميّة... فهل من حلّ؟ يمكن أن يأتي الحلّ في تجسيد التّخطيطات اللغويّة والتّربويّة، وفي إغماس العربيّة في

الرّقمنة، والمتابعة الدّائمة بالتّقويم والتّقييم والتّقليل من القول، واعتماد الأمل المقرون بالعمل.

4. اللغة العربيّة وعاء التّواصل الحضاريّ: لقد سارتِ العربيّة سيرًا سريعًا مع الفتوحات الإسلاميّة، وكانت لها سرعةٌ عظيمةٌ ابتلعت على إثرها لغاتِ كثير من الشّعوب التي اختارت الإسلام دينًا، واللغة العربيّة لسانًا، فتكلّمتها تلك الشّعوب بطلاقة، واستطاعت أن تُسهم في إثراء التّراث العربيّ في مجالات الحياة العلميّة والأدبيّة المختلفة. وفي ذات الوقت استطاعت أن تستوعب تراث الأمم القديمة وأن تُقدّمه للبشرية سهلًا بسيطًا، كما يسّرت أمور العلوم كلّها، فأثّرت في الفكر الإنساني والحضارة الإنسانيّة في مجالات العلوم المختلفة البحتة والتّطبيقيّة.

وبذلك أثبتت قدرتها على استيعاب كلّ ثقافات الأرض حتى غدت في أواخر القرن الثّاني عشر (IIX) الميلادي لغة العلم والحضارة، وأصبح العالم يتكلّم بالعربيّة لمدّة تزيد على ثمانيّة (IIIV) قرون من عمر الزّمان، وكانت الأمّة العربيّة الإسلاميّة قويّةً باقتصادها وعلمها وترجماتها فقويت معها لغتُها، وأقبل علماء أوروبا على تعلّمها وترجمة تراثها العلمي إلى اللاتينيّة. ودون الدّخول في التّفاصيل والتّكرار نربط المسألة بعجلة الحاضر؛ فإنّ اللغة ترتبط بالهُويّة، إن لم تكن وسيلةً لإنقاذ الهُويّة، كما فعل العبريّون واليابانيّون والكوريّون الذين أنقذوا هويّاتهم من الفناء بإحياء لغاتهم الأمّ، وأصبحوا الآن عمالقة في الصّناعة والرّقي والأمن الاجتماعيّ ونجحوا بلغاتهم الميّتة التي أحيوْها من جديد، وأصبحت لها كينونة معاصرة وكلّهم تنادَوا إلى مقولة (لا حياة لأمّة دون لغة الأمّة)+ (لغة الأمّة فرض عين)+ (الهزيمة العسكريّة لا تعني التّخلي عن اللغة الأمّ، كما لا تمنع التّفتّح المضيف)+ (قدسيّة لغة الوطن في تعميم استعمالها) هي تجارب ناجحة يُستلهم منها صُوَر الخروج من أزمة الهويّة اللغويّة في أوطاننا العربيّة، ونحن لا نزال نُواجه أزمات عديدة في مراجعة الهُويّة، والذي نجم عن ذلك آفات استعمال العاميات بشكل مفرط، وأصبحت لغة بعض الإعلاميّين منعدمة القواعد دون الحديث عن القطيعة اللغويّة بين مراحل التّعليم العامّ ومرحلة الجامعة.

هي آفات ستؤدّي بنا إلى السّهللة إن لم يقع الوعي اللغويّ، وتفعيل المدرسة والإعلام والإدارة في ضرورة إعادة الأمور إلى مسارها الحقيقي، وأنّ هُويّتنا في الفصحى التي تجمع الأقطار العربيّة في وَحْدة لغوية تُيسّر التّفاهم بين أبنائها، وتعلمهم بأنّ الوَحدة السّياسية لا يتأتّى تحقيقها إلاّ من طريق التّوحيد اللغويّ، وأنّ الانتماء إلى الأمّة العربيّة يقتضي الاعتزاز بها والحرص على استعمالها في كلّ المجالات.

وكان يجب علينا الخروج من وصْفات جديدات، وفي كلّ مرة خرجات ودعوات لمراجعة الماضي، وأنّ الماضي له أخطاؤه، وهذا نوع من التّعطيل الذي نقوم به وفي كلّ مرّة نبدأ من جديد، وكأنّنا ننبذ الحضارة التي هي سُلّم يرتفع ويزيد من قيمة المؤسّسين، وأنّ اللاحقين مضيفون، فليس من اللازم إعادة النّظر في مكوّنات الهُويّة وقد كانت، وعلينا التّصدّي لمشاريع التّجزئة اللغويّة العربيّة باسم الهُويّات السّياسيّة والتّسميات الخليط التي لا تزيد النّار إلاّ سخونة، وهل نحن في مأمن على ترابنا وثقافتنا ولغاتنا لنعيش الرّفاهيّة العلميّة أو الشّراكات التي تنقص من هُويّتنا...

أليس من المجدي التّفكير في مشاريع استبعاد العربيّة عن استعمالها في العلوم، والبحث عن مشروعات الإشباع اللغويّ بالعربيّة في كلّ المجالات وتمتين الانتماء الذي يؤدّي إلى الهُويّة المشتركة التي بُنيت خلال تعايش طويل وتحدّدت معالمها في لغة مشتركة، وفي آمال وطموحات واحدة. إنّ أيّة تصدّعات في الهُويّة تكون وخيمة في اللغة وفي النّطاق الجغرافي، ولهذا لابدّ من الخروج بسلاسة وسلامة من أزمة الهُويّة اللغويّة لتعميق الانتماء ومواجهة التّحدّيات الآنيّة والمستقبليّة بتفجير الطّاقة الكامنة في العربيّة والإفادة من الثّورة العلميّة التي تشهدها اللسانيات الحديثة، وكذلك الإفادة من التّطور العلميّ والتّقنيّ في هندسة اللغة، وتشجيع الباحثين في صناعة المعاجم، وبناء المكانز العربيّة، وإنجاز الذّخيرة اللغويّة التي طال انتظارُها، واعتماد اللغات اللاتينيّة في المرحلة الأولى بمدى زمنيّ محدّد لولوج عالم التّقانة في المراحل الأولى، والاستفادة من اللغة العالميّة أكثر من ضرورة.

5. الوعي اللغويّ الجديد: لسنا ممّن يوحَى إليهم، بل نحن من الجماعة النّخبة التي تولّدت لديها معارف ناجعة من تجارب ناجحة، ورأينا الوعي اللغويّ بها في إطار مجتمع المستقبل؛ مجتمع المعرفة بلغة الانتماء، وأنّ اللغة المشتركة أكبر تمثيل للمشترك اللغويّ الذي يقبله التّعليم، وأنّ الانتماء هو العامل الذي يميّز الهُويّة الاجتماعيّة عن الهُويّة الشّخصيّة، ويُحدث في المجتمع تحوّلًا من هُويّتهم الشّخصيّة إلى هُويّة المجموعة من خلال عمليّة نزع الطّابع الشّخصيّ والسّلوك الفردي عن الذّات، فتذوب الخصّائص الفرديّة في الوعي المجتمعيّ.

وهذا عامل من العوامل المؤدّي إلى الانسجام الجمعي، هذا من جهة، ومن جهة ثانيّة كان علينا العمل على تفادي الوقوع في "... وأنّ المغلوب مولع بتقليد الغالب في شعاره وزيّه ونِحله وسائر أحواله وعوائده"، وهذا يؤدّي بنا للحديث عن نجاح الوعي في المنظومة التّربويّة، فلا نتصوّر النّجاح في لغة المنظومة التّربويّة أن تحصل هُويّة للمدرسة بالسّياحة داخل المنظومات العالميّة، كمثل من يقطف زهرة من غصنٍ، وبضعة أوراق من غصنٍ آخر، ثم نتوقّع أنّنا لو غرسنا ما قطفناه في تربة بلدنا، سنحصل على نبات حيّ، أو كمن ينتظر إشعال الضّوء الأخضر في كلّ شوارع المدينة كي ينطلق، هذا لن يكون له النّجاح مطلقًا.

والآن نحتاج إلى مراجعة الكثير من الفروع في المنظومة التّربويّة والمرحلة الجامعيّة؛ باعتبار التّعليم قاطرةَ اللغة، وهو تقدّمها أو تراجعها، وهو السّبيل لاسترجاع مناعتها. ويجب العلم بأنّ الإصلاح التّربويّ مشروع أمّة، وليس عملية تقنيّة، هو مشروع للوعي الوطنيّ والقوميّ والانتماء، ولذا من الضّروري إعادة الاعتبار للوعيّ اللغويّ الذي يقتضي إصلاحًا تربويًا محافظًا على التّكامل والتّوازن، ويستجيب لمتطلّبات تعليم الإنسان العربيّ وثوابته بما يحقّق التّجديد في وعي اجتماعيّ، والعِوَل فيه على النّخبة الوطنيّة التي تقدّم مشاريع الإصلاح، فما محلّ جامعاتنا الكثيرة من ذلك؟ وأين مواقعها في التّصنيفات العالميّة؟ أين مشاريع التّغيير الاجتماعيّ والثّقافي؟ أين التّنادي من قبل النّخبة في رفع صورة رفض الذّات، وقضايا الهُويّة لقبول الاندماج في المعاصرة؟ أين رفع الهيمنة الثّقافيّة التي

دجّنت الأجيال وأسكتت النّخبة، وركّعت المسيّرين؟ أين نداءات الغيورين لتأجيل تعليم اللغات الأجنبيّة في المرحلة القاعديّة والذي يعني تثبيت قوّة اللغات الأجنبيّة على حساب العربيّة؟ ... لابدّ من ضرورة الوعي بالانتقاص من الهُويّة اللغويّة المعرفيّة للُغة الأمّة العربيّة من خلال تخلّيها عن لغتها؛ وهو انتقاص علينا الإقرار به، وقد يكون حاجزًا للتّحديث.

وكان علينا الوقوف النّد للنّد أمام التّغوّل اللغويّ؛ وهو طُعمة للإمبراطوريّة اللغويّة القائمة على التّطهير اللغويّ للغات العالم، ولهذا على النّخبة المسيّرة ألاّ تكرّر الإخفاقات وتتّعظ من التّسيس القاهر للإصلاح التّربوي، والإهمال المفرط في تفعيل اللغة العربيّة وإصلاحها في مجال البحث التّربويّ، وفي مناهج التّلقين وما تحمل الكتب من مفردات ثقيلة لا تُساير العصر، وغياب المستجدّات في المعاجم والحوسبة... ومن هنا ندعو النّخبة إلى ضرورة تغيير سوء التّقدير الفكريّ والمعرفيّ لتراث العربيّة الذي يحمل حجم الفيل في أضخم تراث عالميّ، وإدراك مخاطر هجْر الفصحى وغُربتها في بيتها وبين أهلها وبما تُرمى به من نظرة دونيّة. ومن هنا يستدعي منّا الوعيُ اللغويّ أن نقرأ تراثنا قراءة معرفيّة فكريّة تعتمد المنهج الأنسب في تقويم لغة التّعليم من أجل اكتساب تصوّر جديد منفتح ونحتاج إلى نخبة تضع رجلها في التّأصيل، وتضع رجلًا أخرى في رَكْب الحداثة و"تعتمد أسلوب إخراج العربيّة من تيارات التّضاد؛ فنراها بين فكي رَحَي، بين عولمة تمارس عليها ضغوطًا هائلة تفرض عليها أقصى درجات المرونة وسرعة الاستجابة للمتغيّرات العالميّة، وبين فصيل من الفكر الأصولي المتجمّد يعوق تقدّمها تحت دعاوى مضلّلة ومفاهيم خاطئة للحفاظ على الطّهارة اللغويّة والأصالّة الفكريّة) "[2].

ومن الضّروريّ نقل العربيّة من مجال وضع الرّقع إلى مجال الأمن القوميّ والحضاريّ ومستقبل الأمّة، وضرورة التّنبيه إلى خطورة سلبيّات فرض مبادرات إصلاحيّة من الخارج في غياب النّظرة الكليّة للإصلاحات التّربويّة العربيّة الإسلاميّة التي تمثّل القوّة الدّافعة نحو أيّ إصلاح، وكان علينا الوعي في الحديث عن حقّ تعزيز البناء المعرفي للّغة العربيّة، وهو الحقّ في المعرفة وربطها بالهُويّة اللغويّة،

وهذا الحقّ مسؤوليّة مجتمع، ومجال إصلاحات واستراتيجيّات دوّل تروم اللحاق والعيش في خريطة العالم المعاصر. هو الوعي اللغويّ المطلوب احتذاؤه بفرضيّة التّقويم الحضاري في تعزيز مقاربة توجيه لغة التّعليم نحو خدمة الأهداف التّنمويّة، وتوظيف التّعليم في خدمة الاقتصاد الوطنيّ وإقناع المجتمع أنّ لغته الأمّ جزء لا يتجزّأ من السّياسة التّنمويّة لوطنه.

ومع كلّ هذه الهنات والتّأخّر، فإنّ الأمر قابلٌ للتّدارك عندما يتوفّر الطّموح والإرادة السّياسيّة العربيّة المدعومة برصد الموارد اللازمة لبناء البيئات التّمكينيّة والمؤسّسات القادرة على رعاية التّطوّر المعرفيّ، بالعربيّة، وتحويل المكاسب المحقّقة إلى وسائل مساعدة على تحقيق التّنميّة المجتمعيّة، ومحاولة التّواصل اليوميّ باللغة الفصيحة، وهكذا يحصل الاندماج اللغويّ، وهذا محفّز كبير كون الفصحى لغة علم وإبداع وأدب، وأحسن من الدّارجة بكثير؛ كونها تضمن الهويّة الدّينيّة والثّقافيّة للفرد. وكما تضمن الاندماج شعوريًا للمتعلّم، ولا يحسّ به إلاّ عندما يتكلّم الفصحى بما لها من قدرات تعبيريّة راقيّة، والتي لا يجدها في لغة البيت أو الشّارع، وبذلك يرى فيها عزّتَه ورفعتَه الاجتماعيّة.

6. العربيّة والتّخطيط اللغويّ: إنّ التّخطيط اللغويّ يعني الخيار الجمعيّ للمجتمع، بإحلال لغة/ لغات يرتضيها المجتمع، وبالخصوص إحلال لغات البلد؛ ويعني ذلك الاهتمام بالتّنميّة البشريّة والثّقافيّة والاجتماعيّة والبيئيّة، وتأمين الحقوق اللغويّة لجميع المواطنين مهما تعدّدت أعراقهم وتباينت ألسنتهم. وتكمن أهميّة التّخطيط اللغويّ في تلك الآليات التي تَرْسِم الأهداف، وتُوفِّر الوسائل للتّأثير في المجتمع وتوجيهه إلى أداء لغويّ معيّن، والنّهوض بالمنظومة اللغويّة، المكتوبة والمنطوقة. فلا بدّ أن يتوافر للتّخطيط جملة من العوامل التي تُعينه على رسم أهدافه، وتُصوّر وسائله، وتُذلّل له العقبات، وتُمكّنه من القدرةَ على التّنفيذ الأمثل. إضافة إلى العمل على:

. تفكيك الخطابات الإيديولوجيّة؛

. السّعي لخلق جوّ لغويّ تكامليّ؛

. الدّعوة إلى إنزال اللّغات الوطنيّة المنزلة العليا؛

. عدم التّماهي مع اللّغات الأجنبيّة لتنافس لغات الهُويّة؛

. التّنوع اللغويّ لا يشكّل التّفكيك الاجتماعيّ بقدر ما يُقوّي اللحمَة الوطنيّة؛

. استكناه التّجارب اللغويّة النّاجحة من خلال الأوضاع اللغويّة الثّنائيّة وأكثر؛

. تحفير المعنيّين إلى اقتراح أفكار تحسينيّة في مجال التّعدّد اللغويّ لمجتمع آحاد، يملك منهجيّات متعدّدة، وهدفًا واحدًا.

لسنا هنا في تحديد محدّدات التّخطيط اللغويّ، بقدر ما نريد تخطيطًا لغويًا مصحوبًا بإرادة سياسيّة+ هيأة تنفيذيّة+ وسائل ماديّة+ مدّة زمنيّة محدّدة. وهذا هو الخطاب الذي نريد نقله لمن يهمّهم الأمر بضرورة التّخطيط الواقعي الذي يعمل على إيجاد العلاقات التّكامليّة بين اللغة المشتركة، واللغات المحليّة، ليس في إطار التّعدديّة اللغويّة، بل في إطار التّنوّع اللساني، والممارسات الثّقافيّة الواعيّة، وربط الثّقافة الوطنيّة بشخصيّة بناء الفرد وبالتّنميّة الاقتصاديّة والاجتماعيّة والبيئيّة. وهذا ضمن حقّ المواطنة اللغويّة في المؤسّسات الوطنيّة.

ولا بدّ من نظرة جديدة خاصّة لواقعنا اللسانيّ في الجزائر، البلد الذي عرف خروج استعمار ثقافيّ جائر؛ عمل على المسح والمسخ وإحلال ثقافته عبر لغته في التّعليم في الإدارة وفي كلّ المرافق العموميّة، إضافة إلى شساعة الجزائر جغرافيًا ولغويًا، وتعدّد أداء المازيغيّات بشساعة البلد، وتعدّد الثّقافات والممارسات اللّغويّة وما نجم من صراع التّعدّدية المتوحّشة: معرّب/ مفرنس/ ممزّغ... كلّ ذلك أدخلنا ذات وقت في صراع بيني؛ ونريد الخروج منه بأقلّ الأضرار؛ ببناء سياسة لا تقبل التّرقيع، وهي سياسة الخيار الاستراتيجي الذي تبنّاه الأجداد بتخطيط ممارسة العربيّة كلغة أمّ مشتركة ولغة رسميّة في المدرسة والإعلام والإدارة، وهي لغة معيارية لا تحتاج إلى تهيئة، ثمّ العمل على تهيئة المازيغيّات على المدى البعيد كلغات محليّات تراثيّة تُكمّل العربيّة.

وبذلك نخرج من الأزمة اللغويّة التي جعلتنا نراوح مكاننا، ونتحفّظ من لغة المستعمر التي لم ترفع من قيمتنا، ولم تُخرجنا من التّخلّف، وهذا بسبب عدم وضوح التّخطيط اللغويّ الذي يُنزل اللغةَ الرّسميّة لغة الدّستور، ولها صفة الإقرار الرّسميّ في الخطاب السّياسيّ والإدارة والّتعليم والاتّصال والبحث العلميّ وكلّ المؤسّسات الوطنيّة، وهي رمز الهويّة اللغويّة ولكن آليات التّطبيق والمدّة الزّمانيّة غير واضحة.

وندعو من خلال هذا المقال إلى تخطيط سياسة لغويّة وطنيّة متفتّحة قائمة على تراتب اللغات الوطنيّة وتخطيط المكانة الاجتماعيّة لكلّ لغة في إطار البنية اللغويّة وكلاهما يُؤدّيان إلى الاستعمال الوظيفيّ للّغة/ اللّغات، مع إيلاء اللغات الأجنبيّة حسب المنفعة الوطنيّة والمصلحة الحاليّة، والتّخطيط لها في المرحلة الجامعيّة بلغات أجنبيّة يُستفاد منها، وتكون وحداتُها محدودةً في الجامعة وفي مراكز البحوث.

7. **أمْنُ العربيّةِ في الاستعمال:** إنّ عدم تمكين العربيّة في مختلف المجالات؛ يعني انتقاص للّغة المشتركة؛ وهو نوع من اللاأمن التّضامنيّ، وذلك ما يُدمّر النّزاهة الاجتماعيّة؛ حيث تسود الطّبقيّة والتّجزئّة الاجتماعيّة، ويؤدّي إلى خلق النّخبويّة التي تخرق الأمن التّضامني بين أفراد المجتمع الذي يحتاج إلى الأمن الدّاخلي والخارجي.

وهذا ما يستلزم النّهوض بها في البحوث التّربويّة وفي الدّراسات المعمّقة التي تتطلّب آخر تطوّرات البحوث المعاصرة، أضف إلى ذلك تلك الأبحاث ذات العلاقة بالدّراسات البينيّة من أجل خلق معرفة ذات بنى اجتماعيّة وتقنيّة دائمة التّطوّر، وأنّ بقاءها حيّة مرتهنٌ باكتسابها المعرفيّ وتطوير طرائق استعمالها في محيطها الاجتماعي، وحسن تعليمها تعليمًا عاليًا؛ فتعليم أيّة لغة يعني ضمان مستقبلها. ولذا يتعيّن علينا وضع فرضيّات الإصلاح التّربويّ الجادّ؛ إصلاح يتفاعل مع مشكلة استعمال العربيّة في إطار مشروع إعادة الإعمار والبناء لحضارة الإنسان العربيّ.

ولقد أبانت الازدواجيّة المتوحّشة لدى شبابنا عن شعور نفسيّ بعجز العربيّة عن مواكبة حركة العلم والتّكنولوجيا، وتأكّدت أمامه عظمة اللغات الأجنبيّة، ونال ذلك منه انحرافًا وتحيّزًا لغويًّا إلى توطين ثقافة مجتمع غربيّ لمجتمع آخر لا يقربه في الثّقافة ولا في الانتماء، وأبانت الفرنسيّة في بلادنا أنّها حكرٌ على فئة داخل المجتمع، وهي عبارة عن نموذج طبقي مُترّفه راق بلغة أجنبيّة، إلى جانب فئة بئيسّة قصيرة لا تتكلّم إلاّ العربيّة، وهي لغة قومه، ولكنّه ليس مرتفع الرّفاهيّة لأنّه يتحكّم في اللغة الأمّ.

وهذه هي الطّامة لوجود فئتيْن متضادتيْن في مجتمع واحد، وسيؤدّي ذلك إلى قلاقل مجتمعيّة قد يفتح الباب أمام المطالبات الانفصاليّة. ومن هنا يجب أن يعلم المخطّطون أنّ إسقاط عامل اللغة الرّسميّة/ الأمّ/ المشتركة في جانبها الوظيفيّ والعلميّ والشّعبيّ سوف يُغرِبون المجتمع غُربةً حياتيّةً كاملةً. ويبدو أنّه مشروع مغرٍ في قشوره، لكنّه مسموم في حشوه، وانتقاص الفحولة اللغويّة في مخرجاته، وما هو المخرج؟ علينا العمل بالعكس نحو الانجذاب اللغويّ العربيّ في فرضيّات الإصلاح التّربويّ؛ عبر عدد من القيّم التي يُسهم فيها التّواصل الإعلاميّ والمجتمعيّ بالدّعوة إلى احترام المواطنة اللغويّة، والاتّجاه نحو بناء مواطن واسع الاطّلاع، وغرس القيّم والاتّجاهات والمهارات الثّقافيّة، وحقّ الاختلاف.

8. رهان المعرفة في اللغة العربيّة: هي رهانات في المعرفة المعاصرة من خلال تشبيك المدوّنات اللغويّة، ويمكن تحديدها وفق كسب الحداثة، والسّير إلى الأمام، ونُشْدان الأفضل، بالتّطوير والتّقدّم والرّقيّ، في عالم اقتصاد المعرفة، وبيع الأفكار عن طريق سوق الثّقافة، العاملة على الخلق والإبداع، والبقاء للأصلح وللأفضل وللأسرع.

هي رهاناتُ جعْلِ العربيّة تتطوّر عبر هذا التّشبيك الآلي رهانات بناء المنصّات الرّقميّة التي تُعطي للعربيّة نمطيّةَ التّعامل مع الخوارزميّات بصورة آليّة، رهانات بناء النّحو العالميّ/ والعربيّة العالميّة لتعليم وتعلّم العربيّة للفطريّين ولغير الفطريّين بسهولة، رهانات كسب ثلاث قنوات مهمّة في البناء اللغويّ القاعديّ:

قناة المدرسة وقناة الإعلام وقناة الإدارة. إنّها رهانات الحداثة اللغويّة اليوميّة التي ترتكز على اللغة الحيّة التي تستعمل في مجالات الحياة العامّة. ويأتي تأكيد رهان صنع المنصّات بخوارزميّات تُراعي خصوصيّات اللغة العربيّة، بما لها من تشكيل وفقه اللغة، ولغة لها تراث طويل يمتدّ لأكثر من سبعة عشر 17 قرنًا.

وفيه لغة القداسة، ورهان صنع الأحداث اللّغويّة بين الأصالة والحداثة، ورهان العيش ضمن الأعجوبة الثّامنة، وهي الرّقمنة بما تعرفه اللسانيّات من فتوحات في التّشبيك الآلي، ورهان الأتمتة الذي يعمل على نقل العربيّة من لغة مستقرّة إلى لغة متطوّرة، تعيش التّقابل والتّبادل مع اللغات في إطار المصالح المرسلة.

9. العربيّة والنّشر الإلكترونيّ: إنّ العالم يصغر، والمعرفة مطروحة في الطّريق، وأصبحت تُتاح للجميع، والعلم الذي كان يوجد في الكتاب فقط أصبح موجودًا في المجلاّت وفي الأقراص وفي مختلف الحوامل التّقانيّة المعاصرة، وهذا بفضل النّشر الإلكترونيّ الذي يتوسّع يوميًا عبر تبادل العلوم والمعارف وجعلها متاحة عالميًا؛ وبخاصّة في عصر العولمة والشّابكة.

ويقع التّركيز في هذه النّقطة على المجلاّت المُحكّمة التي تنشر الأبحاث والدّراسات العلميّة في عدّة مجالات علميّة. وهي المجلاّت المصنّفة عالميًا بما لها من معامل التّأثير، ولجنة تحكيم بمواصفات علميّة مرتبطة بوجود أعضاء هيأة التّحكيم والتّقويم والاستشارة المستوفين الشّروط الأكاديميّة المنصوص عليها في المجلاّت العالميّة المحكّمة وبالخصوص المجلاّت الإنكليزيّة؛ والتي فرضت ملخّصًا باللغة الإنكليزيّة، وما له علاقة بقضايا التّنميط الدّولي والتّهميش بنظام (APA).

فهل يمكن للعربيّة أن تنافس في هذا المجال؟ وكيف لها أن تُعدّ نفسها للمقابلة أو التّقابل في مجال النّشر الرّقمي/ الإلكتروني عن طريق استخدام الحاسوب في كتابتها ونقلها للعامّة في جميع أنحاء العالم، واستخدامها في الشّابكة. وعلينا أن نشير إلى أهميّة النّشر العلميّ الذي يمسّ المجلاّت المحكّمة العلميّة والمنمّطة دوليًّا والتي أقرّت بموجب اتّفاقيّات/ برمجيّات مفتاح ضمان الجودة

والشّهرة وحماية الحقوق الفكرية، والنّشر الآمن، والمصداقيّة العلميّة. فهل نجد المجلاّت المكتوبة بالعربيّة تنال هذه المواصفات؟ هو سؤال كبير لا يمكن أن نجيب عنه إلاّ بعد معرفة تحقّق شروط النّشر الإلكترونيّ الذي تفرضه لغات العولمة على نمطيات المجلاّت العلميّة العربيّة والعالميّة من مثل: وجود هيأة تحرير، ومستشارين، ولجنة تحكيم، وشروط الكتابة حسب اختصاص المجلّة. والقاسم المشترك بينها تقيّدها بشروط تضعها في الصّدارة لاحترامها من الباحثين، كما تنصّ معظم المجلاّت أنّها تنشر البحث إذا نال قبول لجنة التّحكيم، وليست ملزمة بما يحمله المتن من معلومات، أضف إلى ذلك أنّ المقالة المرفوضة ليس من حقّ صاحبها الطّعن في لجنة التّحكيم.

ويمكن أن نشير إلى متضمّنات افتتاح معظم مقالات المجلاّت، وهي مثل:

1.9- الاسم والعنوان، رقم الهاتف، البريد الإلكترونيّ.

2.9- وضع ملخّص بلغة النّص؛ يوضّح أهمّيّة الموضوع، وأسباب الكتابة فيه.

3.9- وضع ملخّص بالإنكليزيّة ليكون له موقع العالميّة.

4.9- وضع الكلمات المفاتيح.

هذه إجراءات شكليّة ممكنة، ولكن القضيّة في اللغة العربيّة افتقارها إلى مسايرة برمجيّات النّشر العلمي على غرار: النّشر الحرّ/ (free publishing software) وهي برمجيّة تساعد على النّشر والتّقليل من أعباء تكلفة المنتج المنشور، وتمكّن النّاشرين من استخدامها، ونسخها، ودراستها، وتعديلها، وإعادة توزيعها بقليل أو بدون أيّة قيود، بالإضافة إلى حرّيّة دراسة وتعديل الشّفرة المصدريّة للبرنامج ومشاركة المجتمع بالتّعديلات،

ونشير إلى برمجيّات أخرى ذات العلاقة **(SOPS) وتسمح بنشر** المحتوى العلمي لأشكال متعدّدة من الوسائط الإعلاميّة، مثل: المحفوظات والأرشيف الشّخصي/الأرشيف والمحفوظات المؤسّسيّة/ المجلات الإلكترونيّة/ وقائع المؤتمرات

الإلكترونيّة، كما نشير إلى برمجيّة **(Open Journal Systems) وهي تعمل على تأمين** المتطلّبات التي تتيح إنجاز هذه المهمّة وفق معايير عالمية...

برمجيّة النّشر الإلكترونيّ هي التي تعمل على إعطاء المجلاّت العربيّة موقعًا في المحتوى الرّقميّ للّغة العربيّة، وتنقلها للمنافسة والعلميّة... تلكم هي مضايقات النّشر الإلكترونيّ التي يجب ربحها مع منتجي البرمجيّات، ويتطلّب استراتيجيّة واضحة من قبل الحكومات والمجتمعات العربيّة بأهمّيّة صناعة المحتوى الرّقميّ العربيّ بكلّ ما يحمله من تراث وفكر وعلوم وآداب وفنّون وثقافة ودراسات وأبحاث وكتب ودراما ولهجات... لأنّ حجم وقيمة المحتوى الرّقميّ العربيّ انعكاس لقوّة ومكانة العالم العربيّ. وأمام هذا الوضع الضّعيف لمكانة مجلاّتنا في العالم، كان علينا الانطلاق من اعتماد برمجيّة/برمجيّات عالميّة مساعدة تكون المنطلق لجعل المحتوى الرّقميّ بالعربيّة ينمو شيئًا فشيئًا حتى يصبح مبدعًا في برمجيّة خاصّة متاحة عبر السّوق الإلكترونيّة.

وما كان علينا أن نقف في هذا الحدّ، يمكن أن نبحث عن الحلول الأولى ولو في تطوير البرمجيّات التي نستعملها حاليًّا في مجلاّتنا وفي كتابات البحوث العلميّة: Microsoft Word /Latex /Excel، وهي برمجيّات سهلة ومجانيّة وتتفتّح على آفاق جديدة، ولها تطبيقات كثيرة لا تنتهي فالأحرى العمل فيها لإنشاء برمجيّة تُراعي خصوصيّات العربيّة، ولا مانع من التّماهي مع الخليط البرمجي للوصول إلى برمجيّة خاصّة للعربيّة، وهذه هي الحضارة التي يصنعها الجميع. والغاية من هذا، لا يمكننا تجميل الوضع الإلكترونيّ الذي تعيشه العربيّة في مجال النّشر الإلكترونيّ إذا لم تُحلّ أمثال هذه القضايا العالقة في جزء من أجزاء المشكلة اللغويّة في العربيّة.

10. العربيّة والمعالجة الآليّة: لا يمكن للعربيّة استدراك التّأخير إذا لم تدخل ميدانَ الرّقمنة والمعالجة الآلية، وما له علاقة بالهندسة اللغويّة، وهذا هو التّحدّي المنتظر من أهل العربيّة، ويُنتظر من العاملين على تطويرها تقديم الخدمات النّمطيّة الحديثة التي تنقل العربيّة إلى لغة العلم المعاصر، على غرار:

بناء محرّكات بحث عاليّة السّرعة في العلاج ووضع قاعدة البيانات، والمكانز اللغويّة، ثمّ المحلّل الصّرفيّ+ المحلّل النّحويّ+ المدقّق اللغويّ+ بناء مدوّنات معجميّة للعربيّة+ بناء مدوّنات للشّعر والقرآن الكريم والحديث النّبويّ الشّريف والفقه+ بناء برامج القارئ أو النّاطق الآلي+ بناء المعاجم السّياقيّة+ بناء المعاجم المتخصّصة+ وضع التّطبيقات الصّرفيّة والنّحويّة والإملائيّة+ بناء برامج تعليميّة لغير النّاطقين بها...

تلكم هي رهانات تنتظر أهل العربيّة لجعلها تعيش المعاصرة وتقبل المنافسة، ويكون لها المقام العَلِي أمام لغات العولمة ولغات العلم. وبكلّ هذه الأشياء الحديثة يمكن لنا أن نتحدّث عن عالم التّطوير اللغويّ في ذات العربيّة، والوقوف على محاور خدمة العربيّة ووضعها في المكان اللائق بها عالميًّا؛ بإثراء المحتوى العربيّ.

11. اللسانيات والذّكاء الصّناعيّ: علينا الاستثمار في علم اللسانيات بما يعرفه من توسّع في اللسانيات الحاسوبيّة؛ وهو فرع من اللغة والحاسبة، ويهدف إلى تعميم نماذج رياضيّة للتّراكيب اللغويّة ويتمّ تنفيذها عن طريق الآلة. وهذا المجال أبدعت فيه اللغة الإنكليزيّة في محلّلات عجيبة عملت على عولمتها وخلقت تنافسًا بين اللغات الطّبيعيّة، وبين الشّركات الكارتل التي تنتج التّطبيقات والمكانز والموسوعات. فما موقف العربيّة من هذا الزّخم الكبير؛ وهي تشهد علم اقتصاد المعرفة القائم على العرض والطّلب في سوق اللغات وفي الميزان التّجاريّ اللغويّ.

هو اقتصاد طغت عليه اللغات الأجنبيّة، واستثمرت فيه بعض الدّول، ولا تملك الغاز ولا البترول، ولكنّها تصنع الفكر وتبيع المعلومات دون جُهد يدوي بل هو جَهد عقلي على غرار فِعْل كوريا+ فنلندا+ السّويد+ كوبا+ اليابان+ الصّين+ الهند... واقتصادها يتمثّل في بيع المعرفة عن طريق البرمجيّات+ الخطط الإنمائيّة+ بيع الخرائط+ بيع الطّرق السّيارة+ بيع برامج المكيّفات+ بيع نماذج نقل السّكك الحديديّة+ بناء الرّوبوتات+ بناء المركّبات الدّقيقة+ تطوير الذّكاء الصّناعيّ...

العربيّة اليوم تستورد هذه المعرفة، وهي عالة على اللغات الأجنبيّة؛ لذلك علينا إعادة النّظر في احتذاء ما سلكته هذه الدّولة النّاهضة الآن ليكون ذلك

منطلقًا لنا في توصيف لغتنا، وبناء البنوك الشّجريّة للنحّو العربيّ والإطار الهندسيّ الذي يتّفق ومعطيّات الرّياضيات التي تنطلق منها خوارزميّات لا لغة لها، ولكن لها صورنة علميّة للّغة الطّبيعيّة، وكان علينا التّركيز على النّحو العربيّ الذي يستند إلى أسس المنطق الرّياضي في التمثّيل/ التّجريد، وهو المسؤول الأساس لتوفير المعطيّات الضّروريّة لهذه الصّورنة وللتّحليل اللغويّ الأعمق، لذا نحتاج إلى بناء وتوظيف تقنيّات الذّكاء الصّناعيّ وفق النّحو العالمي، والعربيّة العلميّة/العالميّة، وعلينا اعتماد لسانيات المدوّنات التي تعني بدراسة العربيّة درسًا وبحثًا وتعلّمًا وتعليمًا، لتنالَ لغتُنا مكانَها المستحقّ بين اللغات الحيّة، ويعني هذا البناء اللغويّ الذي يكون عُمدة الانطلاق، والتّوظيف اللغويّ للمادّة العلميّة المتبناة، وتطوير المادّة بما يتوافق وبرامج الذّكاء الصّناعيّ، والرّهان على الآلة بما تقدّم من مادّة لتسهل عمليّات التّحليل.

وبما تقدّم نقضي سريعًا على مضايقات عدم أجرأة النّحو العربيّ+ مشاكل الكتابة+ مشكلة الشّكل العربيّ+ صعوبة تعرّف (OCR) على الكتابة العربيّة+ مضايقات تحويل (PDF) إلى (Word)، هذه المضايقات لا يمكن رفعها إلاّ بمزيد من جمع مادّة اللغة العربيّة إلكترونيًّا، واستكمال المعجم التّاريخيّ، والعمل بالتّجارة اللّغويّة ودوائر المصاريف، والموسوعات... وهذا كلّه يتطلّب تحقيق المشاريع الكبرى خطوة خطوة؛ تتولاّها المجامع والمؤسّسات العلميّة والثّقافيّة العربيّة في جدول زمنيّ محدّد. وسوف يتحقّق ذلك بحصول الوعي باللغة العربيّة، فهي التّراث وهي الوجود، والاهتمام بالمدوّنات وبالتّربيّة والتّعليم، فهي بناء مجتمع المعرفة الذي يتطلّب لغة وطنيّة مشتركة عمادها العلم والمكانز والموسوعات وعماد كلّ ذلك الآن الآلة. وما أحوجنا إلى رجّة عاليّة صوابيّة في تخطيط السّياسات اللغويّة والتّربويّة، واستشراف المستقبل، والتّخطيط على الآماد الثّلاث لمشاريع مستعجلة/ متوسّطة/طويلة المدّة.

12. اقتصاد المعرفة بالعربيّة: ما يجب وعيُه أنّ عجلة التّقدّم لا تنتظر أحدًا فالعجلة تدور، وتحمل قطارًا يَسَعُ كلَّ اللغات، وهذا القطار لا يعود للخلف

ويحمل معه الثّوابت، ويُصحّح ما ليس قائمًا على الصّواب، ويهجر من لا يحمل العُدّة العلميّة. وعليه، فإنّ المعرفة تحتاج التّحديث والإضافة؛ باعتبارها حضارة الإنسان الواعي الدّؤوب، واستمراريّتها في ثبات جذورها وعمقها وتكيّفها عبر الزّمان والمكان. وأنّ المعرفة تصدر من اللّغة التي تحملها الهُويّة والفكر، ولا معرفة بغير علم، ولا علم دون قيّم يتمثّلها الإنسان ولا منظومة لغويّة دون اتّساق ومنطق وعلّة.

وهكذا هي المعرفة التي تحصل في صورة الشّيء في الأذهان، والعلم هو حصول حقيقة الشّيء في الأذهان، والعارف من يحصل له العلم بطريق الحدّس والقلب، ويُبرهن على حقيقة الحدّس والقلب بالتّطبيق. وهكذا؛ فإنّ العرفان (connaissance) هو الإدراك بالحسّ، والعلم (science) هو إدراك بالنّتائج والملموسات، وهكذا كانت الحضارة العربيّة الإسلاميّة تجمع بين الرّوح والمنتوج العلمي غير المنافي للقيّم الإنسانيّة. ومن خلال هذا هل كانت حضارتنا مُستهلكة أم مُضيفة، وهل سايرنا الحضارة، وهل اعتمدنا نظريّة المحاكاة بالتّحيّين التي تعني الإضافة المؤدّية إلى التّأصيل، وغير ذلك من الأسئلة التي يمكن أن تعود بنا إلى إمكانيّة العودة إلى الماضي المجيد. وعلينا أن نعرف أنّه لا سبيل إلى التّأصيل إلاّ باللغة العربيّة الفصحى، ومشكلتنا أنّنا نسعى إلى تحيين المعرفة بغير لغتنا، وهذا ما يجعلنا نزداد تأخّرًا، وأن صناعة المعرفة عندنا لا تكون إلاّ بالعربيّة الفصحى؛ لأنّها هُويّتنا وحريّتنا في الوقت نفسه، وهي الوحيدة القادرة على أن تنمّي اقتصادنا. علمًا أنّ التّفكير باللغة والتّعبير باللغة من عقابيل التّأخّر وتضييع الوقت، وانفصام الشّخصيّة، والحضارة تُبنى بلسان ذات الأمّة السّاعية للتّحضّر. وأثبت الزّمان أنّنا لم نتقدّم شيئًا منذ عقود بلغة المُستدمر، بل كنّا مُستهلكين لأغراض صياغة وتوسيع لغته دون إضافة، وبقينا عالةً دون النّهوض الحضاريّ، والشّواهد المعاصرة تؤكّد أنّ كلّ أمّة لا تنهض إذا هي لم تنهض بلغتها.

إنّ اقتصاد المعرفة مبنيّ على اللغة العلميّة التي تكون من التّنمية الاقتصاديّة والمجتمعيّة والبيئيّة والثّقافيّة، وكلّها ترتبط باللغة المشتركة التي ترفع من سويّة

التّنميّة المستديمة. إنّ اللغة العربيّة لها حُزم من المعارف المعاصرة بما يضمن لها اقتصادًا معرفيًّا محيّنًا؛ يثري سُبل العقل في سعيه إلى تحصيل الحقيقة في مجالاتها المختلفة. وتحتاج إلى تحيين المعرفة بإصلاح وترشيد قائميْن على استكناه الحقيقة العلميّة في تراكم يثري المعرفة بالمزيد من الاستكشافات التي تنفع النّاس.

وهكذا كان على القائمين على تحديث العربيّة القيام باستحداث آليات المعرفة بالعربيّة في عالم متغيّر؛ لأنّه لا يمكننا أن نسبح في نفس ماء البحر مرّتين؛ لأنّ مسار ماء البحر ليس جامدًا، ولهذا علينا حسن استغلال الجديد بسباحة جديدة، وهذا ما يتطلّبه تحيين المعرفة (Updating Know /Mise a jour du savoir) Ledge، والتّحيين يتعلّق بإنتاج المعرفة باللّغة الوطنيّة المشتركة، كما يرتبط بالوسائط المستعملة في عمليّة تحيين المعارف التّقنيّة والمناهج الفكريّة والهياكل الثّقافيّة التي هي مِلك للحضارة الإنسانيّة. وكان علينا البحث في اقتصاد المعرفة الذي يقوم على المعرفة الفنّية والإبداع والذّكاء والمعلومات السّائرة وهو القوّة الفاعلة، وفيها يقع الاستثمار في منظومة القيّم الثّقافيّة في التّعليم والتّنميّة البشريّة، بالتّركيز على التّراث والمكانز اللغويّة والموسوعات الكبيرة، والمعاجم وأُمات كتب السّلف، وضخّها في حوامل معاصرة تستجيب للذّكاء الصّناعي، ثمّ يأتي دور المعلّم؛ وهو عمود من أعمدة التّطوير ثمّ اعتماد تقنيّات المناهج الأدبيّة واللسانيّة والعلميّة ثمّ المحتوى الرّقميّ، وكلّ ذلك في صورة مُلبيّة لنمط المنظومة العالميّة، وفي بيئة عربيّة تعرف الحراك اللغويّ والاجتماعيّ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ضرورة التّفتّح اللغويّ حسب احتياجات مراحل التّعليم نحو حركة صوابيّة في التّحديث في كلّ مهارات اللغة العربيّة.

ومن خلال كلّ ذلك نسعى إلى التّنميّة في مجتمع المعرفة، على اعتبار أنّ المعرفة متعدّدة الأبعاد، والتّركيز على تكنولوجيا المعلومات والاتّصال والمعرفة لبلوغ استخدام النّمو وخلق الثّروة وفرص التّوظيف عبر كافّة الصّناعات، وهذا يكون عبر: صناعة الأفكار (إنتاج)+ تحضير البيانات (مادّة أوّليّة)+ العقل المدبّر (أداة)، وبذلك يكون ضخّ المعلومات سريعًا في الاقتصاد الرّقمي والتّجارة الالكترونيّة.

ولهذا، علينا العمل الدّائم على تفعيل العامل البشري بنوعيّة عاليّة وهو أسّ المعلومات وتوظيفها في اقتصاد المعرفة، وهيكلة الاتّفاق وترشيده.

13. اللغة العربيّة وقوّة الإعلام: إذا أردتَ أن تكسب مُجتمعًا مُنسجمًا دون قلاقل، عليك الاستثمار في ترتيب بيت اللغة المشتركة، ثمّ الإعلام المساند لذات اللغة، ثمّ تعميمها في مختلف المناحي الإداريّة. ويقع التّركيز في هذه النّقطة على عامل الإعلام الذي يعمل على النّشر الإعلامي للّغة بتعضيدها والرّفع من سويّتها من جوانب تحقيق السّلطة الرّابعة، والقوّة الخامسة في وسائل التّواصل الاجتماعي، على غرار لغة الشّباب، وهم القوّة الكبيرة في استعمال هذه الوسائل وفي الميديا الحديثة. ونعلم ما يُشكّله كارتل الإعلام في التّوجيه والتّضليل والإثارة بما له من قوّة ناعمة في السّياسات الوطنيّة والتّنميّة الاجتماعيّة. وكما يُقال الإعلام سلاحٌ ذو حدّين، يُقيم أمّة على سوقها أو يهدّها من جذورها، فهو يبني إذا أُحسِن توجيهه نحو ربطه بالسّياسّة الوطنيّة، واعتماده على المرجعيّات الوطنيّة، وتوجيهه لفكّ القلاقل الوطنيّة، وضبط آلياته المنهجيّة في الآفاق، وهو العكس إذا أُسيء توجيهه، ويا ويل من يمضغه في لغاته المتنوّعة، يحطّ الكبير ويرفع الصّغير.

وكان من وصفات حديثة لدى رجال الإعلام ضرورة اعتزاز الإعلام باللغة المشتركة، واللغات المحليّة، واعتماد المرجعيات اللغويّة، والعمل على تحقيق إعلام لا ينام، وذلك على جبهات: جبهة تطوير اللغة المشتركة+ جبهة التّفتّح العالمي+ جبهة الانسجام الجمعيّ+ جبهة رفع التّحدّي اللغويّ+ جبهة المجابهة الإيجابيّة+ جبهة العولمة والتّفاعل معها+ جبهة المعاملة بالمِثل+ جبهة المبادرات التّطوّعيّة... وهكذا يلعب الإعلام دورًا في اللغة وفي التّخطيط للّغة، والتّنادي للّغة، ومن هنا، من الضّروريّ الاستثمار في لغة الإعلام، وفي وسائل التّواصل الاجتماعيّ استثمارًا قويّا لتلعب دور التّوجيه والمرافقة.

ويبدو لنا في هذا المقام أن نعمل على كسب رهان التّحدّي المعاصر في الرّقمنة الإعلاميّة، والاستثمار في السّمعيّ البصريّ، وتحديث في مبنى ومعنى اللغة الإعلاميّة، والمجابهة الثّقافيّة أمام اللغات الأمميّة، واستشراف المستقبل للغة

الإعلام في أوطاننا العربيّة، والعمل على إنجاز دراسات إعلاميّة مستقبليّة في لغة الإعلام، وتحيين آليات لغة الإعلام. ونرى في هذا المقام تقديم مواصفات لغة الإعلام التي تكون قيمة مضيفة للشّأن العامّ، ونراها كما يلي:

1.13- أن تكون مشتركة.

2.13- مقتضبة وسريعة.

3.13- مؤثّرة جاذبة.

4.13- لغة بيضاء/ وسطى.

5.13- هادفة وناقلة وواصفة للحدث.

6.13- سابقة وسباقّة.

7.13- بين الانقباض والأُنْس.

ولا يفوتنا القول هنا بتأكيد أهميّة السّلطة الرّابعة باعتبارها ملازمة للسّلط الثّلاث، بما تحمله من صدق وتأثير ومحافظة وحريّة تعبير ضمن احترام المرجعيّات، وبعدم هتك الحرمات وما يؤمن به المجتمع وما يجمعهم على السّواء؛ ويكون حذرًا من بريق المال الفاسد والتّحريض والتّهييج والتلهيج والسّير ضدّ التّيار في قضايا الدّين واللغة والعُرف، وهي من المسلّمات التي يجب العمل من أجل احترامها والدّفع بها لتكون محترمة، ولا يكون الإعلام من الطّابور الخامس الذي يسير ضدّ التّيار، باسم حريّة التّعبير، فتكون لغته سمومًا وأسهماً تعمل على التّفتيت الجمعي، وهذا إعلام مغرض وكاذب وفتّان. ونريد هنا أن تكون لغة الصّحافيّ تحمل الوازع الذّاتي دون رقيب، وبكلّ موضوعيّة يستعمل اللغة الوسطى الصّادقة التي تحصّن مهنته من الهجنة والخليط اللغويّ، ومن التّداخل اللغويّ المُقرف باسم السّبق الصّحافي.

14. العربيّة والاعتبار من النّهوض الأوروبي: بدأت أوروبا تعرِف تقدّمًا منذ أواسط القرن VIX الميلادي؛ حيث اهتمّت أولًا بالعلوم الإنسانيّة؛ باعتبارها باب

العلوم، وركّزت على موضوعات: الحريّة+ التّعصّب+ التّسامح+ الاهتمام بالتّراث+ خوض ميدان ثورة البخار انطلاقًا ممّا أخذته من الحضارة العربيّة الإسلاميّة أيّام مجد العرب في الفردوس المفقود/ جزيرة إيبيريا، وكان ذلك مفتاح التّطوّر في إحياء التّراث الكلاسيكيّ وموطنه في إيطاليا.

ونظرًا لموقع إيطاليا الذي جَعَلَهَا على اتّصال بحضارات البحر الأبيض المتوسّط انطلقت الحضارة الغربيّة من موطن هجرة علماء اليونان إليها من كلّ أوروبا، وكان لأمراء إيطاليا دور في إحياء الآداب والفنون، وشهدت إيطاليا حركةً علميّةً بصورة عقلانيّة حديثة، وكانت تُنادي بضرورة الخروج من فكر العصور الوسطى المانعة للاجتهاد، وتسلّط الكنيسة، وكانت البداية من الاهتمام بالعلوم الإنسانيّة كما قلنا، ولماذا كانت البداية بالعلوم الإنسانيّة؟ لأنّه إذا قوّمتَ الجانب الروحيّ/الإنسانيّ يصبح الإنسان مُبدعًا لا آلة.

وهكذا حدّدت أوروبا مراتب النّهضة وفق التّراث الكلاسيكي: الأدب+ الفنّ+ الفلسفة. وبرع في ذلك: دانتي إليجري/ Dante Alghieri 1321م، فرانشيسكو بترارکا/ Frantfesko Petrarka 1374م جيوڤاني بوكاشيو/ Giovanni Boccaccio 1375م. وكانوا يقولون "لا خوف على مسيحيّة الشّاعر إذا استلهم تراث اليونان والرّومان". ثمّ الاهتمام بالشّعر: وكان على يدّ جيفري تشوسر/ Geoffrey 1400م، ليوناردو دافنشي/ Leonardo Di ser /Piero Da Vici 1519م، توماس مور/ Thomas More 1540م، فرانسوا رابليه/ François Rabelais 1553م. ثمّ مراتب الفنّ، ويعدّ مايكل أنجلو/ Michelangelo 1515 من أعظم فنّانيّ عصر النّهضة، ومن أعماله المشهورة تمثاله الرّخامي (التّقوى) وهو يُصوّر العذراءَ مريمَ وهي تحمل ابنها في حجرها. وقد وُضع هذا التّمثال الرّائع في كنيسة ملوك فرنسا، ثمّ جاءت الآلة على غرار ظهور الطّباعة على يدّ الألماني جوتنبرغ 1438م، والبحث في علم الفلك في فكر البولندي نيكولاس كوپرنيكوس/ Nicolaus Copernicus 1543م، وفي فلسفة الحكم بأحكام نيكولا ميكيافيلي/ NiccolÒ Machiavelli 1527م، وكتابات كثيرات في إصلاح الكنيسة، وبخاصّة كتابات مارتن لوثر/ Martin Luther 1546.

واكتشافات جغرافيّة جديدة لكريستوف كولومبس/ Christophorus Columbus ت 1506م، وشكّل عمله الجغرافيّ انقلابًا في طرق التّجارة الدّوليّة، وفي الاقتصاد العالميّ، بظهور طريقين: طريق الحرير+ طريق الملح... وهكذا حصل التّطوّر برعاية الأوائل، ونشير إلى أمير إيطاليا كوزيمو ميديتسي/ Cosimo de Medici 1464 وهو أمير وشاعر، وإلى البابا نيقولا NiccolÒ V/ V ت 1455م، وإلى النّاشرين في تأسيس المطابع من أثرياء إيطاليا مثل مطبعة فلورنسا+ مطبعة البندقيّة.

وهكذا شهدت النّهضة الأوربيّة تجربة إنسانيّة جيّدة وفذّة وخصبة، وكان محورُها الإنسان في تقويم سلوكه قبل منتوجه الآليّ وسيطرته على الآلة لا سيطرة الآلة عليه. وبذلك تحقّق التّراث اليونانيّ والرّومانيّ ودرس دراسات وافيّة أخضعته للنّقد، واستلهمت قيم وأفكار جديدة أسهمت في إرساء قواعد الحضارة الأوربيّة. فهل يمكن أن نعتبر من هذه النّهضة الأوروبيّة؟

في الحقيقة كانت للعرب نهضةٌ معاصرةٌ بدأت بالعلوم الإنسانيّة، ومنطلقها الطّهطاوي+ الأفغاني+ محمّد عبده+ ابن باديس+ محمّد رضا+ الطّاهر بن عاشور... وهذا الرّعيل قطع شوطًا كبيرًا في عملية التّحديث في البِنْيات الفكريّة العربيّة العتيقة بفكر مستنير؛ عبر خلق توافق بين متطلّبات الحياة المدنيّة المعاصرة، وبين الدّين الإسلاميّ وقيمه السّمحة.

إنّ العرب استلهموا حضارتهم في جانبها الإنسانيّ بداية بالفلسفة والمنطق والتّصوّف والأدب، ثمّ الفلك والطبّ والرّياضيّات والجغرافيّة، وكان العقلُ مُبدعًا مُنفتحًا على مَعارف مُتنوّعة، وكانت عظمة استثنائيّة ارتكزت على التّعبئة النّفسيّة، وفي كلّ ذلك يُحدِث المزيدَ، بما عرفته من اهتمام بحركة التّرجمة الواعيّة المضيفة، ثمّ توسّع الفكر العلمي متمشّيًا مع انتشار الإسلام واللغة العربيّة بصفتها لغةَ تواصل جديدة بامتداد كبير وَصَلَ إلى الصّين، وأزاحت لغاتٍ كانت قويّةً مثل السّريانيّة واليونانيّة، وكان لها التّأثير في الماضي بشكل لا مثيل له، ويقول الفرنسي (لويس ماسينيون/ Louis Massignon) "اللغة العربيّة هي التي أدخلت في الغرب طريقة التّعبير العلميّ وهي من أنقى اللغات؛ فقد تفرّدت في طرق

التّعبير العلميّ والفنّي". ويقول الإسباني (كاميليو جوزي سيلا/ Camilio Gozy Silla) "إنّ لغات العالم تتّجه نحو التّناقص، وأنّه لن يبق إلاّ أربع (4) لغات قادرة على الحضور العالميّ وهي: الإنكليزيّة+ الإسبانيّة+ العربيّة+ الصّينيّة.

ولكن كيف حال العربيّة الآن؟ هنا المشكلة التي نتداعى من أجلها للنّظر في عقابيلها ومسائلها العالقة؛ بما يضمن لها العودة إلى المجد الماضي، فليس صعبًا إذا شُدّت العزائم، وصَدقت النّيات وكشفت السّواعدُ عن العمل، وعملنا بسياسة المراجعة لا التّراجع. وعلينا استلهام العبرة من التّجارب النّاجحة، والإفادة منها في الدّفع بالنّهضة اللغويّة المجتمعيّة التي لا تحصل بدون اللغة المشتركة.

ولكي يعود النّهوض والمجد اللغويّ، علينا أن نستكنِهَ مؤهّلات اللسان العربيّ والاستعدادات التي يتوفّر عليها، فنرى الأمور مَقضيّة مُيسّرة بما تكتنزه العربيّة من مؤهّلات داخليّة وخارجيّة، وما لها من مَتن كبير، ومَكانز ومَعاجم وجذور وماضيها في العطاء، وانتشارها عبر العالم دون صدام لغويّ، فقد أغنت الحضارة الغربيّة بما لها من تسامح لغويّ في العطاء والأخذ، وفي بناء المؤسّسات واستقبال الموريسكيّين بكلّ تسامح حضاريّ... كما أنّ المُؤهّلات المُعاصرة تشير إلى مُمهّدات حصلت منذ نابليون، ومع المُهاجرين العرب إلى أمريكا اللاتينيّة، وكذلك العرب الذين رحلوا إلى فرنسا وأفادوها فرنكفونيًا على غرار: طه حسين+ محمّد أركون+ چاك بيرك+ الطّاهر بن جلون+ أمين معلوم+ آسيا جبّار... إذن هي بدايات النّهوض المشترك للحضارة الإنسانيّة، ونجد فيها العربَ مع المستشرقين في صورة الأخْذ والعَطاء.

15. التّنميّة البشريّة باللغة المشتركة: نعيد ما كنّا نؤكّده من خلال الدّراسات المستقبليّة أنّ تنميّة أي بلد يتعلّق بتوحيد اللغة؛ وهي العامل الأساس للتّنميّة؛ حيث يحصل فيها التّناغم بين البناء العمودي للأشخاص المُسيّرين الاعتباريّين وبين البناء الأفقي للأشخاص العاملين الفعليين.

ولهذا تولي الأمم الرّاقيّة قيمة للّغة المشتركة لتكون لغة البحث والإنتاج والتّسيير في مختلف مرافق الدّولة؛ حيث يعدّ العامل البشريّ مُهمّا في ترجمة كلّ

النّمو العامّ للدّولة، وتولي تقارير التّنميّة البشريّة هذا الجانب للعناية بغنى المواطن باعتباره محور التّنميّة، بغنى الاقتصاد وزيادة ثروة البلاد، بحيث أصبح الإنسان محور التّنميّة، وأصبحت التّنمية تُقاس بدليل التّنمية البشريّة الذي يعدُّ رفاه الإنسان هو الهدف، ويقع التّركيز على "الحياة المديدة والصّحيّة، وتُقاس بمتوسّط العمر المتوقّع، عند الولادة. والمعرفة، وتُقاس بمتوسّط سنوات الدّراسة، والعدد المتوقّع لسنوات الدّراسة. والمستوى المعيشي اللائق بالكرامة الإنسانيّة، ويُقاس بنصيب الفرد الفعلي من الدّخل القومي الإجمالي"[3].

وهكذا نرى العامل البشري هو الذي يعطي القيمة للتّربة وللوقت والعمل. وهذا الأخير يخلقه البشر في الوظيفة العموميّة وما يتبعه من العمل التّطوّعيّ والإبداع، وخلق فرص عمل جديدة. وكما نرى بأنّ عامل التّنميّة البشريّة يُعدّ العمود الفقريّ لأيّة تنميّة، ولماذا تأخّرنا؟ لأنّنا لم نستثمر في رفع قيمة الفرد، ووتيرة تثمين الجهد، ولم يحصل الوعي الجمعي في رفع الأمّيّة رغم تعدّد الاجتهادات في هذه القضيّة منذ عصر النّهضة العربيّة خلال القرن التّاسع عشر والثّلث الأوّل من القرن العشرين، عندما واجه بعض المفكّرين هذه القضيّة، ولكنّهم لم يفلحوا إيجابيًّا في كلّ مناحي الحياة، رغم أنّهم أفلحوا في التّصدي لمظاهر التّغريب، والحفاظ على اللغة العربيّة المشتركة. ولكنّهم لم ينجحوا مئة في المئة بحكم الاكتفاء بالتّنظير وإلقاء المحاضرات التّوعويّة، وكتابة المقالات الحماسيّة، وكانت في أرض لا تُعطي الزّرع؛ لغياب شروط تحقيق التّنميّة البشريّة، في المجال السّياسيّ والتّربويّ والثّقافي والخدماتي.. وكان أهمّ مجال هو التّعليم ولغة التّعليم، ولهذا لم تحصل تنميّة بشريّة عاليّة الجودة بالغُربة اللغويّة والمدارس العموميّة المهترئة، وما صاحبها من نظرة دونيّة للّغات الوطنيّة ونظرة فوقيّة للّغات الأجنبيّة.

تِلْكُم هي مضايقات العصر في عدم تحقيق تكوين فئات بشريّة كبيرة تعتزّ بالأرض والوقت والعمل واللغة المشتركة والتّاريخ الوطني والأهداف المشتركة، وهذا سوف يخلق أصنافًا من المواطنين بعقليّات متضاربة لتعدّد ثقافات اللغات التي أخذوها، وهذا سيؤدّي إلى اضطرابات وثورات شعبويّة دون الحديث عن ازدياد

هجرة الأدمغة، وإعداد نُخب وطنيّة يستغلّها الآخرون جاهزة، وهذا بسبب النّظام التّعليمي الغريب، وعدم الاهتمام بلغة الأمّة في التّعليم العالي، وفي البحوث المعاصرة. وما يجب علمه أنّ تلازمًا كبيرًا بين اللغة الوطنيّة المشتركة والتّنميّة البشريّة، ولا تحصل عجلة التّنميّة إلاّ بالإشارة إلى أنّ اللغة الرّسميّة في أيّة دولة قائمة على التّنميّة العامّة، وأنّ تعلّم اللغات الأجنبيّة كلغات استفادة لا لغات هويّة ضرورة لازمة للتّنميّة البشريّة.

ولهذا نروم أن يحصل تعلّمٌ جيّدٌ للغات بصفة عامّة، ولكن لسنا من دعاة التّعليم بها في أوطاننا؛ لأنّ تعليم العلوم بلغة أجنبيّة يُعرقل استيعاب تلك العلوم، ويحول دون توطينها؛ فتظلّ اللغةُ الأجنبيّة منحصرةً في نخبة محدودة، ونعيش عصر النّخبويّة في مجتمع واحد. إضافة إلى أنّ مجتمع المعرفة لم يحصل في أيّة دولة إلاّ عن طريق اللغة الرّسميّة المشتركة؛ لأنّ سرعة الاستيعاب، وتبادل المعلومات بسرعة وسهولة، والتّمكين من استيعابها بيسر، والإبداع فيها، وتنميتها لا يكون إلاّ بلغة المدرسة المعمّمة ونحن نعلم "أنّ تعلّم اللغة الوطنيّة أيسر من تعلّم اللغة الأجنبيّة، لأنّ تعلّم الأولى يتمّ في بيئتها وثقافتها، أمّا تعلّم الثّانيّة فيتمّ في بيئة غريبة عنها، ويجري نطقها بأعضاء نطق تعوّدت على نطق غيرها، ويتمّ التّعبير بها من فكر تطابق بنياته بنيات لغة غريبة عنها. ولهذا قيل إنّك إذا تعلّمتَ العلوم بلغتك أخذتَها، وإذا تعلّمتها بلغة غيرك أخذتْك". إنّ اللغة الوطنيّة المشتركة تُيسّر تكوين مجتمع المعرفة القادر على تحقيق التّنميّة البشريّة. ولهذا ينبغي تعميم هذه اللغة في التّعليم والإعلام والحياة العامّة. وإذا أردنا تحقيق التّنمية البشريّة لا بُدّ من إعادة الاعتبار للعربيّة في المجتمع العربيّ؛ فهذه اللغة ضرورة وليست ترفًا.

16. وكان على النّخبة: ما يُقوّض أركانَ العربيّة من داخلها الآن صمت النّخبة المثقّفة أمام تصاعد اللغات الأجنبيّة دون أن يكون لها وعي بخطورة العمليّة، أو رجع الصّدى، وكان على النّخبة العمل بالقوّة النّاعمة بالدّفاع عن تحديث العربيّة بالإصلاح المدرسيّ في المقام الأوّل، باعتباره القاعدة والقطار الآمن للوصول بالمسافرين نحو الاتّجاه المطلوب؛ بتحديث المناهج، واستثمار الكتابات الملائمة

بنظريّات معاصرة، والرّفع من مهارات المتعلّم في الممارسات المتنوّعة؛ وصولًا إلى عمق الإشكال في الكيفيّة التي تجعل العربيّةَ لغةَ مجتمع المعرفة بما تملكه من الكفاءات الكافيّة الدّاخليّة والخارجيّة.

وكان على النّخبة إدارة الصّراع الثّقافي الذي نعيشه في أوطاننا العربيّة بمظهر التّسامح والتّكامل والتّوجيه، في صراع الفصحى والهجنة والتّقليد، وفضاء اللغة الثّالثة أو اللغة البيضاء، ومسألة تحديث العربيّة المؤجّلة ومختلف المشاريع الفاشلة، والمستقبل ينتظر منّا الاكتساب المعرفيّ باللغة الوطنيّة.

وكان على النّخبة أن تكون في مستوى البحث عن معايير الاستقطاب، وتوظيف المعرفة في البيئة التّعليميّة في العربيّة كلغة تلعب دور اللغة المشتركة في الخدمة العموميّة. وكان على النّخبة لعب أدوار حيويّة في تقديم المعلومات والنّصائح المهمّة، والتّشجيع على المبادرات واتّخاذ القرارات، وما يتبعها من أدّلة ترويجيّة عبر مختلف وسائل التّواصل الاجتماعيّ، فلا يمكن لأيّ برنامج أو سلعة أن تنال رضا المنتفع إلاّ بلغة تمسّ رضاه، وتبلغ مراميَه، وتجذبه في مطالب الخدمة الخاصّة والعامّة.

وكان على النّخبة أن تحمل حُزمةً من المطالب النّفعيّة ليكون للّغة قيمة ووزن واستعمال؛ باعتبارها تقدّم الخدمات للسّان الجامع في إطاره العربيّ الجغرافيّ في شبة الجزيرة العربيّة ليكون اللسان العالميّ، ولا عجب أن تعلّق بألسنة بنيه حيثما حلّوا لتنتشر بها. وكان على النّخبة أن يكون لها مقام مقولة "يزع بالعالم ما لا يزع بالسّلطان" ونحن بحاجة إلى إمام فعّال، لا إلى إمام قوّال، بحاجة إلى من يُحوّل الكلامَ على حسب الأماني، ويخيط الألفاظَ على قدود المعاني. بحاجة إلى نخبة تقول بعلميّة مجرّبة: لا نلتجئ إلى تعليم الأجنبيات إلاّ بعد أن يتشرّب الطّفل اللغة العربيّة المشتركة، وتسري في عروقه وشرايينه بعد مرحلة القاعدة. وعلينا أن نولي أولادنا وجوههم شطر العربيّة ونخرجها من ضيق الإهمال إلى سعة الاستعمال، ونعمل على جعْلها في مهارات المتعلّم تنساب على الألسنة عذبةً طريّةً؛

يستلذّ بها اللسانُ، وتأنس لها الآذانُ، وهذا ما يجعلها مرغوبةً مطلوبةً عند الوالدين. ومن الضّروري حسن الإتقان في:

1.16- اهتمام الأسرة والمدرسة بالحفظ.

2.16- العمل بنظام الكُتّاب بتحديث الطّريقة والمنهج.

3.16- زيادة الوعي بأهميّة اللغة العربيّة.

4.16- استعمالها في سياقها الفصيح.

5.16- تحمّل أعباء النّهوض بها من كلّ المجتمع.

6.16- دفع جديد للمجامع والمجالس.

7.16- إنتاج وترجمة مسلسلات الرّسوم المتحرّكة والأفلام والألعاب اللغويّة.

8.16- فرض العربيّة على أقسام العلوم.

9.16- الاهتمام بأدب الأطفال.

الخاتمة: ستكون الخاتمةُ وخزًا للوعيّ اللغويّ الجمعيّ الذي يحتاج إلى نظرة حديثة في النّظر الجادّ لما يعرفه الوضع اللغويّ المهترئ من خلال الدّراسات والتّقارير العالميّة التي توحي لنا بضرورة النّظر الجيّد في هذه الأرمادة من الجامعات العربيّة، ولكن أين درجات ترتيبها الدّولي، وفي ضعف الاستثمار في البحث العلمي بِنِسَب محتشمة، مع ما تعرفه مؤسّساتنا الجامعيّة في ضعف الحَوْكَمَة والحَكامة.

وآنَ الأوانُ أن نشخّصَ الوضعَ ببصيرة وتبصُّر لمعرفة الخلل وعلاجَه علاجًا نهائيًا لنسير مع العصر ووفق التّقاليد الأكاديميّة العالميّة المنوط بها خدمة البحث والإنتاج العلمي ومواكبة التّطوّر، وكلّ بلد بلغته. وآنَ الأوانُ العملَ على تطوير البحث العلمي والتّكنولوجي، واكتساب المعرفة والمعلومات لرفع المستوى العلميّ والثّقافيّ والمِهْنيّ عبر نشر ثقافة التّقانة وبناء المنصّات ومواكبة الابتكارات وتوطين التّكنولوجيّة، وبناء الأرضيات الذّكيّة لمعرفة مجالات المعرفة، وهذا ما نُراهن عليه لاستكمال أمْننا الجغرافيّ والعسكريّ والغذائي.

ولكن ما يؤسَف له أنّ تعزيز اللغة العربيّة لم ينل المطلوب، وما نراه في الوثيقة الرّئيسة للتّعليم العالي والبحث العلميّ في الوطن العربيّ آفاق 2030: الرّؤيّة والتّوجّهات الصّادرة عن (الألكسو/Alecso) أنّها لم تُثمّن قيمةَ اللغة العربيّة، في الوقت الذي دعت إلى تعزيز اللغات الأجنبيّة، وذكرت ثلّةً من العلماء الأجانب الزّائرين للدّول العربيّة، ولم تُشر الوثيقةُ إلى العكس، وهذه مَنقصةٌ كبيرةٌ في أنّ مؤسّساتنا العربيّة التي وُضعت لخدمة العربيّة وتعزيز استعمال العربيّة، أغفلتْ هذا الجانب وتماهتْ كليّة مع اللغات الأجنبيّة التي نجحت في بلادها، ولكن لم تتوطّن في بلاد لا تحمل ثقافتها وتاريخها ودينها ومرْجِعياتها، **ولمْ يثبُتْ أنّ أمّةً في العالمِ ارتقتْ باللغةِ الأجنبيّةِ.**

وكان الأحرى بهذه الوثيقة أن تلتفت إلى جانب تطوير اللغة العربيّة آفاق 2030 وتعمل على تشخيص وضعها ومضايقاتها للعمل على تقديم الوصفات التي تجعلها لغةَ العلم، وتطوير آلياتها، والتي تكون وسيطًا للتّنميّة الاجتماعيّة. ومن خلال هذا كلّه ندعو إلى تقديم مشاريع تنفيذيّة للبحث العلمي في العلوم اللغويّة والإنسانيّة والثّقافيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والبيئيّة، وهي أسّ التّقدّم والحضارة، ولا يمكن للمجتمع أن ينموَ نموًا طبيعيًا دون الجمع بين الجانبين: الرّوحي والمادي، وإلاّ سوف يخرج المجتمع مُعاقًا في جانب من الجوانب، وقد يصبح آلةً صمّاء، أو راهبًا يعيش في الماضي. ولتفادي هذا الانفصام علينا **الاستثمار في العربيّة الفصحى**، وهو سبيل من السّبل الذي تخلقه اللغة المشتركة التي يجب التّخطيط لها في مشاريعنا التّقانيّة.

الهوامش:

1. جلين وليماز، اقتصاد المعرفة، اللغة والثّقافة. تر: جبريل بن حسن العريشي، الرّياض. 2013. مطبوعات مكتبة فهد الوطنيّة، السلّسلة الثآنيّة 87، ص 134.

2. نبيل على ونادية حجازي، "الفجوة الرّقميّة -رواية عربيّة لمجتمع المعرفة ". مجلّة سلسلة عالم المعرفة الكويت 2005، العدد 318، ص 311. (بتصرّف).

3. ينظر، علي القاسمي، تقرير التّنميّة البشريّة لعام 2015.

مُنَاسَبَةٌ وَكَلِمَةٌ

العربيّة في الإدارة -نماذج من منجزات المجلس*

الدّيباجة: يسعد المجلس الأعلى أن يكون شريكًا في هذا اللقاء العلميّ الذي يتناول إشكاليّة تخصّ تعميم استعمال اللغة العربيّة في دواليب الإدارة. وكما نعرف بأنّ الإدارة تُعدّ قناةً من قنوات الاعتزاز بالمواطنة اللغويّة؛ حيث تنمو اللغة في المدرسة، ويكون انتشارها عبر الإعلام، وتتعزّز بالاستعمال الأفقي والعمودي في **الإدارة.** واللغة ليست أداة التّواصل فقط، ولكنّها من شؤون الهُويّة والأمن والسّيادة الوطنيّة. وهي الهُويّة ذاتها، وثقافة الأمّة كامنة فيها، وما من حضارة إلاّ وصاحبتْها اللغةُ. وهكذا اللغة العربيّة في وطننا كانت لغةَ الدّول المازيغيّة، ولغةَ أوّل دولة حديثة في عهد الأمير (عبد القادر بن محيي الدّين) ولغةَ أوّل دستور جزائريّ بما نصّت عليه المادّة الثّالثة إلى غاية دستور 2020. وهي لغة الدّين والموروث الثّقافيّ والحضارة الشّرقيّة والانتماء والتّاريخ والاستقلال.

وقد أقامت العربيّةُ وشائجِ ترابطٍ وطنيّة مع اللغات المحليات، وأضحت لغة أعلى منها لما لها من دين وعلم وقوّة وعولمة، وبها قامت الدّولة الجزائريّة في قوانينها منذ الاستقلال، وهي الآن رمز للسّيادة الوطنيّة، والحفاظ عليها من الحفاظ على رمز السّيادة، وكلّما قويت السّيادة الوطنيّة قويت لغتها الوطنيّة، وزاد انتشارها واتّضحت معالمها، وزادت الوشائج التي تربط بين الوطن، فالعربيّة وطن روحيّ للمواطنة.

1. الإدارة: لا يمكن أن تكون الإدارة إلاّ بميزان قانون يعتمد مفهوم الإدارة؛ بأنّها سلسلة من الأجهزة تعتمد التّسيير العامّ والخاصّ، وتقوم على الوظائف الإداريّة

* - الكلمة التي أُعدّت للنّدوة الوطنيّة حول (توظيف اللغة العربيّة في الإدارة العموميّة الجزائريّة: إشكالات وتحدّيات)، تنظيم: مخبر التّداوليات وتحليل الخطاب. قسم اللغة والأدب العربيّ كليّة الآداب واللغات، جامعة حمّة لخضر، الوادي، بتاريخ 9 جانفي 2022م.

المنوطة بالتّسيير والتّدبير والمتابعة والتّنظيم والتّقويم والتّقييم. والإدارة لغة: من أدار، يُديرُ، أدِرْ، إدارةً، فهو مدير، واسم المفعول: مُدار. واصطلاحًا: المعرفة الصّحيحة للعمل المُراد من الأفراد أن يقوموا به، ثمّ التّأكّد من تأديتهم بأفضل طريقة وأقلّ تكلفة، وبحكمة تقتضيها مجريات قضاء المصالح المرسلة. وتقوم الإدارة على سلسلة من الضّوابط المتعلّقة بالأداء الإداري عن طريق **التّنسيق، والتّخطيط، والتّنظيم، والرّقابة، والتّوجيه. وهناك من ينظر للإدارة على أنّها علمٌ وفنٌّ؛ لأنّها** تعتمد على مدارس وقواعد ونظريات، كما تعتمد على الأبحاث العلميّة والأسلوب العلميّ بغرض الإنتاج بكفاءة عالية، وملاحظة المشاكل فور وقوعها، والعمل على حلّها في أسرع وقت، والتّدخّل في الوقت المناسب بالزّجر أو التّشجيع. وتكمن أهمّيّة الإدارة في المجتمع بأنّها المسؤولة عن نجاح القوانين والتّنظيمات وتشكيل المنظّمات والمجتمع المدني داخل المجتمع؛ لأنّها قادرة على استغلال الموارد البشريّة والمادية بكفاءة عالية وفاعليّة. فهناك العديد من الدّول التي تملك الموارد الماليّة والبشريّة، ولكن لنقص الخبرة الإداريّة بقيت في موقع متخلّف. وتستثمر الإدارة في ما يلي:

1. **الحوكمة**: تتمثّل في شخص المُسيّر الذي يحتاج إلى قدرات قياديّة بمصطلح الرّجل المناسب في المكان المناسب، وإلى حسن تدبير المحيطين به في إطار تسلسل قواعد التّسيير من الأعلى للأدني، والعكس كذلك. فالمسؤول يحتاج إلى مهارة وخبرة وذكاء؛ ليتمكّن من التّعامل مع العنصر البشريّ بالشّكل الصّحيح لتحفيزه على إنجاز الأعمال وفقًا للأهداف التّنظيمية الموضوعة؛ لأنّ التّعامل مع الإنسان يحتاج إلى قدرات خاصّة، أكثر من التّعامل مع غير الإنسان. ولهذا يحتاج إلى الاستثمار في التّنميّة البشريّة التي تنتقل عبره الإدارة، كما تعتمد على السّلطة التّشريعيّة والقضائيّة في تطبيق النّظام الإداري، وما له علاقة بقانون استصدار القوانين، وما يحكم بين الرّاعيّ والرّعيّة.

2. **اللغة:** لا يمكن أن تتحرّك دواليب الإدارة إلاّ عبر وسائل لغويّة تقوم على تدويل المطلوب من الوثائق، وعلى الضّبط والتّخزين والتّوثيق والأرشفة وتسجيل

الصّادر والوارد، وكلّ متعلّقات الكتابة التي لا تزول مثل الصّوت إذا لم يُخزّن في حوامله الخاصّة. إنّ اللغة عامل مهمّ للحفاظ على النّقلة التي تشهدها الإدارة وعلى كلّ المتابعات التي تخصّ القوانين والتّخطيط والتقويم والتّقييم والآفاق والتّحضير والتّجهيز... وهذا عبر أرمادة من الوثائق التي تكون شاهدةً على العصر، وعلى مختلف الوظائف التي تقوم بها الإدارة. واللغة هي حافظة ذاكرة الأمّة، وعبر الإدارة يحصل الحفظ في جوانب القانون وما يختصّ بالميراث والمعاملات ومختلف القضايا التي حفظتها الإدارة وتنقل عبر الأجيال.

3. اللغة العربيّة في الإدارة الجزائريّة: لسنا هنا في موقع التّأريخ لاستعمال العربيّة في مختلف مواقع الإدارة الجزائريّة، بقدر ما نقول: إنّ العربيّة لها موقع في كثير من مواقع الإدارة بما لها من عثرات وحوادث لسانيّة وقد اعتورت التّوثيق ولكنّها كانت مسايرة للحدث اللساني آنذاك، ومع ذلك فقد حافظت على أسلوب الإدارة، وعلى الأسماء والألقاب وشجرة العائلة، وعلى الذّاكرة الوطنيّة في كثير من المصالح المرسلة، وهذا عبر النّقل عن لغة المستدمر الذي عمل الكثير من المسخ والمسح في الذّاكرة الوطنيّة، وأحدث الكثير من التّشويهات في مجال الأماكنيّة، وكذلك في تحريف الأسماء وتشويهها وجعلها تشاكل أسماء الحيوانات. وبعد تلك المدّة الطّويلة لم يكن من السّهل أن يحصل الانتقال من لغة الهيمنة إلى لغة الهُويّة، وأن تنال العربيّة موقعها الطّبيعي بعد التّعطيل الذي دام أربعة (4) قرون، ومع ذلك حدثت نقلات نوعيّة عبر ترسانة من القوانين والتّشريعات التي كانت تنزل من الأعلى، ومن الأمانة العامّة للحكومة، ومن الهيآت التّشريعيّة، وعبر اللقاءات التّكوينيّة، وما كانت تقوم به وزارة الدّاخليّة والجماعات المحليّة في تعريب الإدارة وصولًا إلى نظام البيومتري. وكلّ ذلك يترى عبر وثائق أصبحت مرجعيّات لبداية تعميم استعمال العربيّة بصفّتها لغة الدّستور.

وباستحداث المجلس الأعلى للّغة العربيّة؛ باعتباره يعمل على تعميم استعمال العربيّة عبر العمل على ازدهارها، واستبدال المصطلحات الأجنبيّة بالعربيّة بالتّرجمة، ووسائل النّمو اللغويّ، فقد اسطاع أن ينجز الكثير من القضايا

بخصوص تعميم العربيّة في الإدارة الجزائريّة عبر القوّة النّاعمة التي تناغم فيها مع مشاريع كثيرة، بدءًا من تحبيبها والتّرغيب فيها، وتيسير نحوها، وتقديم البديل النّوعي عبر ورشات وطنيّة وملتقيات وأيّام دراسيّة، ولقاءات مع الإداريّين في جلسات وطنيّة، والاستماع إلى مختلف الشّركاء في تذليل العقبات اللغويّة. ومن وراء ذلك خرج بمجموعة من الأدلّة الإداريّة الوظيفيّة، وسوف نقف عند بعض نماذجها:

4. الأدلّة الوظيفيّة: لقد أنجز المجلس ستّة وعشرين (26) دليلًا إداريًّا؛ وكلّ دليل له خصوصياته، من حيث: بعضها أدلّة ثلاثيّة اللغات، بعضها ثنائيّة اللغة بعضها آحادي اللغة، وبعضها عبارة عن لغة المحادثة، وبعضها في شكل قواميس صغيرة... والمهمّ أنّ هذه الأدلّة أُعمل فيها النّظر بما يلي:

1/4. أدلّة وظيفيّة بصفر خطأ لغويّ/ ترجمة.

2/4. صدرت الأدلّة الوظيفيّة بلغة عربيّة بسيطة من السّهل الممتنع وبموضوعيّة تتطلّبها لغة الإدارة، مع متوافقات التّسلسل الإداري، وما يحمله الموضوع، والشّكل وغير ذلك من المستلزمات. إضافة إلى وضع نمطيات لوثائق إدارية؛ بدءًا من الوسم والتّرويسة، إلى الشّكل النّمطي للكتابة حتى الختم والإمضاء.

3/4. وقع الانطلاق من ترتيب الهجاء اللاتيني، وكان التّركيز على (الفرنسيّة) بما لها من استعمال إداريّ في مصالحنا، وكانت المصدر في صناعة بعض الأدلّة.

4/4. تناولت هذه الأدلّة مختلف المفردات/ لغة المحادثة ذات العلاقة بالإدارة الجزائريّة، مع ما صابحها من وثائق نمطيّة دقيقة في مختلف المراسلات بخصوص المجال الإداري.

ويمكن التّركيز في هذه الكلمة على دليلين (2) هما:

1/2/4. دليل خوارزميّة وثائق الحالة المدنيّة: يخصّ الوثائق الإداريّة في مصالح الحالة المدنيّة، وعددها أربع عشرة (14) وثيقة. وقد وُضعت له برمجيّةٌ

بصفر خطأ، من حيث كتابة الأرقام بالحروف، ويبدأ تاريخ استعماله من سنة 1881م إلى 3000م. وفيه دقّة عاليّة يُجْريها محرّكُ بحثٍ؛ يستجيب لخصوصيات اللغة العربيّة. وفيه إضافة كتابة الأسماء الجديدة بطريقة تحمل الأصوات الإضافيّة الموجودة في محارف Caractère Spécieux وهي: ڤ پ ڿ ڳ ڠ ڒ. وخصّيصة كتابة الخطأ أربع (4) مرّات لا تقبل إلاّ بعد الإصرار على كتابة الخطأ للمرّة الخامسة. والدّليل جاء في الأشكال التّاليّة: شابكيّ+ ورقيّ+ قرص مضغوط+ شريحة محمولة في الجيب+ شفرة القراءة السّريعة QR.

2/2/4. الدّليل الوظيفي للمراسلات الإداريّة: منتوج حديث جاء لتلبيّة رغبات الإداريّين في وضع مختلف الوثائق الإداريّة في شكل برمجيّة نمطيّة صادرة من المجلس الأعلى بصفر خطأ؛ تكون نموذجًا في المراسلات الإداريّة الرّسميّة. وفيه مختلف النّماذج للمراسلات من: أوامر/ مراسلات من الأعلى/ معاهدات/ اتّفاقيات/ تعيينات/ إنهاء مهام/ مراسيم/ طلبات: شكاوى/ عرائض/ طلبات المواطنين/ استمارات إداريّة... وبُنيّ هذا الدّليل بناءً رقميًا يُجريه محرّكُ بحث عادٍ، وفيه العديد من النّماذج لمختلف الوثائق الإدارية بصورتين: Word/ PDF. مع ما يحمله من الأصوات الجديدة التي وُضعت في الدّليل المذكور سلفًا، إضافة إلى الأرقام الرّومانيّة. وهو في هذه الصّور: شابكي+ ورقي+ قرص مضغوط+ شريحة محمولة في الجيب+ شفرة القراءة السّريعة QR. إضافة إلى إمكانيّة القصّ واللصق والسّحب، وإمكانيّة التّصرّف في نظام (Word). ويبقى هذا الدّليل يخضع للتّحديث، ويستجيب للمتغيّرات الإداريّة القادمة، وهذه قابليّة تتيحها البرمجيّة التّطبيقيّة عبر الإضافة/ الشّطب.

5. وَصْفَة المجلس في إنجاز هذه الأدلّة: لم يخترع المجلس منصّة أو محرّك بحث، ولم يخلق العَجَلَة، وإنّما يعمل على التّطوير في منجز آليّ سابق، وبثقافة ناعمة عمادها "إنْ أحسنَ اللاحقُ؛ فإنّ الفضل للسّابق"، وهي عملية إبداعيّة تقوم عليها كلّ الحضارات بالإضافات الجزئيّة، والمنتوج العلمي مِلْكٌ لمن يستعمله بخصائص وإضافات يُجريها عليه. وهكذا بصرنا بعشر (10) خطوات إجرائيّة هي

خريطة طريق لمنجزات المجلس في هذه الأدلّة وفي بعض المنجزات الأخرى وقد أبانت عن نتائج جيّدة، وأتت أُكُلَها بامتياز:

1/5. الانطلاق من فكرة التّطوّع اللغويّ، وتقديم خدمات للّغة العربيّة الفصحى المشتركة دون انتظار المقابل المادي، وهو الرّهان الذي يجيب عن إشكاليّة هذا اللقاء، الذي انعقد في شهر اللغة العربيّة بعنوان (التّطوّع اللغويّ).

2/5. تفعيل الشُّركاء الاجتماعيّين لحمل ثقافة خدمة اللغة المشتركة بما يُحبّها ويُقدّم لها من لغة جاذبة لا طاردة، ومن اقتراح أفكار لمن يصنع القرار.

3/5. استقاء المادّة من المواثيق الرّسميّة لمنجزات الدّولة ووثائق الأمانة العامّة للحكومة، والجريدة الرّسميّة، ومختلف المراسلات بين الوزارات.

4/5. إضافة مُنجزات المَجلس في قضايا لغة الإدارة من مِثل: القواميس+ المَعاجم المُوحّدة+ الاتّفاقيات+ الاجتهادات الجديدة+ التّفتّح على المُؤسّسات العربيّة ذات العلاقة بإنتاج المُصطلحات المُوَحَّدة.

5/5. العمل بقاعدة "المهمّ أن نبدأ، ونجعل اللغة العربيّة في الممارسة والاستعمال، وذلك ما يُطوّرها".

6/5. لا تَهمّ نسبةُ النّجاح في المنجز التّجريبي للمشروع في طبعته الأولى بقدر ما يهمّ الإصرار على التّحسين في كلّ طبعة، والطّريق تصنعه الأقدامُ.

7/5 إشراك مُنتجي هذه الأدلّة من مختلف التّخصّصات؛ ففي كلّ دليل هناك: فقيهٌ لغويٌّ+ مُختصٌّ في المجال+ مُبرمجٌ+ مُنضّدٌ.

8/5. الاستعانة بشباب المقاولاتيّة ممّن يحملون المشاريع، ويُنتجون الأفكار في (Startup).

9/5. التّعديل حال ما تقتضيه الضّرورة، وهي صورة رآها المجلس في أنّ المشاريع تقبل العيش وفق المتغيّرات.

10/5. إثبات القدرة الوطنيّة للشّباب على مواكبة التّغييرات، والاستعداد للمستقبل.

الخاتمة: تِلْكُم، أيّها الحضور، بعضَ التّوضيحاتِ بخصوص مُنجزات المَجلس الأعلى للّغة العربيّة، وما يقوم به من تسطير استراتيجيّة تعميم استعمال اللغة العربيّة الفصحى مُرافقًا مَشاريع الحكومة. ونروم من هذا اللقاء، وفي هذه الجامعة، وعبر نشاط مخبر التّداوليات وتحليل الخطاب مواصلة ومتابعة توسيع الورشات في لغة الإدارة، وما يتبعها من بحوث في الأماكنيّة/الطّوپونيميّة وإدخال كلّ هذا في أنظمة ذكيّة من مثل (GPS) وما يتبعها من إنتاج برمجيّات ناطقة جديدة تلبّي طلبات وثائق إداريّة عن بُعد، وخلق الثّقة التّبادليّة بين رهان العولمة ومصداقيّة اللغة الوطنيّة التي يتعامل بها المواطن بشكل يوميّ؛ ويعني البحث في مثل هذه الأعمال ذات العلاقة بلغة التّداول الإداري الرّسمي دون تشويه أو تلهيج أو ما يعمل على التّحريف. والخروج بأفكار تطبيقيّة في لغة الإدارة؛ تكون إجابات نوعيّة لمختلف الإشكالات والتّحديات المعاصرة، وكسب رهانات تعميم استعمال اللغة العربيّة الفصحى بأريحيّة في الإدارة الجزائريّة، وتكون عَوْنًا للمُستخدمين الإداريّين في نُشدان لغة عربيّة وظيفيّة؛ تُقضى بها المصالحُ الإداريّةُ بيُسْرٍ وسُهولةٍ وحُبٍّ واعتزازٍ، وتعمل على إعادة الثّقة بين المواطن ومصالحه الإداريّة عبر هذه اللغة العِلميّة الوظيفيّة، **وأَنْعِمْ بها من لغة!**

مُناسَبَةٌ وكَلِمَةٌ

اللّغة العربيّة والقِيَم: تكاملٌ لا تصارعٌ*

الدّيباجة: إنّ أهمّ اختراع بشريّ هو اللّغة التي تميّز الإنسان عن غيره من المَخلوقات، بعدما علّمه الله مَجموعة من مُفردات وسائل التّواصل المُحيطة به كلّها ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة 31. ثمّ انطلق الإنسان في الوضع اللّغويّ للمُستجدّ بما يزداد به من احتكاك يوميّ. وعن طريق اللّغة يتمّ التّفاهم بين البشر الذي اصطلح بعد ذلك على لغات أخرى مثل: لغة الإشارة/ لغة التّعميّة/ لغة البراي... وهذا كلّه من أجل أن تكون اللّغة وسيلة تفاهم لا تناحر؛ وسيلة حضاريّة للتّواصل المُفيد، لا لغة الطُّرشان، ويقول جلّ وعلا ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ النّحل 125، ويقول في سورة الأعراف 199 ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾

هي دعوة صريحة إلى التّواصل اللّغويّ في إطار نشر ثقافة التّسامح المَطلوب غرسها في نفوس وضمائر البشر من أجل التّحلّي باليقين، والتّخلّي عن المَشاكل والقلق والكراهيّة في المُجتمعات. هي دعوة ضمْنيّة نعمل على إزالة الحقد والابتعاد عن العنف من أجل خلق وعيٍّ سليمٍ بعيدٍ عن كلّ مَظاهر الحقد. وهي دعوة يحمِلها ديننُا الحنيفُ بالتّركيز على ترسيخ قيَم الحبّ والتّبادل البيني المُشترك في الصّالح العامّ، لما تحمِله ثقافة التّسامح من بناء العلاقات الاجتماعيّة السّليمة، وعدم التّعصّب والتّشدّد، وتعزيز الشّعور بالتّعاطف والرّحمة في ضمائر البشر. وإنّ ثقافة التّسامح تجعل الأفراد يُحبّون بعضَهم، ويُسهمون في نشر الاحترام

* - الكلمة التي أُلقيت بمُناسبة عيد يناير في ولاية البويرة. تنظيم دار الثّقافة (صالح زعموم) في 12 جانفي 2022م.

والتّعاون والتّبادل في حلّ المَشاكل التي تُؤدّي الى زعزعة علاقاتهم الاجتماعيّة. هي الطّريق الى الشّعور بالسّلام الدّاخلي والسّعادة والشّعور بهذا الإسلام الدّاعي إلى النّور والهدى من أجل العيش في حياة اجتماعيّة خاليّة مِن المُضايقات.

1. القِيَم: هي سمة أخلاقيّة عظيمة نَستشفّ مِن حروفها في مَعناها ومَبناها الاستقامة والصّلاح، ومِنها تشتقّ مُصطلحات ودلالات حسب السّياق على غرار: القيمة الماليّة/ القيّم المَنقولة وأنصبة الانتفاع أو التّأسيس. والقيّم: الشّخص الذي ينصّبه القاضي لتولّي شؤون المَجنون أو المَعتوه أو ذي الغفلة وتمثيله. ومنه تصبح الياء مَكسورة: القيِّم: أي الدّين المستقيم. وقيّم: قَدّر قيمَتَهُ. قيّم وضعًا: استعرض نتائجَه وما حقّقه من تقدُّم. والقيّم: السّيد وسائس الأمر. وخلاصة الحديث: بأنّ القيَم ما لها قيمة وفضيلة في المُجتمع، ومن يتحلّى بها فهو صاحب فضل. والقيم: قيمة مَعنويّة يتحلّى بها الفرد مِن عدّة منابع: البيت والمَدرسة والشّارع، وأكبر مُؤسّسة تُحمّل الفرد لقِيَم هي المَدرسة. وعند الشّعوب المُتقدّمة تولي للقِيَم أهميّة كبيرة لأثرها في المجتمع برقيّ الشّعب الذي يتربّى على القيَم ولا تحصل الشّحناء ولا الضّغينة، وينشأ المُجتمع مِثالياً في أداء الواجب قبل المُطالبة بالحقوق، وهي سمة الاحترام والعيش معًا بسلام. هي المُواطنة والعدل واحترام الخصوصيات بعد احترام المُشترك وهو الأساس. وإنّ العمل الجدّي في تجسيد القيم والتّربيّة عليه تأخذه المَدرسة وتعمَل على شرعنته في إطار مَنظومة القيَم العاليّة. القيَم مَنظومة اجتماعيّة كان علينا الرّهان عليها لترسيخ حقّ الاختلاف في النّاشئة، وليس اختلاف الحقوق، وهذا يتطلّب قبول بعض الثّقافات التي يمْكن التّعايش معها؛ شريطة أن لا تتعارض مَع القوانين أو حقوق الإنسان وأنظمة البلدان. وإنّ المَناهج التّعليميّة عِماد العمَليّة التّعليميّة، ويجب أن تكون مُصاغة بشكل يُساعد المتعلّمين والطّلاب على الحِوار والمُناقشة، وتحفيزهم على إيجاد بيئة تُساعد على قبول الحِوار والتّعامُل بثقافة الحِوار، وقَبول الآخَر مهما كانت توجّهاته.

2. العربيّة والقِيَم: إنّ أيّة لغة تحمل في جيناتها مَفاهيم كثيرة من عادات وأعراف وديانات وما يأتي من التّنشئة المَدرسيّة التي هي الوسيط المُهمّ في زرع

ثقافة القيَم. وتعدّ المَدرسة جسرًا ثقافيًا في تنميّة المَفاهيم الثّقافيّة داخل الصّفوف وبثّ التّسامح من خلال المَناهج الدّراسيّة، وأساليب تعامُل المُربّين التّربويين مع التّلاميذ، سواء بالقُدوة أم بما يُقدّم للتّلاميذ من الرّصيد اللّغويّ المَعرفيّ الحامل لمَنظومة القيم، من ثقافة الدّين أو من أعراف المُجتمع، أو من السّلوك الحضاريّ المُستجدّ. ولتحقيق مَنطق ما تحمِله اللّغة العربيّة من قِيَم علينا تحقيق مَجموعة من الأفكار، وهي:

1/2. تحلّي المُربّي بثقافة القُدوة: وهو المَنطلق الأساس في ذهن هذا الشّخص العجينة الذي يُقلّد ما يراه كلّ تقليد بالتّمام، وبخاصّة مُعلّمه. فإذا غابت ثقافة القُدوة في المُعلّم المُربّي لا يمكننا الرّهان على نجاح صناعة القيَم بمَفاهيمها العلميّة. فالمُعلّم قدوة قبل الأبّ والأمّ، وهو الرّكيزة لصناعة الأجيال. وهذا المُعلّم المُربّي مطلوب منه بثّ روح المَحبّة والتّسامح في نفوس المُتعلّمين، وبناء أواصر المحبّة بين الصّغار، والحثّ على العفو، وتقديم الاحترام للآخرين، وعدم الانتقام وقلْع جذور الحقْد والعدوان والكراهية من نفوس الأفراد. وكلّ هذا يكون عن طريق تجسيد الفِعل التّربويّ من المعلّم الفعّال لا القوّال، والقيام بمُراجعة شاملة لمُحتوى المَناهج الدّراسيّة وتطويرها بما يمْكننا من مُواجهة آثار العنْف على حقوق الافراد.

2/ 2. تعزيز ثقافة القيَم في المُجتمع عن طريق الإعلام؛ لخلق وعيِ التّمسّك بوَحدة المُجتمع وقيمه. وإنّ الاتّجاهات المُتحرّكة لتغيير العالم اليوم هي تكنولوجيا الاتّصالات، وتطوّر المَعارف والعلوم التّقنية الجديدة، وهذه التّغيّرات المُتسارعة والمُستجدات الطّارئة تثير كثيرًا من علامات الاستفهام والتّساؤلات عن مَصير القِيَم وعمّا سيكون عليه مُستقبل المُجتمع الإنسانيّ ومَصير العلاقات الإنسانيّة وهنا على الإعلام قيادة التّوجيه لهذه الوسائل بما يعمل على زرع المُشترك بروح الوفاق. فمَجال تكنولوجيا والإعلام والتّواصل اليوم أهمّ العوامل التي تتحكّم في مَصير الشّعوب؛ بحيث تتم عمَلية تكوين الرّأي عند البشر مِن خلال برامِج مُعمّقة للمُعتقدات والأفكار الدّينيّة والسّياسيّة والأخلاقيّة والاقتصاديّة، بما في ذلك

العادات والتّقاليد والقيَم الاجتماعيّة. فما مَصير الاخلاق والقيَم في مُجتمعات مُتغيّرة بسرعة مُذهلة؟

3/2. ضرورة أن تتولّى المُؤسّسة الدّينيّة ترسيخ ثقافة التّسامح من خلال الخُطب الدّينيّة والمُحاضرات في مُختلف المُناسبات من أجل تعريف دول العالم بالإسلام الإنسانيّ.

4/ 2. ضرورة تحديد ضبْط المَفاهيم المتداولة اليوم: هناك العديدة مِن المَفاهيم المُتداولة اليوم تحتاج الى تحديد دقيق لمَعانيها ومَدلولاته؛ لأنّ استخدامها بلا ضبْط المَعنى الحقيقيّ يسهم في تشويه المَفهوم على مُستوى المضمون، كما قد تجعله عرضة للتّوظيف الإيديولوجيّ المُتعسّف. لذلك فإنّ تحديد مَعنى المَفاهيم المُتداولة يُسهم في خلْق الوعي الاجتماعيّ السّليم بها.

5/2. أدوات غرس القيَم: وجود بيئة الاتّصال التّوعويّ؛ لأنّ الاتّصال هو مُحاولة جذب الآخرين لتأييد وجهة نظر ما، والاتّصال عنصر لازم للحياة الاجتماعيّة لا تقوم بدونه ولا يتمّ نقل التّراث الثّقافي أو تنميته إلاّ به. وإنّ فاعلية الاتّصال الإنسانيّ تُعدّ من الأمور الأكثر تعقيدًا في بيئة الاتّصال التي يصعب أحيانا التّحكّم فيها أو ضبطها بناءً على مهارات النّاس في التّعاطي مع أيّ مَصدر اتّصاليّ. فلا يمكن لشخص أن يُبدع في بيئة لا تُشجّع الإبداع.

6/2. ضرورة وجود وسائل مُتعدّدة للتّعليم تساعد على الحوار والمُناقشة، من مثل وجود مَكتبات مُتخصّصة تحفّز على البحث وتشجّع على الدّراسة، ووجود قاعات دراسيّة تساعد على شيوع روح المُناقشة والإبداع وإعطاء الفرصة للطّلاب للمُناقشة والحوار والإبداع والاختلاف، فالإبداع ينمو في أجواء الحوار، ويموت في مَهده في أجواء الدّيكتاتوريّة الصّارمة. وتعدّ القيَم مُفردات يجب مُراعاتها وتعلّمها في البيئة التّعليميّة، الأمْر الذي يدعو إلى نوع من التّفكير في مَبادئ جديدة لمَضمون القيَم العمَليّة التّربويّة، والتي تأخذ بعين الاعتبار التّعدّد الثّقافيّ واللّغويّ، وتدفع بالعامِل السّياسيّ إلى التّفكير النّقديّ وإرساء ثقافة الحوار.

7/2. الاهتمام بالفنّون: إنّ الفنّون نتاج الثّقافات على تنوّعها، هي وسيلة التّعبير عن الجوهر الإنسانيّ لإعلاء قيم الحبّ والخير والجمال، عبر استنطاق الذّات للتّعبير المُنفتح الذي يترجم المشاعر والأفكار، فتغدو انتصارًا للإنسانيّة الحرّة، أمام خطاب مُناقض، وقد يروّج للكراهيّة، ويعادي الآخر المُختلف. وبذا يكون الفنّ مَظلّةً حقيقيّةً لسيادة التّسامح، وحائطَ صدٍّ متينٍ يحمي المُجتمعات المُتعايشة من مَخاطر الكراهيّة والتّمييز، ودعاوى تهميش الأغيار.

3. القِيَم مَحطّة حضاريّة والاعتبار بالتّجارب النّاجحة: لقد كانت القيَم وما تزال، وستبقى مَحطّ اهتمام المُفكرين والسّاسة والتّربويين قديمًا وحديثًا، لما لها من أثر فعّال في تنشئة الأجيال وتحصينهم، وصقْل شخصياتهم، وإعدادهم لحمل لواء الإصلاح والتّغيير في المُجتمع الذي يعيشون فيه، كما تؤكّد كافة البحوث التّربويّة والاجتماعيّة أهميّةَ القيَم في الحفاظ على تماسك المُجتمع، وتأثيرها في سلوك الأفراد. ولهذا نحن بحاجة إلى تضافر جهود المَدرسة مع ما يصحبها مِن كتاب مَدرسيّ يغرس القيم، وإلى مَرجعيّة مُمارسة حقيقيّة في التّبليغ، وإلى حمْلة قيميّة تتبنّى فكرة الاعتزاز بالهُوية واللّغة العربيّة، واستكناه التّجارب النّاجحة في هذا على غرار التّجربة الفرنسيّة التي تحمي قيمها ولغتها من كلّ أشكال الإسقاط اللغويّ في المُمارسة وفي حسن الدّفاع عنها في كلّ مَكان حفاظًا على تمَدّدها خارج مَوطنها فرنسا. وتعمل فرنسا حاليًا على سدّ مَكمن تراجعها على الصّعيد العالميّ بعد أن كانت الفرنسيّة مُتصدّرة، وفرنسا عرفت ثورة البُخار التي نقلت العالم إلى مَيدان العلوم. أضف إلى ذلك ما تعرفه باسم الحركة الفرنكفونيّة العامِلة على بقاء نفوذ الثّقافة الفرنسيّة في العالم بعد انحلال إمبراطوريتها. والمهمّ في هذا أنّ فرنسا لا تزال تنافح وتعتزّ بلغتها في كلّ مكان، ويكفي منعها استعمال أيّة لغة أجنبيّة في شوارعها لتبقى الفرنسيّة خالصة للفرنسيّن وأتباعهم من خارج ما وراء البحر فقط. وهناك تجربة اليهود التي انطلقت في الأساس لقيام الكيان الإسرائيلي. وكان (يهودا بني أليعازر) يقول: "**لا حياة لأمّة دون لغة وطنيّة**"، وبدأ تنفيذ مَشروعه الذي استمرّ خمسين (50) سنة، وتحوّلت العبريّة خلاله من لغة دينيّة

مَيّتة إلى لغة تُدرّس من الرّوضة حتى الدّكتوراه في علوم الفضاء والطبّ والاستشعار عن بُعد، وغيرهما من العلوم الدّقيقة، فنجحت اللّغة العبريّة، وتجسّدت الهُويّة اليهوديّة في المُسميات، وفي الشّوارع، وفي مُختلف مَناحي الحياة اليوميّة.

الخاتمة: وكان علينا أن نلتمِس القيَم النّاعمة بالبُعد عن القوّة الصّلبة، نريدها قوّة ناعمة ثقافيّة بتضافر مُختلف الأدوات، وعلى المَدى الطّويل، مع الحشد الإعلاميّ المَجاني الهائل المَوجود في المَنطقة العربيّة ويُروّج للّثقافة العربيّة ويُمجدّها، فبالتّالي سيكون هناك تغيير نوعيّ في المُمارسات القيميّة التي يقبلها الجميع، وبذلك يستتبّ الأمر للقوّة الفكريّة التي تزرعها المَدرسة. ولذا لا بدّ من مَنظومة قيميّة لدى مُجتمعنا العربيّ المُشكّلة للهويّة الواضحة المَعالم للحاضر والمُستقبل، فعندما تزرع هذه المَنظومة القيَم سيكون هناك صِفر غشّ، صِفر فساد، صفر تطاحن، صِفر أميّة، صِفر قلاقل، صِفر حروب، صِفر خَطّر... ومن الضّروريّ استلهام دعْم المُجتمع في هُويّته بغلبة الخصوصيات الرّافعة للقيمة المَعنويّة، والحدّ من الفوضى اللّغويّة إلى غلبة المُشترك، كما يقول ابن خلدون "إنّ قوّة اللّغة في أمّة ما، تعني استمراريّة هذه الأمّة بأخذ دورها بين بقية الأُمَم؛ لأنّ غلبة اللّغة بغلبة أهلها ومَنزلتها بين اللّغات صورة لمَنزلة دولتها بين الأمَم." ولهذا نرى بأنّ ارتكاز تقدّم المُجتمعات يكون على القيّم الاجتماعيّة والثّقافيّة والأخلاقيّة، وهي دعائم الاستقرار والبقاء والنّفوذ. وتمثّل هذه القيَم أهمّ ركائز المُجتمع؛ حيث تمثّل المَنهل الذي يستمِدّ منه أفراد المُجتمع شروط وجودهم ومَعايير تفاعلاتهم، وكلّ ذلك يُسهم في بقاء المُجتمع وتطوّره.

مُنَاسَبَةٌ وَكَلِمَةٌ

الشّباب الجزائريّ واللغة العربيّة*

الدّيباجة: إذا كان شُهداؤنا ومُجاهِدونا قد قالوا ونجحوا في مَقولتهم **"ارموا بالثّورة إلى الشّارع يَحْتَضِنْها"** بالفعل كان ذلك من النّصر العظيم، ونقول: **ارموا بالعربيّة إلى الشّباب يُطوّروها**، وذلك ما سيكون من شباب قيل فيه:

يـــا نـــشءُ أنـــتَ رجاؤُنـــا ❁ وبـــك الصّـــباحُ قـــد اقْتَـــرب
خـــذْ للحيـــاة ســـلاحَها ❁ وخـــضِ الخطـــوبَ ولا تَهَـــب

وقيل: "يا شباب الجزائر كونوا أو لا تكونوا، ولا بدّ أن تكونوا في مستوى عظمة الجزائر، وما يقتضيه الشّأن العامّ من الخدمة المجانيّة، والعربيّة من الشّأن العامّ؛ تحتاج إلى تطوّع وخدمة، واحترامها من احترام القانون. وإنّ استعمالها من شباب يقوم على رفدها ولا ينادي بإلغائها أو التّماهي في الأجنبيات، أو التّغلغل في الأنْكَلَزَة أو الفَرْنَسَة بدعوى التّطوير على حساب لغة الأمّ واللغة الأمّ، ولغة الأمّة العربيّة، وأقدم لغة، ولغة الحضارة الإنسانيّة، وأعرق اللغات الشّرقيّة، ولغة الماضي والحاضر والمستقبل، ولغة العبادة والدّين الإسلامي، ولغة كُتبت بها كلّ الدّيانات السّماويّة، ولغة يتواصل ماضيها بحاضرها، ولم تعرف التّغيير المؤدّي للاندثار على غرار الإغريقيّة العريقة، ولا الشّتات على مثل اللغة اللاتينيّة. والعربيّة لغة الانتماء المشترك الجامع للشّعب الجزائري، وهي ليست اللغة الآحاد منذ الدّولة المازيغيّة الأولى، ولكنّها لغة التّفاضل، وهي لغتنا التي خرجت من بلاد توات إلى أفريقيّة ونال خطّها العولمة فيها محلياتها. إنّ العربيّة لغتُنا وقد خرجت من شبه الجزيرة العربيّة حاملة للدّين والعلم، وشرّقت وغرّبت ونالت كلّ القارات، وتماهَت مُنصهرة في لغات أفريقيّة، ونالت المَقامات العُلا في شمال أفريقيّة، وهي

* - الكلمة التي أُلقيت في ثانويّة عزّة عبد القادر، بمدينة سيدي-بلعبّاس، بمناسبة شهر اللغة العربيّة، في 18 جانفي 2022م.

في الجزائر في بيتها كما قال (البشير الإبراهيمي "اللغة العربيّة في الجزائر ليست غريبة ولا دخيلة؛ بل هي في عقر دارها وبين حُماتها وأنصارها وهي مُمتدّة الجذور مع الماضي، مستندة الأواخي مع الحاضر، طويلة الأفنان في المستقبل... إنّ العربيّ الفاتح لهذا الوطن جاء بالإسلام ومَعَهُ العدلُ، وجاء بالعربيّة ومعها العِلْمُ، وكذِبَ وفَجَر من يُسمّي الفتحَ الإسلاميّ استعمارًا، وإنّما واحةٌ من العلم النّاصب، ورحمةٌ من العذاب الواصب، وإنصافٌ للبربر من الجور الرّوماني البغيض...".

1. العربيّة الماضي المُغدق، والحاضر المُقلق، والمستقبل المُشرق: هي ثُلاثيّة تبحث عن ذاتها في لغة واحدة، هي عربيّة أصيلة مُتصاهرة وليست اللغة الوحيدة في مُجتمع مُتعدّد الثّقافات والأعراف، ولكنّها اللغة المختارة بما لها من جاهزيّة علميّة وتطوير ذاتي، وبنيّة تركيبيّة وتحليليّة، وحمولة فيل ضخمة، وجبال من المُؤلّفات، وجيش من الجذور والكلمات، ولغة الآداب العاليّة ومُختلف فنون القول، وتُخمَة بلاغيّة لا توجد في أيّة لغة في العالم. هي عربيّة الماضي المُغدق في عولمتها في أفريقيّة على الخصوص، دون الحديث عن تناثرها عبر آسيا وأوربا بما لها من وجود في بلاد إيبيريا الأندلس لقرون ثمانيّة أعطت للحضارة الغربيّة المسيحيّة مفاتيح العلم التّنظيري، ووصلت مدينة بوردو بفرنسا، وتركت فيها آثارًا لغوية في اللاتينيات المتلاشيّة. ولكن حاضرها مُقلق بما نالها من ركود لدى أهلها، وما تعرفه الآن من هزّات لدى بعض مستعمليها الذين لم يكونوا في مستوى عظمتها لخدمتها علميًا، بل إنّ بعضهم ينافحون عنها بغباوة، وبذلك ضاع دمها وعاشت القهقرى بين رجال لم يكونوا رشيدين، ولم يحسنوا تقديمها في موقف النّديّة مع الإنكليزيّة والفرنسيّة والإسپانيّة والرّوسيّة والصّينيّة، وهي ذواتها في نوافذ الأمم المتّحدة، ورجال بليدين يرمونها بلا مبالاة ويزيدونها نفورًا من جهّال لا يعرفون كنوزها، فهل ضاع الأمل في شباب اليوم أن يُعيدوا النّظر في أيقونتهم اللغويّة العربيّة الخالدة؟ بلى، وإنّ المستقبل يبين أنّ شبابًا يعملون فيها التّطوير بما لهم من صناعة الأفكار، وما لها اليوم من إقبال في سوق اللغات ويستفيد منها غيرنا، ونحن نرميها بالعُقم، ولم نعمل على جعلها تتُعلّم بها العلوم وبها تؤخذ

العلوم من مصادرها أخذًا وعطاءً كما كانت أيّام عولمتها في قرون ظلمات أوربا من القرن IIX إلى القرن IVX الميلادي. وعندما ننظر في مشاريعها ومنجزاتها المعاصرة نعلم أنّها لغة المستقبل المُشرق بما لها من إمكانيات خوض مضايقات الحاضر في تكنولوجيّة الرّقمنة والذّكاء الصّناعي، وهذا ما يتحكّم فيها الشّباب المعاصر، وهم أنتم.

2. **الشّباب الجزائريّ واللغة العربيّة:** لقد أدّى انبهار الشّباب باللغات الأجنبيّة وكان لبعضهم حرصهم الشّديد على تعلّمها إلى جانب الشّعور نحو العربيّة بالعجز وقلّة الحيلة، وكان ذلك سببًا في ظهور الهُجنة، وضعف الأداء في لغة الأمّة وظهر العربتينيّ والعرنسيّ والعربيزيّ والأرابفرانكو، والتّسامح اللغويّ، واللغة البيضاء، واللغة الثّالثة/ المستوى الثّالث... وكلّها ممّا يُسيء للعربيّة أو يقلّل من قيمتها الاستعماليّة والقيميّة، وذلك ما يوَلّد اللامبالاة العينيّة تجاه اللغة الأمّ، فيا ويح لشبأُب كانت لهم هذه النّظرة. شباب غاب عنهم الوعي اللغويّ وعماده الاعتزاز باللغة الأمّ، واضمحلت الشّخصيّة الوطنيّة في أحلام ورديّة تستفيق منها على ندم، **وأنّه لم يثبت أنّ أمّة تطوّرت باللغة الأجنبيّة، فأين أنت أيّها الشّباب الجزائري؟** وهل فكّرتم يومًا وسألتم أنفسكم وقلتم: هل يكون لنا موقع في العالم بلغة ليست لغتنا؟ وهل تكون لنا شخصيّة في ثقافة الآخر؟ وهل نكون قيمة لغيرنا ونحن تُبّعًا للآخر؟

3. **الممارسات اللغويّة في وسائل التّواصل الحديثة لدى الشّباب الجزائريّ:** من المفروض أنّ هذه الوسائل تكون مُكمّلةً للكتاب المدرسي، وقيمةً مضافةً في ازدياد فَهْم العلوم، وبخاصّة لدى فئة تزيد عن 70 % من ساكنة الجزائر من شباب الأمل في كلّ تطوير. وأراني في هذا الموقع غير ناكرٍ لتلك الممارسات اللغويّة في مختلف الوسائل أنّها في تحسّن مضيف، وبتقليل الأخطاء والعثرات التي تقلّل من قيمة العربيّة كوسيلة اتّصال يُعوّل عليها في تحسين عمليات الأداء. وعليكم ألاّ تقبلوا بكلّ معتدٍ على نصوص السّابقين؛ فهم المؤسّسون الذين حافظوا على العربيّة بنمط لغويّ عالٍ زكّاه القرآن الكريم، وعمل على تطويره وفق تلك

المجتمعات التي أسهمت في خدمة العربيّة. وإنّه لمن المُخزي باسم التّسامح اللغويّ أن تُخرَق اللغةُ العربيّة بعامل تفجيرها دون لفتة حياء من هؤلاء الغوّاصين الذين لا يُراعون حدود الحشمة اللغويّة، وهي من مُقتضيات الحياء. وهنا يجب أن نُفرّق بين اللغة العالمة، ولغة المصالح المرسلة البسيطة، فالعِلم لا يوجد في الدّوارج، ولغتنا الفصحى هي الحاملة لكلّ عِلْم وزيادة وتطوير ونديّة. وكان على الشّباب الجزائريّ العمل على النّهوض بها مهما وُجدت عوائق ومضايقات تقنيّة وعليكم التّعامل مع المثبطّات بالعزيمة والمنافسة، وبتقديم الأفضل. فالعربيّة تحيا بكم ولا تموت، وهي تشهد حراكًا علميًا جيّدًا ما دامت على أفواهكم وفي كراساتكم وعلى محمولاتكم، وأنتم من صانعيها حاضرًا ولاحقًا، فكونوا رجالًا تَنْتِجْ لكم عِلْمًا.

4. خطوات النّجاح باللغة العربيّة الفصحى الوطنيّة المشتركة: هي نصائح من التّجربة والنّماذج النّاجحة؛ فمن **التّجارب** التي علّمتنا أنّ التّحكّم في اللغة يعود إلى الاستثمار في المهارات الأربع: السّماع+ احتذاء المناويل مع كثرة القراءة+ الحوار+ الكتابة. وهذا ما يؤسِّس للإشباع اللغويّ في اللغة الأمّ، وتأتي هذه المهارات في مرحلة القاعدة التي أنتم عليها أيّها الشّباب، فلا بديل عن الجمع بين المهارات لتذليل عقبات سوء الأداء. ومن هنا يبدأ المسار الطّبيعيّ الذي يُحيلك إلى ضرورة السّماع إلى أعلى فنّون القول في تجلّيات اللغة، من شعر ونثر وحكمة وخطبة وحفظ للمقامات وللقرآن الكريم والحديث الشّريف، وما يتلوه من قراءات في كتابات الأقدمين، واحتذاء مناويل الفصاحة في فصاحات المعاصرين، وفي شعر الفِصاح، وصداحات فنّانيّ وفنانات الشّعر المِلاح. **وعِبَرٌ** نستقيها من الكوريّة التي تخلّصت من اللغة اليابانيّة الأجنبيّة بوصفة تدرّجيّة ومن تأسيس للعبريّة الجامعة للشّتات العبريّ عبر المعجم العبريّ للعربيّة الجديدة من صانعه (يهودا بن آل عازر) موحّد لغة اليهود، ومن التّطوّع اللغوي لجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين} الذين حافظوا على العربيّة التي نالها المسح والمسخ الاستدماري خلال 132 سنة من تخريب العقول، ومن توحيد الإخوة گريم للألمان في لغة واحدة مشتركة، وبها أنتجوا مجد (فيختة) ومن الإنگليز في مسرحيات (شكسپير) الذي جسّد لغة

العولمة، ومن أمير شعراء الرّوس (بوشكين) الذي جعل الرّوسيّة صانعة الصّناعات الثّقيلة، ومن لغة (موليير) التي تَعَوْلَمَت في القرن IIVX وكانت لغة العلم والعالم، ومن فنّ (سانج جين) الصّيني الذي أبدع في الكتابة الصّينيّة التي يمجّدونها وفيها عزّهم الذي لم يَرَوْا بديلًا أفضل منه في الكتابات، ولا يدخل في نظام الأبجديات... عمالقة كانوا هؤلاء وخُدّامًا للاعتزاز بالمواطنة اللغويّة، فنجحوا وأصبحت لغاتُهم علميّةً بالاستعمال في كلّ المجالات وذلك ما عمل على تطويرها. وبنشدان العلميّة التي أوصلت العالم إلى ثورة الشّابكة، وإلى اقتصاد المعرفة لمجتمع المعرفة. عمالقة هذا الكوري الفقير العديم الذي يموت في عمر (39) سنة، ولما أعاد للغته الوطنيّة القيمة الثّقافيّة والعلميّة واستثمر في التّنميّة البشريّة، بمجانيّة التّعليم الجيّد العالي المستوى، ومنْع الدّروس الخصوصيّة، وتعميم التّطبيب بالمجان، وحصل التّمتّع بالصّحة التي أطالت عمر الكوري إلى ثمانين (80) سنة، وبرفع الفرق في التّنميّة الاقتصاديّة والاجتماعيّة بين المدينة والرّيف، والعمل على تحسين الاقتصاد المادي في كلّ شيء، بما فيه اقتصاد في صفر ورق، والمحافظة على البيئة النّظيفة، والعيش الكريم للجميع. ها قد أصبحت كورية الجنوبيّة عملاق الاقتصاد العالميّ، وتحتلّ في تقارير التّنميّة البشريّة الرّتبة الثّانيّة عشرة، بعيدة كلّ البُعد عن تلك الدّول العريقة في الصّناعات الضّخمة، وها هي تنافسها بلغتها الكوريّة التي ننظر إلى خطّها بميسم الصّور المعجزة. وهي وصفة انقلاب السّحر على السّاحر، ذلك ليس مُستحيلًا ويمكن لأمثالكم تقديم ما هو أفضل بلغتكم التي تُعطي لكم موقفَ النّديّة والبقاء والاعتزاز والشّخصيّة والمواطنة. تلكم وصفة عامّة نروم تفصيلها في النّقاط التّاليات:

1/4. ضرورة مراجعة ضعف الاستثمار في التّنميّة البشريّة؛ وعمادها الاهتمام بالمدرسة. وكلّ مراحل التّعليم، والمدرسة عشّ تفريخ الإبداع وظهور المواهب بالرّعايّة التي يقع الاهتمام بها أكثر، ولا يعني رعاية النّخبويّة الزّائفة التي تُقدَّم جاهزةً للغير، بمنطق (نُكوّن لغيرنا) هناك خلل كان علينا علاجُه، ويبدأ من النّظام التّربويّ الذي لم يعمل على جذب الشّباب للغتهم بما يُقدّمه من عربيّة ضعيفة في

صورة مُتكلّسة مَعطوبة، وببرامج لا تزرع حبَّ العربيّة، ولا تغرس التّرغيب فيها. لم نقدّم لهم عربيّةً تزرع الملكة اللسانيّة لدى المتعلّمين على أنّهم من المتكلّمين المثاليّين، يستعملونها بعفويّة، لا على أساس تعليم كلغة أجنبيّة/ تعليمها لغير أهلها. لم تُقدّم العربيّة عبر النّماذج العاليّة من الشّعر الفصيح القديم والحديث، والشّعر العربيّ ديوان العرب. ولم نخلق النّماذج العاليّة بين المستويات اللغويّة التي تستعمل في مناسبات، ويرافع بها في مختلف المقامات، ولكلّ مقام مستوى لغويّ ذي بيان، لغة تُستعمل لحال المقام والبيان.

2/4. ضرورة غرس الثّقافة الأدبيّة وعمادها الأدب الذي يُمَلِّك المستعملَ لغةَ التّواصل الصّحيح ولا يُفهم العلمُ بالأخطاء اللغويّة، والمسألة تتعلّق برجال الأدب في المقام الأوّل، ولكن لا يكتمل الأداء إلاّ برفع مستوى اللغة في المُعامل، ويرتبط الانتقال بالتّحكّم في القواعد ومُقتضيات اللغة بمَهاراتها المَعروفة. وكلّ الحضارة تُولي اللغةَ الأمَّ أعلى المقامات، ويبدأ الفكر في الإنتاج العلمي لمّا تكون اللغة وافيّة لمداليل المصطلحات العلميّة، ولا ثورة فكرية دون ثورة لغويّة هي البداية وقامت الحضارات على الاهتمام الكبير بالجوانب الأدبيّة والفكريّة، ثمّ جاءت الحضارة الماديّة.

3/4. علاج انقطاع حلقة التّكامل في النّظام التّربويّ بين القاعدة والمرحلة الجامعيّة في القطيعة اللغويّة المؤدّية إلى العائق اللغويّ، ورمْي العلوم الإنسانيّة بسقط المواد، ويُوجّه إليها أضعف الحاصلين على المعدّلات؛ لأنّها سوف تُدرّس بالعربيّة، عكس العلوم التي هي من اختصاص الفرنسيّة/ الإنكليزيّة، يُوجّه إليها أعلى المعدّلات، وهي مسألة فيها نظر.

4/4. ضرورة علاج ظاهرة بعض التّقصير في لغة الشّباب: وهنا كان علينا القول البحث عن لُبّ ظاهرة تدنّي المستوى اللغويّ، واستفحال الهجين اللغويّ والتّداخل في المستويات اللغويّة، ومسألة المحتوى الأدبي المقّدم لهؤلاء الشّباب ونوع المرافقة اللغويّة التي تُقدّم... وهي أشياء شرعيّة مطلوبة منّا استكشاف

مظانها لعلاج ظاهرة التّقصير/ العزوف عن نُشدان العربيّة، لما لها من موقع في المجتمع الجزائريّ.

5/4 . دور الإعلام عامّة: لم يجارِ التّطوّر في خدمة العربيّة من حيث النّشر وحسن استعمالها وما يلهما من نشر الوعي بأهميّة تعلّم اللغة العربيّة من خلال البرامج التي تبثّ بها في شكل جذّاب ومدروس من خلال حوارات مُقدّميّ البرامج والشّخصيّات المختلفة في أفلام الكارتون والرّسوم المُتحرّكة. علمًا أنّ الإعلام مُفيد ومُهمّ، وهو يتحمّل المرتبة الثّانيّة في نشر العربيّة دون استهجان بعد المدرسة، ومن أكثر المَجالات تحمُّلا لمسؤوليته في قضية اللغة العربيّة لأنّه يستخدمها بشكل عامّ في صياغة كلّ المواد التّحريريّة/ الصّوتيّة/ المرئيّة.

5. نصائح مربٍ للشباب الجزائريّ المعاصر: عليكم أن تعلموا بأنّه لا نجاح لكم ولا تطوّر يحصل لأمّتكم إلاّ بتطوّعكم لخدمة لغتكم، ولم يثبت أنّ أمّة تطوّرت باللغة الأجنبيّة. وعليكم العمل على الاعتزاز بالعربيّة الفصحى، والعمل على حسن استعمالها. ونرجو الانتباه إلى ما يلي:

1/5. ملء الإشباع اللغويّ بلغة الأمّة، وهي جزء من منطق كلّ اللغات ومنطق العربيّة هو الرّبط بين الجانبين: التّركيبي+ التحليلي، وهذا لا يتوفّر في كلّ اللغات. وبمراعاة الجانبين يحصل التّحكّم الجيّد الذي يعطي لها المقام في خصائص اللغة المشتركة، ويكون ذلك من ثقافة المجتمع في نمطياتها وخصائصها بما لها من صُوَر أسلوبيّةٍ ماتعة، وخصائص مرتبطة بسلوك ذات اللغة منفردة.

2/5. الوعي اللغويّ بأنّ اللغة وسيلة اتّصال وشخصّية ومقام ووجود وحريّة وتاريخ ومشترك وطنيّ وقوميّ وانتماء وماض وحاضر ومستقبل، وهذا لا يوجد إلاّ في لغة (الخوف) لغة الألفة والطّبيعة وفي خطاب الأمّ وعَلَم البلد. ولا توجد هذه المُسلّمات إلاّ في العربيّة الفصحى.

3/5. الإيمان القاطع أنّ اللغة إذا وقع الاهتمامُ بها تتطوّر، وإذا وقع إهمالُها تموت، والعربيّة تحتاج إلى خدمة علميّة تحبيبيّة من قبل أهلها أنتم أيّها الشّباب الجزائريّ الطّافح الطّامح. وهي مَجدُكم وحَياتُكم ومَصيرُكم، فلا مُقام لكم إلاّ بها.

4/5. الوعي بأنّ تعلّم العربيّة من الواجب، فهي من واجبات حفظ الدّين، وما لا يفهم الدّين إلاّ به فهو واجب، وأعني اللغة الفصحى فهي ضرورية للمحافظة على صلاتنا مع التّراث، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنّها من أسهل اللغات تعلّمًا، وتعلّمها ليس عقابًا، بل ملاسنة لغويّة راقيّة تعلو بك أثناء الاستعمال، وهي ليست من الضّجيج، ولا من البلبلة، ولا من الرّكاكة وطول الكلام، أو لغة الطّقطقة.

5/5. الدّراية التّامة بالمُستويات اللغويّة التي يُمكن للتّلميذ التّعامل بها: المُستوى الأعلى/ المُستوى الوسط/ المُستوى الثّالث. وهي مُستويات تفرّق بين الخطابات الانقباضية وخطابات الأُنس.

6/5. ضرورة التّفتّح على لغة العولمة: هناك لغة العالم؛ وهي الأكثر انتشارًا في العالم والأكثر استخدامًا للتّواصل بين البشر، وبالتّالي فإنّه عليكم الاهتمام بتعلّمها بشكل ضروريّ؛ للاستفادة منها لخدمة العربيّة، وتكون قيمة مضافة. فمن أفاد لغتَه من لغة أجنبيّة فإنّه قد أخذ العلم منها ولم ينتقل إليها، ومن أفاد الأجنبيّة دون أن يفيد لغته، فإنّه قد انتقل لخدمة الأجنبيّة فقد أخذته وخسرته اللّغة الأمّ.

7/5. التّفتّح على لغات العلم بقاعدة فقهيّة "حيثما وجدت المصلحة فثمّ شرع الله" يعني نزع الاحتكار اللغويّ على أنّها المصدر، ولا يَقْطُر العلمُ إلاّ منها فالعلم يوجد في كثير من اللغات.

8/5. تتطوّر اللغة العربيّة في عصرنا بالعلوم، ولقد أُشبعت أدبًا، ولكنّها تفتقر علمًا، فتريد منكم خدمتَها في حسن تعلّمِها وتدقيقِ استعمالها، والإبداع في وسائلها التّواصليّة **بصفر خطأ** في دردشاتكم في: الفسبكة/ التّوترة/ الواتساپيّة/

الإنستگرام/ التّلگرام/ الشّابكة/ الكپتار/ رسائل sms / mms وكذلك كلّ الرّسائل القصيرة...

9/5. أجد نفسي مُرتاحًا لكم أيّها الشّباب؛ بما لكم من لغة لم تتوفّر لنا في زمننا، ومهما تستعملون من لغة خاصّة بكم، هو نوع من مُحاكاة المجتمع بنمط تشفيراتكم، وهي لا تتناقض مع فقه اللغة العربيّة، وما يقتضيه النّمو اللغويّ، ولا تتعارض مع الآداب العامّة في المجتمع، وأراكم تُواكبون الشّابكة بما لها من ثورة في وسائل الاتّصال السّريع، والتي واكبّها عدد من المفردات السّريعة والمختصرة للتّعامل بين الشّباب، ونحن نعيش في عصر التّكنولوجيا؛ وهذه التّكنولوجيا تحتاج منكم التّعامل بالعربيّة فهي ليست عاجزة، وأنتم تستطيعون الإبداع في التّطبيقات وما يليها من صنع المنصّات. وأنّ أنظمة الذّكاء الصّناعي تعيش تطوّرات دخول الحرف العربيّ بشكل جيّد، فقد خرجنا من نظام (اليونكس/ Unix) الذي كان يحمل بعض المضايقات الكتابيّة في غير اللغات اللاتينيّة، إلى نظام (الوُرْد/ Word) الذي لا يُفرّق بين اللغات الطّبيعيّة، ويقبل الحرف العربيّ، ويحتاج فقط إلى فكر نَيِّرٍ يستفيد من أوعيّة محتوى كلّ أيقونات البرمجيّات ومختلف التّطبيقات ولا تنسوا النّظام العجيب (Excel) فهو مفتاح علوم البرمجيّات، وأنّ مخترع هذا النّظام أعظم بكثير من صانع الطّائرة. وهنا من الضّروري التّنبيه إلى أهمّيّة الدّمج بين الحروف العربيّة والأجنبيّة، وهي ضرورة فرضتها التّكنولوجيا المعاصرة وعلينا التّماهي فيها للاستفادة والتّطوير في إضافة الأصوات التي نحتاجها في الصّناعات الصّيدلانيّة، وفي ما يُكتب بنمط عالميّ في توظيف الحروف الرّومانيّة.

الخاتمة: لستُ قَلِقًا من لغة الشّباب، وأعلم أنّ لغتي أيّام شبابي كانت ضعيفة أمام لغة شباب اليوم؛ فهم يُحسنون صُنعًا في الدّراية اللغويّة، رغم بعض العثرات اللسانيّة المرحليّة، وهي من الطّبيعي بمكان، ولكن من باب "وليطمئنّ قلبي" أريد توجيه هذه النّصائح وتأكيد أمر العربيّة الفصحى التي تحتاج منكم القيام بعمليّة تحسيس بالقوّة النّاعمة وتقوم على خدمتها علميًا دون الخوف من العامّيّات؛ فهي مُستوى من المُستويات وهي موجودة في كلّ اللغات، فالفروق بينهما

بدأت تتقلّص بمحو الأميّة، كما يمكن للنّاطقين بها التّنقل بين المُستويات بشكل فطريّ، والتّكيّف مع سياقات وجماهير مختلفة مُمكن بهما. ولا خوف من المَحلّيات التي تزيدها وتزيدنا تلاحمًا وانسجامًا جمعيًا، ولا الانزعاج من الأجنبيّات التي تجعلنا نَفْتَحُ النّوافذَ ولا نَقْلَعُ السُّقوفَ.

أيّها الشّباب الجزائريّون الغوّاصون، لا بدّ عليّ من تنبيهكم بأنّ المستقبل للأقوى لغةً واقتصادًا، والأقوى هو الذي يفرض نفسَه في خريطة قادمة تأتي على دَحْر اللغاتِ الضّعيفة، ونحن في نقطة ضَعف وضُعف لا بدّ علينا من تعزيز سوق لغتنا العربيّة الفصحى في الاستعمال، وتصديرها كلغة حضارة إنسانيّة أعطتْ أكثرَ ممّا أخذت، ألا يعود بها الحاضر إلى زمن عولمتها، وهي تملك مُقوّمات العِلْم والحضارة والبقاء. وبالتّالي فإنّ من واجباتكم أيّها الشّباب الطّموح العمل على تعزيز وجودكم ككبار في كارتل الكبار السّت (6) في اللغات الأمميّة وفي وكالاتها الواحدة والعشرين (21) وفي اقتصاد الكبار الاثنين والعشرين (22) في خريطة اقتصاد المعرفة، وفي مجتمع المعرفة آفاق 2030م، وما سوف يأتي به الزّمن القادم في خرائط لغويّة جديدة في انقراض اللغات التي لا تُنتج العلم وهو منطق يفرضه مرض كوليرا اللغات آفاق 2050م، فما موقع اللغة العربيّة في هذه المرحلة الحرجة؟

أيّها الشّباب الجزائريّ، إنّ العربيّة ماضينا وتاريخُنا وحاضرُنا ومصيرُنا ومستقبلُنا، وأنتم شبابُنا وفلذاتُ أكبادنا، كان علينا توجيهكم؛ فأنتم تُعْلُون من شأن لغتكم، وهي في أياديكم، وهي وطنكم وعشّكم، وبها تُبدعون وتنالون حُرّيتَكم وشبابَكم ومصيرَكم، فهل تتسامحون في مصيركم؟ بلى؛ ستكونون في مُستوى الذي قال: "أيّها الشّباب الجزائريّ أن تكونوا بلغتكم أو لا تكونوا، أن تكونوا بهويّتكم وإلاّ لا تكونوا، وسيكتب عليكم الخزيُ إذا كنتم عَدَمًا، فهل تكونون أم لا تكونون وبالفعل أراكم ستكونون، وأراها عربيّةً قريبةً سهلةً مبدعةً على أفواهكم وكتاباتكم وعلى أيديكم تنزل التّطبيقات، وتأتي الإبداعات، وتُحلّ المُضايقات، وتنال العربيّةُ أعلى المقامات، وأنْعِمْ بكم يا شباب المستقبليّات!

مُنَاسَبَةٌ وَكَلِمَةٌ

تعلّم اللّغة العربيّة في عصر التّواصل الرّقميّ

- تحدّيات وآفاق -*

الدّيباجة: أودّ في البدايّة أن أشكر لكم دعوتكم لحضور فعاليّات الملتقى الوطني حول (تعلّم اللغة العربيّة في عصر التّواصل الرّقمي: تحدّيات وآفاق) والذي يعقده هذا المركز الجامعيّ (نور البشير) ونحن نزل فيه أوّل مرّة، وينالنا الشّرف أن نُوقّع اتّفاقيّة تعاون علمي معكم. والمجلس مجلسكم يعمل على أخذ الأفكار منكم، ويستفيد منها، ويعمل على رفعها لصاحب القرار بخصوص تطوير اللغة العربيّة. ونشكر حسن اختياركم لهذا اليوم (اليوم العالمي للّغة الأمّ) والعربيّة لغة الأمّ/ لغة الأمّة/ لغة الكوْن/ لغة الحضارة الإنسانيّة/ لغة يمتدّ ماضيها في حاضرها/ لغة لم تنقرض ولا تتشتّت منذ سبعة عشر (17) قرنًا/ لغة أعطت أكثر ممّا أخذت/ لغة كُتبت بها كلّ الدّيانات/ لغة الماضي والحاضر والمستقبل/ لغة الامتداد في الزّمان وفي المكان/ لغة جزيرة إيبيريا لمدّة ثمانيّة (8) قرون/ لغة القطب الثّانيّ الرّسميّ في العالم بإثنين وستّين (62) دولة/ لغة أمميّة بوكالاتها الواحدة والعشرين (21) / لغة رابعة في الاستعمال الشّابكي/ لغة الجامعات العالميّة/ لغة تجمّعت فيها خصائص لم تتجمّع في أيّة لغة، فأنْعِمْ بها من لغة! وإنّ الموضوع المُختار للملتقى يدخل في مهام المجلس في إطار علميّة اللغة العربيّة، ودورها في تقانات العصر. وإنّه لمن الموضوعات الثّقيلة التي تحتاج إلى أكثر من ملتقى للوصول إلى تقديم آليات جديدة في مسألة تعليم العربيّة باستعمال التّواصل الرّقميّ، وبخاصّة أنّ العالم المعاصر واللغات العلميّة تنحو هذا المنحى، فلِمَ لا يكون للّغة العربيّة دورٌ إيجابيٌّ في هذا المجال، مع ما نعرفه من المتغيّرات الحديثة من مثل كثرة الإقبال

* - الكلمة التي أُعدّت للملتقى الوطنيّ الأوّل؛ لصالح المركز الجامعيّ نور البشير بالبيّض بتاريخ 21 فبراير 2022م.

على تعلّم العربيّة، ومعرفة تراثها ودينها وثقافاتها، وكيفيات التّعامل بها في النّوازل ومتطلّبات العولمة والسّرعة والنّفعيّة والنّانوتكنولوجيّ...

1-الرّقمنة في ظلّ الأزمات والتّحدّيات الرّاهنة: لا شكّ أنّ السّعيّ لامتلاك الرّقمنة واستعمالها في ميدان التّعليم كان قويًا منذ أزمة كورونا. وكانت الرّقمنة حلًا للتّعلّم والمحاضرة عن بُعد، وهي آليّة من آليات العصر باستعمال أنظمة الحواسيب، وما يتبعها من برميجات ZOOM وGoogle Meet وHangouts Meet و Microsoft Teams وتطبيقات أخرى تعليميّة تعلّميّة حصل فيها السّباق في كلّ اللغات. وبالفعل كانت كلّها تنحُو في مواجهة التّحدّيات والأزمة الصّحيّة، ومن ثمّ أخذت مناحي متعدّدة، وكانت الدّافع للتّنافس على سيطرة الآلة وحسن توجيهها لتأديّة مهارات التّعليم عمومًا. وبذلك أضحت المهارات الرّقميّة متوفّرة بشكل متزايد في التّعليم، كما جرى عندنا في الجزائر في التّعليم عن بُعد أو التّعليم عبر اللويحة، ونال نصيبًا من القبول، وبعضًا من الرّفض. والمهمّ أنّه كان من متلازم الجائحة، وقد يدخل في باب (ربَّ ضرّةٍ نافعة). وقد حصل توظيف التّكنولوجيّة الرّقميّة في التّعليم في وقت الأزمة، وكان ذلك دافعًا للإبداع في الثّورة التّقانيّة وصناعة التّطبيقات؛ وصولًا إلى الذّكاء الصّناعي. وظهر هذا الاتّجاه الذي يجمع عن بُعد بين: المعلّم+ المتعلّم+ المنهاج، في سيرورة افتراضيّة كان لها الأثر الإيجابيّ على استمرار التّعلّم، وأنّ الحياة لا تتوقّف بالأزمات، ومن الضّروري العيش ضمن (اشتدّي أزمة تنفرجي) وحصلت تجربة فذّة على مسار العمليّة التّعليميّة لم تُشكّل ضعفًا، بل أفادت وعملت على تحفيز سيرة حياة المتعلّم اليوميّة. والحاصل من كلّ ذلك أنّه حدثت إمكانيّة استخدام التّكنولوجيّة بمختلف أدواتها بسهولة وفي مختلف الأماكن، وحدث تنوّع في إنتاج التّطبيقات التّربويّة وكان ذلك دعمًا للمحتوى الرّقميّ للعربيّة التي أبانت عن قدرتها العاليّة على التّواصل والاتّصال، وعن قدرتها على محاكاة عمل البيئات التّعليميّة، وتوفيرها لخدمات الحوسبة القائمة على المعلومات الرّقميّة، وعلى بيئات التّعلّم الافتراضيّة.

2-ضرورة تعليم العربيّة تقانيًا: بات الأمرُ أنّ نظام المدرسة والمدرّجات واللقاء الوجاهي مهمّ جدًا، ولكن هناك متغيّر لا بدّ أن ننتبه إليه؛ وهو ضرورة تغيير النّمط التّعليميّ إلى ما هو أعمّ وأقلّ كلفة وأتعابًا وأفضل راحة، وقد تستدعيه متغيّرات الصّحة/ الأحوال الجويّة/ الكوارث/ التّعليم مدى الحياة... فلا يجب أن يقف المتعلّم مع التّعليم التّقليديّ فقط، بل عليه نشدان مسارات أخرى لاستمرار التّعليم. وفي هذا المجال علينا أن نعمل على تشجيع المبادرات في تعليم العربيّة رقميًّا؛ بمراعاة طرائق جذّابة لتسهيل تعليمها وتعلّمها، وباستراتيجيات التّحوّل الرّقميّ لتطوير الممارسات التّعليميّة والتّعلميّة وتحقيق جودتها، والسّعي لتبادل التّجارب والخبرات العمليّة لتطوير تعليم اللغة العربيّة من تجارب اللغات المتقدّمة والاستفادة من مهاراتها رقميًّا، وبلورة مشاريع عمل لتطوير تعليم اللغة العربيّة وتعلّمها رقميًّا، وإنتاج منصّات وتطبيقات رقميّة موازيّة لعمليّة التّعليم والتّعلّم الرّقميّ. وما يجب ألاّ يغيب عن أذهاننا أنّنا نعيش عصر الرّقمنة كان علينا أن نكون، وإلاّ سيكتب علينا الزّمان أنّنا خُنّا العربيّة بتقاعسنا، ولم نراعِ التّحوّل الرّقمي، بل وضعناه في سقط المتاع. فلا بدّ علينا مسايرة المستجدّ في التّعليم الرّقميّ بمقاربات عمليّة تعليميّة تعلّميّة بمنهج معاصر، وبكلّ متطلّبات المنظومة التّعليميّة في سياق مناهج تفاعليّة تتجاوز التّعامل الجزئي في معالجة الإشكالات وتستشرف تقديم مقترحات عمليّة للتّطوير عن طريق توفير المناهج الرّقميّة والموارد والمحتويات المناسبة، والبنيات اللازمة لتوظيف التّقنيّة واستثمارها والأخذ بالمهارات الرّقميّة اللازمة.

3-التّواصل الرّقميّ: هو باب من أبواب الرّقمنة الذي يستدعي تحويل المواد المرئيّة/ المسموعة/ المقروءة إلى صيَغ رقميّة صالحةٍ للتّداولِ على الأجهزة الرّقميّة والشّابكة، والتّخزينِ على الوسائطِ الحديثة من أقراصٍ صلبة ومرِنةٍ وقابلةِ للنّشر على الشّابكة أو حوامل يفرضها العصر التّقاني. والتّعليم الرّقميّ/ Digital Learning يدخل في هذا الباب؛ حيث يقدّم محتوى تعليميًّا إلكترونيًّا عبر الوسائط المعتمدة على الحاسوب وشبكاته إلى المتعلّم بشكل يُتيح له إمكانيّة

التّفاعل النّشط مع هذا المحتوى، ومع المعلّم، ومع أقرانه، سواء كان ذلك بصورة متزامنة/ غير متزامنة، وكذلك إمكانيّة إتمام هذا التّعلّم في الوقت والمكان وبالسّرعة، فضلًا عن إمكانيّة إدارة هذا التّعلّم من خلال تلك الوسائط الملحقة وكلّ ما له علاقة بالحَكامة التّربويّة. ومن محاسنه: قدرته السّريعة على تلبيّة حاجات ورغبات المتعلّمين المعرفيّة والعلميّة، مع تحسين عمليّة الاحتفاظ بالمعلومات المكتسبة، والوصول إليها في الوقت المناسب، وتجديد المعلومات وترتيبها حسب أهميّتها، وثبت التّفاعل بين المعلّم والمتعلّم. وتكمن فوائده العديدة في تحكّمه في زيادة نسبة الغيابات وتقليل الهدر المدرسي، وتوفير المصاريف الماليّة، وحركات التّنقّل، كما يعمل على تنميّة مهارات المتعلّمين في التّعلّم الذاتي ويكسبهم مهارات التّواصل، ويخلق منظومة تعليميّة متطوّرة تتمشى مع التّقدّم المعاصر، ويستشرف المستقبل في العصر الرّقمي، ويساعد على اكتشاف البراعة الرّقميّة، ويضمن إيصال المعلومة للمتعلّم في أقصر وقت، وأقلّ جهد، وأكبر فائدة.

4-التّحدّيات: هناك جملة تحدّيات تعيشها العربيّة في مجال الرّقمنة، ولكن لا نقف دونها عجزى ودون البحث عن سدّ الثّغرات، ومن أهمّ هذه التّحدّيات:

1/4-الأُمّيّة المعلوماتيّة؛ حيث تقدّر بعض الدّراسات نسبة الأمّيّة في العالم العربيّ بنحو 80 في المئة.

2/4-ضعف بنيّة الشّبكات، وضعف المستوى المادّي لغالبيّة شعوبنا، وهذا يمنعها من الاستفادة والحضور في العالم الرّقميّ الذي يُنظرُ إليه في المستويات الاقتصاديّة الدّنيا على أنّه ترفٌ فكريّ.

3/4-ضعف أداء الجامعات ومراكز البحث في الرّقمنة، وبخاصّة البحوث التي تقوم بها المؤسّسات العموميّة.

4/4-نقص حركة النّشر الإلكترونيّ، وغياب المؤسّسات في التّنميط العالميّ وفي الشّبكات الدّوليّة وما يتبعها من انتشار وتوزيع.

5/4-ضعف إنتاج المكانز والموسوعات والمصادر المفتوحة MOOCs / (Online Courses Massive Open) وهي مواقع متخصّصة في كلّ مجالات العلوم، وفيها معلومات موثَّقة، وغياب هذه الموسوعات يزيد الفجوة الرّقميّة ويجعل اللغة العربيّة لا تلحق الرّكب.

6/4-ضعف المحتوى الرّقميّ العربيّ في حوسبة اللغة العربيّة، ولا يتجاوز نسبة 3 %، إضافة إلى ضعف تحليلها بشكل عمليّ دقيق، وأهمّ هذه الأدوات هي محرّكات البحث والمعاجم بالعربيّة تصميمًا وصناعة، وهي شبه غائبة.

7/4-قلّة إنتاج المصطلح في العربيّة، والموجود منه غير موحّد، وغياب التّحيين المصطلحي وما يتبعه من مختلف الأرصدة اللغويّة المستقرّة منذ إنتاجها.

8/4-مشكلات تقنيّة متراكمة: وتتعلّق بالتّشفير والتّرميز لنظام الكتابة العربيّة بل يتعدّاه إلى مسائل متعلّقة بالمحلّلات النّحويّة والدّلاليّة والتّرجمة الآليّة والذّكاء الاصطناعي، وكلّ المحلّلات العاملة على تقديم العربيّة بصفر خطأ، وهي مجالات مهمّتها رفع اللبس عن المفاهيم العلميّة والعمل على توحيد مناهج صياغة الأنطولوجيات بين مختلف المجالات المعرفيّة، بل بين مختلف الأقطار العربيّة واستعمالاتها المختلفة للمصطلحات والمفاهيم. دون الحديث عن صعوبات التّعرّف الضّوئيّ على المحارف العربيّة وقراءة المصوّر. وإنّه لحاجز تقنيّ كبير يشكّل فجوة بين العربيّة وغيرها من اللغات التي قطعت شوطًا في الرّقمنة. وعلينا أن نقرّ بوجود القصور فينا كباحثين؛ وبخاصّة الجامعيين، فنحن أُولى النّاس بحلّ هذه القضايا لجعْل العربيّة تلحقُ ركبَ اللغاتِ العالميّة في المحتوى الرّقميّ.

هذه وغيرها تعدّ من التّحدّيات/ المضايقات التي أثّرت بشكل كبير على المحتوى الرّقميّ العربيّ الذي لا يتمشّى ولا يُناسب قيمةَ وأهميّة العربيّة كلغة علوم ولغة أمميّة ولغة الكوْن، فنقص الرّقمنة فجوة كان علينا سدّها بالبحوث والإسهام في الكتابة في المجلاّت بالعربيّة العلميّة والعمل على نشرها رقميًّا.

5. الآفاق: هناك معطيات المستقبل تتطلّب تطوير اللغة العربيّة بما يسير مع الذّيوع والانتشار والتّجديد والابتكار؛ فإذا انتشرت اللغة من دون أن تتجدّد، مبنًى ومعنًى، أصولًا وقواعدَ، أبنيّة وأوعيّة، اصطلاحًا وأخيلةً، افتقدت الضّماناتِ التي تفتح أمامها السّبل نحو التّفوّق. واللغة العربيّة الآن تعرف طفرة صاعدة في عصر الثّورة الرّقميّة، وتحتاج إلى الانضباط اللغويّ؛ للتّحكّم في مساراتها النّمطيّة من أصول وفروع وتطوير لغويّ مضبوط وفق الشّبكات الحديثة. ومن هنا فإنّ حضورها في الشّبكات العالميّة بالكثافة والامتداد يعمل على إغنائها بصورة تلقائيّة، ويجعلها مواكبةً في صيرورتها وتمكينها من التّكيّف مع المتغيّرات، والوفاء بمتطلّبات التّطوّر اللغويّ القائم على الأسس القويّة. وهذا ما يدخل في باب أمنها اللغويّ واستقرارها والتّعامل المتبادل مع لغات العلم. وبذلك يكون الأثر الإيجابيّ للتّواصل الاجتماعيّ في التّطوّر اللغويّ حقيقة ملموسة، وواقعا حيًّا ناطقًا بالمستوى الرّاقي الذي وصلت إليه اللغة العربيّة، سواء في الفضاء الافتراضي أم في حياة العرب والمسلمين وجميع النّاطقين بها من مختلف أنحاء العالم. ومن هنا نقول: هناك في الأفق أشياء منتظرّة، وهناك ما ليس منتظرًا، وطبعًا لا بدّ من التّهيئة لما هو منتظر، من مثل:

1/5. مسايرة ضرورات العصر في التّعليم والتّعلّم عن بُعد: إنّ القفزة العاليّة في مجال الرّقمنة ساعدتنا على الحصول على المعلومات وإيصالها إلى المتلقّي بسهولة ودون كُلفة، وما علينا إلاّ التّماهي في اعتماد أسلوب التّعلم الرّقميّ الذي يُعدّ من نتائج التّطوّر التّكنولوجيّ، ونحن طرف في هذا الانفجار الحضاريّ الحاصل في المجتمعات، ومن الضّروريّ تمكين هذا النّمط التّعليميّ في منظوماتنا التّعليميّة، والعمل على تحسينه وتعزيزه والانتفاع منه.

2/5. كتابة أسماء النّطاقات بالعربيّة: هي مشكلة تخصّ كافة اللغات العالميّة عدا الإنكليزيّة التي استفردت بأسماء النّطاقات منذ نشأة الشّبكات الإلكترونيّة. وتكتسي مسألة أسماء النّطاقات أهميّة كبيرة باعتبار أنّ الوصول إلى الموارد الرّقميّة على الشّابكة هي قضيّة حيويّة للتّنوّع اللغويّ المنشود؛ حيث جميع الموارد

والخدمات تتطلّب عناوين ذاتيّة، ولهذه العناوين خاصيّة كتابتها بالأحرف اللاتينيّة. وإذا لم يكن ذلك يقصى كلّ من لا يستعمل اللاتينيّة. علمًا أنّنا بحاجة إلى التّفتّح على تعدّديّة لغويّة، وعلى استعمال محرّكات البحث اللاتينيّة فلها السّبق، ونفيد منها. والآن صار من الممكن أن يكون بغير اللاتينيّة، ولكن يمكن أن تغلق الشّبكات على غير الحروف اللاتينيّة، ونعود إلى نقطة الصّفر. وحري أن تجرى الأبحاث بمراعاة يمين الكتابة والتّرابط مع الأحرف، ومراعاة خصائص العربيّة في فقهها، أضف إلى ذلك أنّها القطب الثّاني الدّولي كلغة رسميّة في اثنين وستين (62) دولة. ولا بدّ أن تعمل البحوث المعاصرة استراتيجيًّا على أن تُصبح منمّطةً، ولا يمكن اعتماد الوسم اللاتيني في كلّ شيء.

3/5. **أفق العربيّة أمام اللغات:** كان علينا التّفكير في طرح خطّة عولمة العربيّة في ظلّ عالميتها واتّساع نطاقها، والطّلب المتزايد عليها، وهي لغة الكون التي يقع عليها الإقبال من كبريات الجامعات ومن العلماء الكبار، فماذا أعددنا لها لتكون في مستوى تلبيّة مطالب المستقبل في مجال التّقانات التي تشكو فيه فقرًا. هو مشروعنا جميعًا، مشروع النّقلة الرّقميّة ومختلف مواقع التّواصل الاجتماعيّ، وعلى الرّغم من أنّ العربيّة أصبحت الان مركزًا دوليًّا لها المقام العالميّ.

5/ 4. **العربيّة لغة الكوْن:** نزل القرآن الكريم برسالة سماويّة للكوْن، وجاء بلسان عربيّ مبين، فهي لغة العالمين جميعًا وتحتاج أن تكون كذلك عند غير الفِطريّين من النّاطقين بلغات أخرى، فكيف تكون كذلك أمام المسلمين وغير المسلمين، وكيف يُستفاد منها من قبل غير أهلها. هي مهمّة العرب في المقام الأوّل، وهي رسالة إشعاع العربيّة لدى غير أهلها، تحسين أدائها، تيسير نحوها تقديم التّرجمات الذّكيّة، الإكثار من المواقع التّعليميّة، وجودها بكثافة في مواقع التّواصل الاجتماعيّ... إنّ العربيّة ليست صعبة ولا عصيّة على غيرها كما يروّج لها البعض، فهي لغة تراثيّة يمتدّ حاضرها في ماضيها ومستقبلها، مع ثرائها الكبير ولكن لا يشكّل مشكلة دون تعلّمها وفهما واستيعابها والإحاطة بها. وتحتاج من أهلها حسن تبليغها من وجوه كثيرة؛ باعتبارها لغة الدّين الحنيف، ولغة الهويّة

الثّقافيّة العربيّة، ولغة الحضارة الإنسانيّة. وفي ذات الوقت يحتاج تبليغها بدفق لغويّ فيّاض لغير أهلها لما لها من خصوصيات لا توجد في كلّ اللغات، وهذا مكسب كبير لمستقبلها الحضاري الذي يجعل المحافظة عليها ضرورة جماعيّة كونيّة. وفي هذه النّقطة كان على أهل العربيّة الاستعانة بالوسائل التّكنولوجيّة في تعليم اللغة العربيّة للنّاطقين بلغات أخرى، والنّظر إلى معطيات العصر للّغة الأمّ التي قد تكون منافسًا شرسًا للعربيّة، وعند ذلك لن تنال العربيّة موقعها في استقطاب غير أهلها. ومن هنا نتبنّى ضرورة استعمال التّقانات الحديثة في تعليميّة العربيّة لغير أهلها باعتماد أفضل ما وصلت إليه اللغات في: الأهداف والاستعداد، والدّافعيّة، والمواد التّعليميّة، وطرائق التّدريس، والتّقويم وغيرها من عوامل نجاح التّعليم.

5/5. **العربيّة والثّورة الصّناعيّة الرّابعة**: إنّها ثورة جديدة تستند إلى التّكنولوجيّات الرّقميّة، وإلى مجالات الصّناعة وما فيها من الدّيناميكيات المعاصرة التي تتبارى اللغات لكسب المتعلّمين خارج إطار لغاتهم، ويحصل للغاتهم الامتداد والكسب المعنويّ والماديّ. وهنا يقع الرّهان في الاستثمار في الرّقمنة من اللغات الأجنبيّة التي لها السّبق العلميّ، دون الذّوبان فيها، بل يكون بالإضافة أو التّقليد المضيف. وحريّ بنا التّماهي مع تبنّي الأهداف التّعليميّة، والمحتوى التّعليميّ والاستراتيجيّات التّعليميّة التي نجحت في لغات العلم، وتصميم ذلك في العربيّة في المواد التّعليميّة، والتّقويم التّعليميّ، والتّطوير التّعليميّ للعربيّة في مبناها ومعناها وفي نحوها، دون الاهتمام أوّل الأمر بمسألة النّقل المباشر/ غير المباشر؛ حيث اللغات تلتقي في منطق لغويّ يمكن الأخذ بالتّصرّف وفق المتطلّبات والخصوصيّات. ويمكن للعربيّة أن تنال موقعها في هذه الثّورة الرّابعة لما تلتقي مع غيرها من اللغات كما التقت في القرون الوسطى وأعطت الكثير؛ حيث أفادت أكثر ممّا أخذت، وسبق لها أن عملت على تطوير كلّ اللغات السّاميّة والنّظائر في العصور الماضيّة. وهنا لا بدّ من التّركيز على المهارات اللغويّة الاتّصاليّة

والاحتكاكيّة، وينبغي العمل على أن تستجيب لمتطلّبات الثّورة الصّناعيّة الرّابعة في الاقتصاد والتّكنولوجيّة وغيرها من مجالات الإنتاج.

الخاتمة: إنّ التّعليم الرّقميّ ضرورة لا يتجزّأ من نظامنا التّعليميّ، وعلينا البحث عن سُبُل تعزيزه في منظومتنا الفكريّة أولًا، ثمّ في منظومتنا التّعليميّة ثانيًا والبحث عن اعتماد النّموذج الذّكي في برمجيات التّعليم. ومن الأهميّة بمكان أن نسعى إلى اعتماد هذا النّوع من التّعلّم لنُواكب التّطوّر الحاصل على مستوى حاجات واهتمامات الأفراد وفق متطلّبات جودة الحياة التي يسعون إلى تحقيقها. وندعو إلى إعادة النّظر في النّظم التّعليميّة العربيّة للاستفادة من تطوّرات اللغات في ظلّ التّحوّل الرّقميّ الواسع الذي أسهم في إبراز قويّها وضعيفها، فاتّسع نطاقُ انتشارها، وامتدّت أصداؤُها إلى أبعد الآفاق، حتى أصبحت بدرجات متفاوتة مسايرةً للتّطوّر، مندمجةً في العصر، وقابلةً للتّكيّف مع المتغيّرات.

مُنَاسَبَةٌ وَكَلِمَةٌ

حماية اللّغة العربيّة

(من السّياسات اللغويّة إلى الأمن اللغويّ)*

الدّيباجة: يشكر المجلسُ الأعلى للّغة العربيّة في الجزائر مسؤولي اللجنة الوطنيّة للتّربيّة والثّقافة والعلوم لدولة قطر، والملتقى القطريّ للمؤلّفين على هذه الشّراكة الثّالثة من نوعها، ويمتدّ الشّكر والامتنان لسعادة الأستاذ الدّكتور (عبد الحقّ بلعابد) على جهوده العلميّة والتّواصليّة في هذه اللقاءات المشتركة ونتطلّع إلى ما هو أحسن لبلدينا. كما نشكر لكم حسنَ اختيار هذا الموضوع المهمّ والذي نالته أقلام كثيرة، ودُبّجت فيه كتب كبيرة، ومع ذلك لا يزال موضوع السّاعة لما له من قيمة في قضايا الأمّة العربيّة التي تريد الخروج من الحديث عن التّرهل والتّماطل والوقوف الوسط دون الفصل في موضوع تعميم استعمال اللغة العربيّة في أوطانها، وكان يجب حلُّه عقب دول الاستقلال. وتبقى الدّول العربيّة في العالم لم تفصل في سياساتها اللغويّة فتعيش القهقرى، ولا تستطيع أخذ القرار الصّائب الذي يجعل للعربيّة موقعًا في تعميمها، في ظلّ غياب اللزوم والالتزام وهو نوع من اللاأمن العامّ، أو صورة سلبيّة للدّول العربيّة، وقصور في النّخب العربيّة التي استقالت وطلّقت أحكام الحديث عن تطبيق قوانين حمايّة اللغة العربيّة، وما عاد لها شعور بما يعلّق بها من تصحيح الوضع كنخبة عالمة لها مسؤوليّة اقتراح الأفكار ومرافقتها في التّطبيق، ودعوة صاحب القرار إلى التّعاون بين منتجي الأفكار وصانعيّ القرار.

---

* - أعدّت الكلمة للنّدوة الافتراضيّة حول (حمايّة اللغة العربيّة (من السّياسات اللغويّة إلى الأمن اللغوي) تنظيم مشترك بين: المجلس الأعلى للّغة العربيّة بالجزائر+ اللجنة الوطنيّة للتّربيّة والثّقافة والعلوم+ الملتقى القطري للمؤلّفين. بتاريخ 29 فبراير 2022م.

المقدّمة: من السّهولة بمكان أن يقع الفصل في مسألة تعميم استعمال العربيّة لدى دولها التي جعلت اللغة العربيّة اللغة الرّسميّة في دساتيرها بوجود القرار السّياسي الملزم؛ قرار بوزن دولة تركيا عندما استبدلت الحرف العربيّ باللاتيني وكان قرارًا حاسمًا أن يكون أو لا يكون خلال ثلاثة (3) أشهر، وقتنمة لغة الڤيتنام بعد خروج الاستعمار مباشرة ودون تراجع، وقرارات أخرى أعطت للمواطنة اللغويّة مكانها في كلّ الدّول التي أولت لغاتها مكانة التّعميم دون تراجع. ولكن هذا لم يكن في البلاد العربيّة، والعبرة في كلّ هذا كيف كان القرار السّياسيّ حاسمًا في تطبيقه، وإخضاعه للمراجعة لا للتّراجع، والسّرعة في تطبيق مواده. وما أصعب أن نقول: إنّنا لا نستطيع حمايّة اللغة العربيّة لما تعرف من شذر مذر لدى أهلها ولا يمكن تعميمها ما دامت العربيّة لغة القاعدة، والأجنبيات لغة النّخبة العاليّة المنقطعة عن القاعدة ولغة الإنتاج والتّسيير. صعب علينا أن نرى وضعنا اللغويّ لا يسير وفق المطلوب، لم ينجح القرار السّياسي في التّعريب، لم نرَ إلاّ الجمهوريّة العربيّة السّوريّة التي عملت على تعميم التّعريب ونجحت أيّما نجاح، ولم نستكنه العبرة منها. لم نفكّر في أجيالنا القادمة التي سوف تعرف القلاقل من خلال الثّقافات التي تحملها اللغات التي يدرسونها في مدارسهم في تشتيت أفكارهم وتخطيطاتهم. ضعف التّخطيط في مسألة اللغة المشتركة التي هي من الأمن العامّ، مضايقات كثيرات سوف تعيشها الأجيال القادمة عندما يصطدمون بأنّ الرّأس المدبّر يفكّر ويتكلّم بلغة، وأنّ الأيادي العاملة تفكّر بلغة مخالفة، فسوف ينهار المبنى، ويموت المريض، وينعدم الضّمير، ويحدث الغشّ في كلّ شيء... لغياب وازع لغويّ يوجد في اللغة المشتركة التي يفترض أن تلمّ الجميع، ولكن لم يحدث لدى العرب؛ فكانت النّخبة القليلة ذات اللغة الأجنبيّة تُسيّر الكثرة ذات استعمال اللغة الوطنيّة، وتختلط الأمور لصالح مزيد من التّأخير دون أن نعي أنّه لم يحدث أنّ أمّة في العالم تقدّمت باللغة الأجنبيّة، فهل نعتبر؟

1-في حمايّة اللغة العربيّة: لقد وهَنَتْ ضمائرُنا وفشِلت تجاربُنا، ومع ذلك لا نستسلم، ولا نقف دون التِماس منهجيّة جديدة وقد تكون المخرج لمقام العربيّة

في أوطانها. وما هي السّبل الكفيلة لحمايتها والدّفاع عن حسن استعمالها، وتقديم سياسة لغويّة جديدة تعمل على تعميمها والتّخطيط لها، وصولًا إلى تحقيق الأمن اللغويّ الذي هو أمن سياسيّ وحضاريّ. وإنّ المسألة جدّ خطيرة عندما نعلم بأنّ عدم تحقيق الأمن اللغويّ يعني انعدام الثّقة بين الرّاعي والرّعيّة، وقد تنشأ مجموعة من التّغيّرات التي تؤدّي إلى البلبلة في ضعف البنيّة الارتباطيّة في المجتمع وهي مرتبطة بالثّقافة الوطنيّة التي لم تسطع المدرسةُ فرضَها من خلال غياب الاهتمام باللغة المشتركة. ومن هنا بصُرنا بمجموعة من العناصر، ونراها تدخل في اقتراح بدائل جديدة تُلغي انعدامَ الأمن اللغويّ، وتُقيم علاقاتٍ من الوعي الذّاتي الذي يُنتج مشاعر الهَبَّة المشتركة لما يجمعنا من مثل اللغة العربيّة.

1/1-التِماس سبيل القوّة النّاعمة: لا مفرّ من الحديث عن تطبيق القوانين والدّساتير، ولكن أن يكون مرفوقًا بقوّة اقتراح ملابسات تطبيق القوانين في ظلّ سدّ الفقر اللغويّ الذي تُعانيه العربيّة في المصطلحات وفي اللغة العلميّة، وفي الإنتاج العلميّ الرّقميّ، وفي الفتوحات اللسانيّة. ولا يخفى على المختصّين ما تواجهه العربيّة اليوم من تحدّيات صعبة، وأمور تعرقل تطوّرها والمحافظة عليها ويمكن التّغلّب على الكثير منها عندما نغطسها في الاستعمال العامّ، وأعني تعميمها في كلّ مراحل التّعليم، وهي العمليّة الأساس التي نعتمدها في القوّة النّاعمة بمطلب العمل على سدّ الفقر العلميّ في شتّى المجالات الطّبيّة والفيزيائيّة والكيميائيّة والرّياضيّة وغيرها، وأن تُدْرَس هذه المعارفُ كما في مناشئها وتُنقَل بأفكارها الأصليّة ولغاتها الأجنبيّة، لأنّها ليست من نتاج العربيّة أصلًا، ومن ثمّ تحويل معارفها إلى العربيّة. وهذا ما يطلب منّا للنّهوض العلميّ في بلداننا والتّفكير بلغتنا وتفجير الطّاقات العقليّة الممزوجة بلغة الضّاد، فاللغة العربيّة بلا شكّ هي مصدر قوّة هائلة ولذا فهي مازالت ثابتة وكائنة على مدار الأزمة المختلفة وتحتاج إلى مسار جديد يجمع بين القوّة والفعل، بين القول والتّطبيق، بين التّنظير وتجسيد التّنظير.

1/ 2-إعادة النّظر في السّياسات اللغويّة العربيّة: هناك إقرار بأنّ السّياسات اللغويّة العربيّة لم تكن موحّدة رغم وجود مؤسّسات تعمل على توحيدها: مجامع لغويّة+ الألكسو+ مختلف الوزارات+ مؤسّسات مختصّة+ مراكز البحوث، ولكن لم تظهر بوادر تطبيق القرارات، فالقرارات تأتي من الأعلى ولا تنال أرضيّتها فَأَعْجِبْ به من خلل! حيث وجود إصدار نشرات ودوريّات حول اللغة العربيّة من خلال دعم المجامع، والجامعات معنويًّا وماديًّا للمساعدة في تحقيق ذلك، ومن طرائق الاهتمام باللغة العربيّة، والدّعوة إلى استخدامها وتوظيفها في كلّ مناحي الحياة، وتشجيع المتعلّمين في جميع المراحل التعليميّة على درسها واستعمالها في تدريس معظم المواد، وإلزام المؤسّسات المختلفة والمحالّ التّجاريّة باستعمالها بدلًا من اللغات الأجنبيّة، أو اللهجات العامّيّة، وتوجيه مؤلّفي المسلسلات والمسرحيّات لاستخدامها بمستوياتها العليا والدّنيا... وكلّ ذلك لم يشفع لها أن تنال مواقعها في مختلف مناحي الحياة في البلاد العربيّة، عدا العلوم الإنسانيّة والتي تشهد بعض التّراجع في بعض البلاد بكلّ أسف. فهل تفيد قوانين حمايتها في ظلّ عدم رجع الصّدى؟ سياسات لغويّة عربيّة تعمل بالتّهدئة والتّجويز، وترك الأمر للغير، وربح الوقت، لا استئصال المرض. سياسات لغويّة عربيّة عبارة عن فسيفساء تحمل خطابات متنوّعة غير متجانسة، وتفشل في تطبيق ما تعدّه وطنيًّا فكيف لا تفشل في ما يطرح في القمم العليا، وكان ذلك عامل فُرقة وبابًا من أبواب اضطهاد العربيّة كلغة أمّ ولغة الأمّة لم تنعم بالاستقرار، ولم تملك سلطة فرض نفسها؛ نظرًا لتدويرها في بلادها بسياسة الاحتواء المؤدّية للتّهميش، وسياسة فرض لغة أجنبيّة تُعطى لها مكانة لغة الهويّة دون قانون، وسياسة عدم التّدخّل القائمة على مبدأ اللامبالاة، وترك الأمر إلى قوّة الواقع، وسياسة إعلاء اللغة الرّسميّة دون فاعليّة ولا مشاريع ولا إغداق... هي مجموع سياسات لغويّة عربيّة في ظلّ غياب سياسة الوضع القانونيّ التّفضيليّ الذي يعمل على تعميمها في البلاد التي لا توجد الثّنائيّة اللغويّة على غرار: مصر+ السّودان+ لبنان+ الأردن+ دول الخليج+ عُمان+ اليمن+ تونس+ موريتانيا، ووضعها في الرّتبة الأولى دائمًا في دول لها ثنائيّة لغويّة على غرار: الجزائر+ المغرب+ العراق. وكلّ هذا لا يشفع أن تكون استراتيجيّة

الثّنائيّة/ الثّلاثيّة اللغويّة في بعض البلاد العربيّة، بشرط مقام العربيّة في الرّتبة العليا، وهو أمر طبيعيّ أغفلته السّياسات العربيّة على مرّ القرن XX، وهل يمكن استدراكه في القرن IXX. هذا الوضع التّفضيلي الذي يجب أن يظهر من خلال قمّة ملوك ورؤساء وأمراء الدّول العربيّة بصورة إلزام والتزام، مع تشكيل لجنة متابعة لقرارات التّطبيق؛ تُقدِّم تقريرَها السّنويّ للأمين العامّ لجامعة الدّول العربيّة.

2-السّياسة اللغويّة والتّخطيط اللغويّ: تقتضي السّياسة اللغويّة وجود جماعة/ جماعات لغويّة تهتمّ بوضع سياسة لغويّة ناجحة، أو إحياء لغة بغرض استعمالها، أو العمل على إيجاد آليات التّعايش بين اللّغات الموظّفة في البلد الواحد، وهذا يقتضي وجود تخطيط لغويّ+ إرادة سياسيّة+ هيأة تنفيذيّة+ وسائل ماديّة+ مدّة زمنيّة محدّدة. وتخطيط السّياسة اللغويّة، تعني الخيار الجمعيّ للمجتمع، وإحلال لغة/ لغات يرتضيها المجتمع، وفي العادة إحلال لغة البلد؛ ويعني الاهتمام بالتّنميّة البشريّة والتّنميّة الوطنيّة الثّقافيّة وتأمين الحقوق اللغويّة لجميع المواطنين مهما تعدّدت أعراقهم وتباينت ألسنتهم. وما يجب علمه بأنّ السّياسة اللغويّة ينبغي أن تضع في حسبانها عدّة أسس عند اختيارها اللغة الرّسميّة، ولا تكون إلّا على أساس تاريخيّ وهوياتيّ وثقافيّ وعلميّ وحضاريّ وما هو من المشترك... وإنّ التّخطيط اللغويّ الذي تنجزه السّياسات اللغويّة النّاجحة يعمل على تحقيق جملة أهداف متكاملة وهي عبارة عن سلسلة من المهيئات اللغويّة للّغة أُريد لها القياس/ المعيار، وهذا ما يجعل المعيار ضروريًّا للتّنقّل اللغويّ الاجتماعيّ والاقتصاديّ، وهو الذي يعمل على التّوحيد في لغة يسمّيها اللغة المعيار/ الفصيحة عند العرب. وعادة أنّ المختصّين يضعون أهدافًا للّغة المعيار ممثّلة في: تنقيّة اللغات+ إحياء اللغات+ إصلاح اللغات+ توحيد اللغات+ التّحديث المعجميّ+ توحيد المصطلحات+ التّبسيط الأسلوبيّ+ التّواصل بين اللغات+ الحفاظ على اللغة. وهذه الأهداف ليست محقّقة كلّها في اللغة العربيّة ومن هنا تحتاج إلى تخطيط يعمل على تحقيق هذه الأهداف. والحديث هنا على العربيّة الرّسميّة في اثنين وعشرين (22) دولة تنضوي تحت إمرة جامعة الدّول العربيّة+ اثنتي عشرة

(12) دولة أجنبيّة لغة رسميّة أجنبيّة أولى+ ثمانيّة وعشرين (28) دولة أجنبيّة لغة رسميّة أجنبيّة ثانيّة، وهي القطب العالمي الثّاني (القطب العروبيّ/ قطب الحضارة الشّرقيّة) وتلاحظون هذا الكمّ يحتاج إلى تدبير سياسة لغويّة حكيم تُبنى على الآماد الثّلاث؛ بمداخل واضحة ومخارج مضمونة. وهنا لا بدّ من تخطيط يقابله التّنفيذ، ويمكننا تصوّر رؤيّة السّياسة اللغويّة كمنظومة متكاملة من المجهودات الحثيثة؛ بدءًا بالمرحلة الأولى في شكلها النّظريّ، وانتهاء بتوجيهاتها التّنفيذيّة، وعليه نحدّد ما يشمله مفهوم السّياسة اللغويّة في القرار السّياسيّ الوطنيّ/ القوميّ، والذي يقتضي أن تكون اللغة الوطنيّة بصفة رسميّة في جميع المجالات الحيويّة في البلاد. إتباع ذلك بسياسة سنّ تشريعات الحمايّة والمتابعة وما يلحقه من أساليب الرّدع، ويتلوها متابعات تطبيقيّة في حقول الإدارة والقضاء والإعلام ومختلف ميادين الحياة العامّة. وأمّا التّعليم فله نصيبه الكبير في تعميم العربيّة في مرحلة القاعدة، فلا مناص من ذلك، وفي المرحلة الجامعيّة لا يمكن الاستغناء عن التّعدّد اللغويّ بسياسة النّفعيّة اللغويّة، وأن تكون بعض المواد فقط تُدرّس بلغة القطب لأخذ العلم من المصدر. وفي الأخير لا بدّ من هيأة مرافقة ومتابعة وتوجيه وترشيد وزجر تكون من الجامعة العربيّة، وفي كلّ دولة عربيّة تعمل على الإسهام بأعضائها على شكل مرصد/ مجلس أعلى للّغة العربيّة يقوم بمهمّة التّطبيق.

1/2التّخطيط اللغويّ للحكومات العربيّة: إنّ التّخطيط اللغويّ في مفهومه العامّ يعني تدبير المجالات اللسانيّة في مجتمع من المجتمعات/ Aménagement linguistique وبعض الغربيّين يطلقون عليه مصطلح السّياسة اللغويّة، وهذا حسب طبيعة كلّ بلد وكلّ باحث، هو نوع من التّدخّل اللسانيّ لبعض الفاعلين في علاج الظّواهر اللغويّة برؤى مستقبليّة. ويُعرِف الأستاذ(J L.Calvet) التّخطيط اللغويّ بأنّه "مجمل الخيارات الواعيّة المتّخذة في مجال العلاقات بين اللّغة والحياة الاجتماعيّة، وعلى وجه التّحديد بين اللّغات والحياة في الوطن". وفي البلاد العربيّة يهدف إلى جعل اللغة العربيّة تنال موقعًا في التّربيّة والتّعليم، دون النّظر إلى تبعات المحيط أو متعلّقات الدّين ومقامها في العالم. ولهذا نجد القصور الكبير

في تلك التّخطيطات التي تنظر إلى حتف أنفها فقط. وقد يكون ذلك من المفيد إذا توالت الإصلاحات التّربويّة وخرجت من نطاق المحليّة عبر تخطيط لغويّ أوسع يتمّ من خلاله تقييم أوضاع اللغات، وإدخال التّغييرات على المجتمع من خلال أنظمة التّعليم، ويمكن أن تنطوي عمليّة التّغيير لتمسّ التّغيير في تنسيق الكتب المدرسيّة، تغيير في طرائق تدريس اللغة الرّسميّة تغيير من شأنه أن يدعّم رفع مكانة اللغة أو قد يزيد من هيبتها في كلّ الدّول العربيّة وعند النّاطقين بها من غير الفِطريّين، هذا من جهة، ومن جهة ثانيّة ضعف التّخطيط لتعدّديّة لغويّة مدروسة، وبخاصّة في تلك البلاد العربيّة التي عرفت المُستدمِر الأجنبيّ الذي لا تزال لغته سائرة، وتفرض نفسها أمام العربيّة. وهنا لا نجد سياسة لغويّة واضحة في التّعليم، وغياب تفضيل لغة أجنبيّة على أخرى، واختيار لغة التّدريس الأجنبيّة التي ستكون أكثر فائدة للتّواصل الفعّال. ولكن ما نعلمه أنّ التّخطيطات في البلاد العربيّة تأتي من الحكومات المتعاقبة وقد تأتي حكومة تتراجع عمّا أقرّته السّابقة، دون وضع مؤسّسات عُليا تراقب أمثال تلك التّصرّفات التي تُعيد اللغةَ الرّسميّة (العربيّة) في كلّ مرّة إلى نقطة الانطلاق، ومن ثمّ يأتي إصلاح الإصلاح.

3. الرّقابة اللغويّة من الأمن اللغويّ: وبهذا التّخطيط يُمكن تحقيقُ الأمنِ اللغويّ، وأقصد به استقرار اللغة العربيّة على نحوٍ صحيح سليم بعيدة عن كلّ ما يُهدِّدها، ويعبَث بها، ويَهبط بمُستواها، ويكون ذلك باتِّباع وسائل وقائيّة جادَّة تضمَن لها حياتها وبقاءها ونقاءها، إلى جانب تحقيق الانسجام الجمعيّ والتّواصل بين مستعملي العربيّة بشكل سليم، وهذا ما يمسح كلّ ما له علاقة بالقلاقل الدّاخليّة، ويدفع بالعربيّة إلى مزيد من علوّ مقامها كلغة أمميّة/ لغة الكون. وإنّ الأمن يتعلّق بمتابعة حسن التّعليم، وحسن الاستعمال اللغويّ في كلّ وسائل الإعلام. وبذا يكون الأمن اللغويّ في العربيّة جزءا من أمن الأمّة العامّ للأمّة العربيّة؛ إذ لما كانت اللغة العربيّة ركنًا من أهمّ أركان هُويّة الأمّة العربيّة كانت الحاجة إلى الأمن اللغويّ. وأريد تأكيد مسألة الأمن اللغويّ لما له علاقة بتطوير العربيّة عندما يحصل لها الاستقرار اللغويّ الذي يستدعي منّا النّظر في الإصلاحات

التّربويّة، ولا بدّ من انتهاج سياسة لغويّة من شأنها أن تُحسّن تعليم مهارات اللغة العربيّة، وتكون لغة كلّ مراحل التّعليم، ولغة العمل عامّه وخاصّه وإلزام الإعلام باللغة الفصيحة؛ وبخاصّة البرامج المقدّمة للأطفال، والعمل على تشجيع استعمال اللغة الفصيحة المعاصرة في كلّ مجالات الحياة واستيعاب العامّيّات بتقريبها من الفصيحة والاستفادة من ألفاظها.

الخاتمة: ليست العبرةُ في القوانين، وإنّما في تطبيقها، وليست العبرة في كثرة جمعيات حمايّة/ دفاع/ تنميّة اللغة العربيّة، دون هامش من الحريّة للمبادرات والإبداع. وليست العبرة في كثرة المؤسّسات ذات العلاقة بتطوير العربيّة، وكثيرها عبارة عن هياكل دون روح. بل العبرة في تفعيلها وفتح الأبواب لنشاطاتها المختلفة، وإعطاء مساحة من الحريّة للصّحافة في المرافعات ذات العلاقة باللغة العربيّة. وهنا المشكلة التي يجب أن نتدافع من أجلها بوضع منهجيات القوّة النّاعمة لتحبيب العربيّة والتّرغيب فيها، والعمل على تطويرها وفق خُطَطٍ إنمائيّة وإسهام الحكومات في التّخطيط لها في مشاريعها السّنويّة والإغداق عليها. والعربيّة الآن تحتاج إلى استعمال من أهلها وبخاصّة الشّباب. العربيّة يُعلِيها الشّباب وهم الأغلبيّة وهم المستقبل، فأين أنت أيّها الشّاب، أليس لديك غيرة على لغتك، فأنت لها. العربيّة تحتاج أن تنال مواقع تطبيقيّة تدرجّيّة عبر كلّ دواليب الحكومات، وفي مختلف مناحي الحياة اليوميّة. كما تحتاج إلى تطبيق المادّة الثّالثة من دساتير كلّ الدّول العربيّة (العربيّة لغة وطنيّة ورسميّة) وتطبيق تدريجي للقوانين التي أقرّتها الدّولة العربيّة بالإجماع من خلال قِمَم جامعة الدّول العربيّة وبيان القمّة العربيّة التي انعقدت في سوريّة 2008م، بَلْهَ الحديث عن الدّساتير العربيّة والقوانين الدّاخليّة لكلّ دولة عربيّة.

مُناسَبَةٌ وكَلِمَةٌ

اللغة العربيّة والعلوم - تآلف معرفيّ عابر للتّخصّصات -*

الدّيباجة: أبدأ كلمتي في هذا المحفل العلميّ للّغة العربيّة الذي ينعقد في اليوم العربيّ للّغة الضّاد وما أدراك ما لغة الضّاد. لغة الضّاد أصبحت لا تعرف الدّموع ولا الأحزان، وتحيا في كثير من مؤسّساتنا، تستجلي قضاياها، ولا تعرف الانكسار، ففي كلّ يوم تنال الانتصار. وأردّد ما قاله الشّاعر:

لساني دائمًا يشدو مُناها ❁ وقلبي ما تعلّق في سواها
هي العربيّة الفصحى، وقَدْها ❁ بأنّ الله حُسنًا قد حباها
تعيش حروفُها بدمي وروحي ❁ وتأسرني إذا بسطتُ رضاها
رضعت حليبها كأسًا دِهاقًا ❁ وما زالت يُهددني سَناها
وإنّ الضّاد أُسُّ البِرّ فيها ❁ بأن تُسقى على ظمإٍ هواها
فيا ضادًا لها قصبُ التّجلّي ❁ وفاضَ بأنعُم الخيرِ نِداها
تظلّ الضّادُ أشرعةَ الأماني ❁ إلى الجِنّات نرتعُ في حِماها

هي كلمات مأثورات لها مقامها في هذا اليوم القارّ الذي يحتفي فيه المجلس الأعلى بذات المناسبة سنويًا. إنّها لغة الضّاد، وسميّت بالحرف الخامس عشر من الأبجديّة العربيّة وهو من أصعب الحروف نطقًا عند غير العرب. وأشار (سيبويه) أنّه من الأصوات غير المستحسنة لمن لا يتكلّمون العربيّة، فإنّ بعض العجم يخلطون بين الظّاء والضّاد في النّطق، وهو حرف تنفرد به العربيّة في عهدها كما قال (الجاحظ) (255) هـ في البيان والتّبيين "ليسَ للرّوم ضاد، ولا للفرس ثاء ولا للسّريان ذال". وأشار أستاذنا (عبد الرّحمن الحاج صالح) (2017م) أنّ آخر نُطْقٍ عربيٍّ قُحٍ لحرف الضّاد كان في بلاد الأندلس في عهد بني الأحمر ثمّ انقطع. وهنا

* - الكلمة التي ألقاها رئيس المجلس الأعلى بمناسبة اليوم العربيّ للّغة الضّاد. 1 مارس 2022م.

تكمن أهميّة لغة الضّاد التي أصبحت في ظرف وجيز لغة الأدب والعلم والسّياسة وأثّرت بشكل كبير في معظم لغات العالم، بل نالت معظم قارة أفريقيا، وتعولم خطّها. وها هي الآن تعود إلى مجدها الأثيل، تصبح لغةَ الكون ولغةً أمميّة، وتحصل على الرّتبة الرّابعة في الشّابكة، وتنال أقسامًا في كلّ جامعات العالم. هي لغة الضّاد وما أدراك ما لغة الضّاد، هي لغة النّور، وبحر الاشتقاقات، ومحيط الكلمات، وأغزر اللغات. وحباها اللغة لغة العالمين التي نطق بها كَلِمَهُ للعالمين كافة ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [التّكوير: 27]. وها نحن اليوم في هذا اللقاء الموسوم (اللغة العربيّة والعلوم –تآلف معرفيّ عابر للتّخصّصات-) ترانا في موضوع معرفيّ يؤدّي بنا إلى للحديث عن علميّة العربيّة وما عرفته من العطاء والأخذ عبر مختلف الأزمنة ومسّ كلّ العلوم، وإلاّ كيف كانت لغة الحضارة الإنسانيّة أيّام ظلمات أوروبا.

1. علميّة اللغة العربيّة: ما لا ينكره إلاّ جاحد أنّ العربيّة كانت خميرة استنهاض العلوم، وهي التي أعطت أكثر ممّا أخذت، واستندت علومها على الثّروة الخامّ في ذاتها ولذاتها في تكامل معرفيّ متنوّع حصل لها أيّام الفتوحات وأضحت لها الصّورة المصدريّة للعلوم، مع ما عرفته من تفاعل وتناغم في بلاد الأندلس، وقد قامت ثورة البخار على بَكَرَة العرب، وأنّ (90%) من أسماء الكواكب والنّجوم. فهذا (ابن رشد) يغذّي المعرفة العلميّة، وهذا (الرّازي+ حنين بن عبّاد) ينعشان حركة التّرجمة، وذاك (ابن خلدون) يغني علم الاجتماع، وهذا الخوارزمي وذاك جابر بن حيّان، وهذا ابن سينا، وابن النّفيس، والزُهري... والقائمة كبيرة كلّهم أغنوا التّراث العالميّ ببحر من العلوم التي لا تزال للآن تعيش عصرها الحالي. وكانت الموسوعيّة ديدنهم وبلغة عربيّة فصيحة، وبما تعرفه العلوم من الغوص في التّخصّص والذي يعني المزيد من الإبداع، وفتح أفق الاختراع والتّطوير الفعّال. بالفعل كان ذلك صورة للمثاقفة التي قامت على قواميس ولغات وألسنة أخرى من باب التّلاقح والاحتكاك الحضاريّ "وكانت العربيّة لغة العلم والرّياضيّات والفلك والهندسة والمنطق والفلسفة والتّصوّف والفلاحة والصّناعة والاقتصاد،

وانتعشت بفضل غيرة العلماء عليها وانكبابهم على البحث العلميّ والاختراع والتّجريب والتّحصيل المعرفيّ والتصنيف في شتّى المجالات التي اعترف المستشرقون الغربيّون بريادة العرب".

2. **تآلف معرفيّ**: هو تكامل من وجه حديث كان يراد له أن تُستخدم مختلف أساليب واستراتيجيّات الشّعوب في حلّ مشكلات العلوم، والبحث عن التّآلف المفضي إلى العقلنة ومنطق اللغات. وتتجلّى أهميّة ذلك ضمن مجالات العمل العلميّ، من خلال النّظر في فلسفات اليونان وخوارق الفرس وتصنيفات اللاتين وعلوم اليونان، وديانات الهنود. وكان ذلك بدافع مؤشّر البوصلة نحو وسائل تحقيق التّكامل المعرفيّ، ما يبرز من حاجة منهجيّة تفاعليّة في مضمار البحث والتّعليم، وتصبّ كلّها في صلب القضايا الحيويّة للمجتمع الإنسانيّ، وتؤول لاستيعابها والنّهوض من خلالها. إنّ الأخذ بالتّكامل المعرفي كان مشروع الثّقافة العربيّة في عصورها الأولى، ولكنّه أُجهض ضمن أحداث القرن IVX وانقلب السّحر على السّاحر، وعاشت الحضارة العربيّة الإسلاميّة البيات الذي كلّفها خمسة (5) قرون من التّأخير. هي مسيرة كبرى لم تستمر، ولكنّها كانت فريدة لا تكاد تعرف نظيرها لغة أخرى، فقد نشأت العربيّة في الصّحراء، وخرجت تعطي العلوم للّغات الأقدم منها، وكان لها السّبق العلمي الذي يقرّ به النّزيهون القدامى والمعاصرون من أهل العلم الأماجد من الغربيّين.

3. **عابر للتّخصّصات:** إنّ التّكامل المعرفيّ الذي حصل كان عبارة عن عابرٍ للّغات، وبالطّبع (عابر للّتخصّصات/interdisciplinarity) في المفهوم الأكاديميّ المعاصر. وكان ذلك عبر الأدبيّات من مثل ألف ليلة وليلة/ كليلة ودمنة... وجرى على عدّة مستويات بالأثر والتّأثير في حقول متنوّعة تحمل مفاهيم مقترنة بهذا المصطلح بالوجاهيّة. بالفعل كان الحدث يتضمّن الاقتباس واستخدام مفاهيم ونظريات ومناهج ومعطيات في مختلف العلوم في عبور اشتراك عدّة تخصّصات في دراسة مسألة أو قضيّة معقّدة ذات جوانب متعدّدة. وبالفعل كان ذلك منهج تغذيّة مختلف العلوم ليحصل تأكيد نظريّة الكونيّة التي تتسّم بها العلوم. وكلّ ما

يمكن أن نقول بأنّ تلك الدّراسات البينيّة أكّدت أهميّتها الدّراسات الحديثة في ضرورة تعاون التّخصّصات في بحث القضايا المُعقّدة والمُتعدّدة الجوانب، وأن يكون المُختصّون مُستعدين للمناقشة والتّعلّم من بعضهم البعض.

4. العربيّة والعلم في العصر الحاضر: لا ننكر مجد العربيّة في الماضي ولكن ما موقعها العلميّ أمام لغات العلم، فهل يُغني ماضيها المُغدق عن حاضرها المُقلق. بالفعل إلى أين المَسير والمصير؟ إنّ العربيّة تنشد سبُل النّهوض، وهو في عيون أهلها، ولكن ليس معبّدًا بعدُ، وما هو السّبيل الأقصر للاستدراك والبروز، والعودة إلى المجد الأثيل، وما هي الوصفة المائزة التي تجعلها تعيش العلميّة في آخر تطوّرات لغة العولمة. ولا يمكن أن يحصل ذلك إلاّ بتعميم استعمالها ونحن نعيش الحديث العربيّ، ولا يمكن أن يكون لها موقع إلاّ بتدريس العلوم بها، وتأسيس بيوت الحكمة للتّرجمات منها وإليها. وإنّه علينا تفكيك عوامل الضّعف التي علقت بنا، وأسندناها للعربيّة عنوة، كما علينا أن نبحث عن أسباب العجز عن الإبداع العلميّ والإنتاج التّكنولوجيّ والثّقافيّ بالعربيّة، وكيف نُفيد من العولمة في تطوير العربيّة. ولا بدّ على الباحثين من الرّد الموضوعيّ وحسن الدّفاع عن صلاحيّة تدريس العلوم بالعربيّة على غرار الإنكليزيّة/ الفرنسيّة التي أصبحت مرجعيّات للدّول العربيّة، وأنّ تدريس العلوم سيكون فتحًا كبيرًا للتّقدّم البشريّ، وانعتاقًا ثقافيًّا وعلميًّا من لغات الآخرين، وهو نوع من التّحرّر الثّقافيّ الذي أخذت به كلّ الشّعوب التي تصدّرت مجتمع المعرفة، وما بال العرب لا يبادرون؟ وأبادر باقتراحات أراها تعمل على النّهوض اللغويّ المنشود:

1. الدّعوة إلى تعميم استعمال العربيّة في مختلف العلوم، وفي كلّ مناحي الحياة.

2. تشجيع البَحَثَة وتحفيزهم معنويًّا ومادّيًّا وسوف يُغيّرون موازين الإبداع بالعربيّة.

3. ضرورة الاهتمام بالبحوث التّربويّة والعلميّة والتّرجميّة تحقيقًا للأمن الثّقافيّ في العربيّة.

4. تفعيل دَوْر وسائل الإعلام والإعلانات وجعلها تخدم العربيّة في أعلى تجلّياتها، وتطوير لغة الإعلاميّ في كلّ القنوات **بصفر خطأ**.

5. تفعيل المجامع والمؤسّسات والمجالس العُليا ومراكز البحوث العاملة على تطوير العربيّة بمنهجيات حديثة على غرار وصفات الشّعوب التي عرفت اللحاق العلميّ.

6. العمل على رؤيّة استراتيجيّة في مداها السّريع/ المتوسّط لحيازة وحوسبة العربيّة في مكانز تقانيّة تستجيب لتقانات العصر بما يعرفه الذّكاء الصّناعيّ من تطوّر حديث.

7. تشجيع المؤسّسات والأفراد الذين يقومون بإحياء الأيّام العالميّة القارة، وهي بمثابة وجود العربيّة محليًّا ودوليًّا.

8. تشجيع إنتاج التّطبيقات والبرمجيّات ووضع المنصّات بالعربيّة، والإغداق على المبادرات النّوعيّة ذات العلاقة بمجال العلوم والتّقانة.

وفي الأخير أنا سعيد بهذا المحفل العلميّ الذي ينجزه المجلس الأعلى للّغة العربيّة بفريق من الشّباب الطّامح الطّافح، شباب يسعى إلى تطوير اللغة العربيّة وبناء سياسات تنمويّة ونهضويّة جادة؛ تعتمد على البحث العلميّ. شباب يروم أن يكون في مستوى خدمة اللغة المشتركة الجامعة، بما له من أفكار تحسينيّة ومواهب خارقة، وقدرات كفائيّة عاليّة، فَأَنْعِمْ بهم من شباب!

وأعلن بدايّة أشغال الملتقى على بركة الله ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ التّوبة (105).

مُنَاسَبَةٌ وَكَلِمَةٌ

العربيّة بين التّجاذبات والمضايقات*

الدّيباجة: يسعد المجلس الأعلى للّغة العربيّة أن يكون ضيفَ شرفٍ في رحاب جامعة مولاي الطّاهر بسعيدة، بمناسبة اليوم الدّراسيّ الذي يقيمه (مخبر التّرجمة والتّأويل في ظلّ التّواصل متعدّد اللغات) بعنوان: اللغة العربيّة والمتغيّر الثّقافي –الواقع ورهانات مجتمع المعرفة-وإنّه لموضوع ينال القيمة المضيفة للّغة العربيّة؛ نظرًا لأهدافه في تحقيق إعادة الاعتبار للّغة العربيّة، وما يُتيحه للطّلبة من حوافز غرس الإبداع في العربيّة وبالعربيّة في ظلّ الواقع المُتغيّر والمأمول الذي ينشد مجتمع المعرفة. وما أحوجنا إلى أمثال هذه الموضوعات التي تربط بين الحداثة والأصالة للوصول بالعربيّة إلى استكناه قضاياها في فقه العربيّة وربطها بواقع التّقانات المعاصرة، وهي من ضروريات العصر. ولهذا نريد التّدخّل في هذا الباب لتوضيح بعض الرّؤى التي تعيشها العربيّة في باب التّجاذبات الهُوياتيّة وإكراهات المضايقات التي تفرضها المتغيّرات الحداثيّة، وهي تجاذبات من باب ردّ الاعتبار للّغة العربيّة لا يكون دون التّماهي في الرّقمنة، ونعرف أنّ العربيّة تعيش الكثير من الإكراهات التي جعلتها لا تلاحق رفع المضايقات وبخاصّة المضايقات التّقانيّة، وكيف نرفع رهانات الحاضر وهي من الضّروريّات المعاصرة، ويفرضها موقعها العالمي كلغة كَوْنٍ لا لغةَ قومٍ، وهل هي في مستوى تلك اللغات التي قطعت أبعادًا في الرّقمنة.

1. **أبعاد التّجاذب:** هي تجاذبات العصر والموقع وكسب الرّهان لعربيّة التّقانات التي تتطلّب العيش ضمن مسار اللغات الأمميّة؛ لأنّ الطّفرات المعاصرة في اللغة

* - المُحاضرة التي ألقيت في اليوم الدّراسيّ حول (اللغة العربيّة والمُتغيّر الثّقافيّ (الواقع ورهانات المَعرفة). تنظيم مَخبر التّرجمة والتّأويل في ظلّ التّواصل مُتعدّد اللغات، بجامعة مولاي الطّاهر بسعيدة. يوم 7 مارس 2022م.

العربيّة تُدمج الرّهانات في الوصول إلى تقديم حلول في التّكنولوجيات الحديثة من المعالجة الآليّة في المحلّل الصّرفي وإلى المحلّل النّحوي والمُشَكّل الإملائي والمدقّق اللغويّ، والتّخزين الكمّي للرّصيد اللغويّ لمادة المتن العربيّ الذي له امتداد سبعة عشر (17) قرنًا من المدوّنات الكبرى على غرار المعاجم والموسوعات، بَلْهَ الحديث عن الكتب الأدبيّة التي يصعب إحصاؤها هذا من جهة رهان من رهانات التّجاذب، ومن جهة حدود فكرة اللغة العربيّة العلميّة، وحدود إنتاج العلوم بها، وهو رهان يكشف عن سياقات عدم التّداول العلميّ والأكاديمي للعربيّة، وقلّة التّدريس بها في الشُّعب العلميّة، وهذه هي حياة اللغة العربيّة الحيّة التي تتقاطع فيها الرّؤى العلميّة والسّياسيّة التي لم تجعلها تحقّق البُعد الهُويّاتي المطلوب تجسيده في ملامح المتعلّم المطلوب تكوينُه بلغته الوطنيّة، وما يلحقه من ركام معرفيّ ذي مرجعيات تاريخيّة وحضاريّة ضمن الماضي والحاضر في إطار مراعاة القوى المركزية لتحوّلات العالم. وهنا لا بدّ في البداية من الإقرار بالمضايقات التي تعرفها العربيّة من قبل أهلها، وليس من جيناتها، فهل يتمّ الإنتاج العلميّ باللغة العربيّة العلميّة؟ وهل هناك إنتاج علميّ في الدّول العربيّة؟ وهل تُدرّس العلوم في الجامعات العربيّة أم تُدرّس مداخلُها وتاريخُها؟ ما إكراهات الإنتاج باللغة العربيّة العلميّة وصعوباتُه؟ ما أسباب إشكالات قضايا التّرجمة من وإلى اللغة العربيّة؟ وهل هناك ارتباط بين الإنتاج والتّداول اللغويّ باللغة المُنتجة؟ وهل اللغةُ المُنتجة تفرض سيطرتَها وهيمنتَها الفكريّة وحمولتَها الثّقافيّة عند التّرجمة؟ وما السّبيل للإنتاج العلميّ باللغة العربيّة العلميّة؟ كلّ هذه الأسئلة مشروعةٌ باعتبارها في صميم حلّ القضايا العالقة في اللغة العربيّة في شتّى التّخصّصات العلميّة، والوعي بها من أجل البحث فيها للوصول إلى جعْل التّكامل قائمًا بين الضّرورات؛ وهي مهمّة حضاريّة لتكون العربيّة علميّة، وبين الدّفع بالإكراهات إلى مواطن إيجاد الحلول، وما يصحبها من رفع المضايقات.

1/1. تجاذب التّداول: إنّ اللغة العربيّة منتجة؛ فكيف السّبيل لتداولها؟ ويعني الشّيوع والذّيوع والانتشار وعليه، فاللغة باستمراريتها في إنتاج العلوم ومواكبة

عصر التّكنولوجيا تكون قادرة -في ذاتها بمفرداتها ومعجمها وتراكيبها وأساليبهاعلى توليد مصطلحات ومفاهيم دقيقة للعلوم كيفما كانت تخصّصاتها وطبيعتها وبمفردات أكثر دقّة وشموليّة وتعبيريّة، إذا تحقّق شرط الاهتمام، والبحث والتّدقيق اللغويّ، وتحقّق وجودُها في البرامج والمقرّرات والمناهج، وتمّ تشجيع المبادرات العلميّة الدّاعمة لتداول اللغة العربيّة العلميّة عبر تكثيف الجهود وتربية النّشء على توظيف اللغة العربيّة في التّواصل الشّفهي والكتابي والمطالعة والقراءة بها وتشجيع العلماء على الإنتاج العلمي، وتطوير التّرجمة، والاهتمام بها، من خلال خلق آليات حديثة تساعد على حسن تعليمها وتعلّمها.

2/1. تجاذب الرّقمنة: يعني العمل على رفع المضايقات التي علقت بالعربيّة إثر القرون الخمسة من البيات الذي عرفته من غزو المستدمرين للمشرق والمغرب، ومنعها من التّداول في بيوتها، وهذا ما خلق الشّرخ العلمي الذي أدّى بأهلها إلى عدم تطويرها في البيئة التّقنيّة. ونظرًا لطول المدّة فهل يمكن للرّقمنة تحقيق التّطلعات العربيّة في اللحاق بالرّكب مع آفاق الحداثة. ولا شكّ أنّ الطّريق ليس مستحيلًا عند تمثيل الجهد الإقليميّ الجماعيّ في تمهيد الطّريق أمام صياغة أجندة عربيّة شاملة في مسار التّنميّة الرّقميّة عبر الاستراتيجيّة الرّقميّة، من: البنية التّحتيّة، الحوكمة، البيئة القانونيّة، الاقتصاد الرّقمي، الاستعمال، التّجارة، مسايرة التّحوّل الرّقمي، الإدماج الاجتماعي، الثّقافة ووسائل الإعلام. والخلاصة تقول: إنّ تجاذب الرّقمنة تتطلّب تمكين المجتمع من الأتمتة من خلال ما تقوم به مراكز البحوث، وما تقدّمه الجامعات من بيانات تجعل التّقانات في متناول كلّ النّاس فهل العربيّة يمكن أن تُوفّر ذلك لهذا الجيل؟

3/1. تجاذب تحقيق مجتمع المعرفة: ويتطلّب تحسين الإمكانات البشريّة وتهيئة الظّروف للتّنميّة البشريّة عبر التّجنيد الجماعي في تحقيق المستوى المعيشي اللائق بالكرامة الإنسانيّة، وتحقيق التّطبيب المجانيّ، والعلم للجميع وبالمجان. هي رهانات التّنميّة البشريّة للوصول بالمجتمع إلى المعرفة التي تخلق النّهضة العامّة، والخروج بالمجتمع العربيّ من سؤال لماذا تأخّر العرب وتقدّم غيرهم؟ وكان أهمّ

سؤال من أسئلة النّهضة، ولم نوجد له آليات الحداثة لرفع الغبن، في الوقت الذي عرفت أمم متأخرّة علينا رفاهيّة مجتمعيّة نوعيّة، وخرجت من التّخلّف بما أدارته من حوكمة في تحقيق التّنميّة البشريّة؛ بالعمل على توفير المناخ الدّيمقراطي القائم على الحرية والمساواة، ونشر التّعليمٍ الإلزامي ذي الجودة العاليّة باللغة الوطنيّة المشتركة، وتوفير الخدمات الصّحية والطّبية، واستخدام أحدث الّتقنيات في الإنتاج الزّراعيّ والصّناعيّ، والخروج بشكل نهائيّ من القلاقل الدّاخليّة.

4/1. تجاذب التّردّد في تدريس العلوم باللغة الوطنيّة المشتركة: هو لبّ الصّراع الذي يلفّ حياتَنا العلميّة، بما رُسّخ من عدم استعداد العربيّة لخوض ميدان العلوم، وبما يراه أهل الحلّ بأنّها مغامرة غير مضمونة العواقب، وبما يجمع لها من بعض النّخبة العالقة بغيرها من أفكار الرّهاب من العربيّة... وفي هذا المجال ينسى الكثير بأنّه لم يثبت أنّ أمّة في العالم تقدّمت باللغة الأجنبيّة، وأنّ اللغة آلة في يدّ مستعملها، وأنّ مواصلة البحث والدّراسة في المرحلة الجامعيّة بذات لغة القاعدة أسهل وأيسر وأنفع وأنجع من اعتماد لغة أخرى تحدث القطيعة بين مراحل التّعليم... هي مرحلة التّردّد العربيّ، ولم يحصل إلاّ عند العرب في لغتهم التي لا مثيل لها بين لغات العالم بما لها من إمكانات علميّة لا توجد مجتمعة إلاّ فيها. ونلاحظ من خلال هذا التّردّد كم تخسر البلاد العربيّة من خريجين تُعِدّهم لغير بلادهم، كم من متسرّبين من النّظام التّربوي، كم من طاقات معطّلة، كم من شباب عاطل، كم من أفكار غير متقاربة يُعدّها النّظام التّربويّ في المجتمع الواحد، كم من شباب جامعيّ يُعيقه الخلل اللغويّ عن مواصلة مساره التّعليميّ الجامعيّ! كم من أدمغة تُهاجر! كم من أوجاع نفسيّة تجاه حبّ الوطن! كم من قلاقل داخليّة بسبب اللغة تشهدها الدّول العربيّة !... علمًا أن كلّ الدّول في العالم تعمل بلغاتها ودون مشكلة تُذكر، إلاّ بعض الدّول العربيّة، ويشير الباحث في التّنميّة البشريّة (علي القاسمي) "... أنّ جميع الدّول المتقدّمة أو التي هي في سبيلها إلى تحقيق التّنمية البشريّة العاليّة لا تستخدم لغة أجنبيّة في تعليمها العالي أو في سوق العمل فيها. فالنّرويج (رتبتها على سلّم التّنميّة 1) تستعمل اللغة النّرويجيّة،

وكوريا الجنوبيّة (رتبتها على سلّم التّنميّة 17) تستعمل الكوريّة، وإيران (رتبتها على سلّم التّنميّة 69) وكانت من الدّول المتخلّفة، قبل سنة 1979 حينما كان التّعليم العالي فيها باللغة الإنكليزيّة، ولكنّها اعتمدت اللغة الفارسيّة، لغتها الرّسميّة، بعد تلك السّنة، فوضعت نفسها على طريق التّنمية البشريّة، مع العلم أنّ النّاطقين بالفارسية لغة أمّ لا يشّكلون أكثر من 60% والباقي يتكلّمون 70 لغة أهمّها الآذريّة، والكرديّة والعربيّة والبلوشيّة والتّركمانيّة وغيرها".

5/1. تجاذب اللغة الوطنيّة المشتركة والتّنميّة البشريّة: إنّ هذا التّجاذب يلغي الصّورة النّمطيّة لتخلّف اللغات المحليّة، ويعطي صورة الشّخصيّة الهُوياتيّة والصّفة العلميّة للّغة الأمّ كلّما وقع الاهتمام بها، وهذا حافز يعطي القيمة المعنويّة والرّسميّة للّغة المشتركة، وهذا لا يعني الانغلاق على الاستفادة من اللغات الأجنبيّة فهي من نوافذ العلوم، ومن ضرورات الحداثة، وكلّ الحضارات قامت على التّبادل المعرفي عبر التّرجمات. فاللغات الأجنبيّة ضروريّة إذا لم تأخذ صورة الهُويّة، ولم تعتمد لغة أرقى من الأخرى في كلّ المجالات، ويقع ترشيح كلّ شيء منها، وهذه آفة نعيشها في واقعنا العربيّ بتجاذب لغتين أجنبيّتين فقط. وترى تقارير التّنميّة البشريّة أنّ مجتمع المعرفة يعتمد أصلًا على لغته في المقام الأوّل، ويتبادل المعلومات عن طريق اللغة المشتركة ويستزيد من اللغات الأجنبيّة.

2. رفع التّجاذبات: إنّ رفع هذه التّجاذبات يعمل على الاستقرار والانسجام الجمعي، ويحفظ للمجتمع أمنه في تلبية حاجاته اليومية، ويحافظ على ثقافته وتراثه وعلى تحقيق العدالة الاجتماعيّة، ولهذا نريد أمنا يجمع بين الأمن اللغويّ والاقتصاديّ والثّقافيّ والعسكريّ، ويخلّصنا من القلاقل، ونحن بحاجة إلى الأمن اللغويّ، وإلى أمن العربيّة بتواجدها في المحتوى الرّقميّ، وفي تعميم استعمالها في المؤسّسات الوطنيّة، وهذا مطلب تدبير سياسة الجزائر الجديدة التي يقودها السّيد رئيس الجمهوريّة (عبد المجيد تبّون) في تحقيق إسناد المناصب لأهل الاختصاص، والعمل على تحقيق شرعية السّلطة وتدبير السّلطة، ونتّجه إلى فهم أسئلة الإصلاح العامّ في علاقاتها بأسئلة التّنميّة الوطنيّة الجامعة، وفي تثبيت

الدّيمقراطيّة وبناء دولة المؤسّسات؛ دولة الاقتصاد القويّ، دولة لا تزول بزوال الرّجال. ومن هنا ندعو المشتغلين بالبحث العلمي إلى البحث في مجالات التّوجّه العلمي الرّقميّ إلى الاستشراف وعدم التّقوقع على الذّات. وعليه، فالدّولة الجزائريّة الجديدة مجبرة على أن يكون لها حضور دولي تفيد وتستفيد، وأن تخرج من صورة التّرهّل اللغويّ في الماضي إلى الإبداع والابتكار، وأن تعمل على تنمية الفكر الثّقافي بنخب وطنيّة حيّة منتجة للأفكار تقدّمها لصانع القرار.

الخاتمة: إنّ المستقبل بأيدينا لا بدّ أن يكون لنا موقع في خريطة العالم، وأن تنال العربيّة موقعها في لغات العولمة وفي صناعة المستقبل، وضرورة المغالبة في فقه الواقع ونقده، والتّحلّي باليقين والصّبر والمصابرة وطول النّفس، والتّخطيط والتّدرّج في التّطبيق، وضرورة رفع الاختلاف المؤدّي إلى البيزنطيّة، ولا نمنع الاختلاف كثقافة طرح فكرة مغايرة، وهذا يدخل في دائرة الحوار والكلام والاستماع للآخر؛ لأنّ الأصل في الكلام هو الحوار، والحوار أصل الاختلاف، والاختلاف يدخل في الآراء الاجتهاديّة، ويدخل في باب البُرهان والدّليل. والاختلاف المقصود هنا واحدٌ والوصول إليه من أبواب مختلفة. ومن الضّروريّ تدبير الاختلاف باستعمال النّظام والقوانين والشّريعة والعُرف والحكمة وتحقيق الاختلاف في إطار الوَحْدة، وهي أمّ المقاصد، وهي صفة للتّدافع نحو الخصوصيّة، وهدفها التّسابق وحسن التّدبير، وسياسة النّظر في عاقبة الأمر. وهذا ما يدفع بنا إلى وعي مرحلة التّجاذب اللغويّ أنّها تتطلّب منّا اتّخاذ تدابير واحتياطات لازمة لعدم الانزلاق، وآليات هذا الوضع فقه الاختلاف وإدارة الاختلاف وفقه الائتلاف، ورفع المُلام عن أعلامنا وعلمائنا، ودفعهم نحو الإجماع والإنصاف في المسألة اللغويّة التي هي أمنُنا جميعًا، وخطوات التّنفيذ عندنا، وتتجسّد بين الرّاعي والرّعيّة. ذلِكُم هو مقصد المجلس الأعلى للّغة العربيّة في علميته وخُططِه ومنافحاته التّحبيبيّة والتّرغيبيّة مراعاة للمصلحة المشتركة التي توجد في العربيّة الفصحى وليست كلغة آحاد، بل كلغة جامعة تدرأ الفُرقةَ، وتجمع الأمّةَ؛ باعتبارها **اللغة الأمّ ولغة الأمّة.**

مُنَاسَبَةٌ وَكَلِمَةٌ

اللغة العربيّة وإجرائيّة الحوسبة الرّقميّة في الجزائر
تجربة المجلس الأعلى للّغة العربيّة*

الدّيباجة: يعمل المجلسُ الأعلى للّغة العربيّة على تعميم استعمال العربيّة في مختلف مناحي الحياة، كما يقوم مع مختلف الشّركاء على تفعيل العربيّة لتنال موقعًا في الحوسبة الرّقميّة باعتبارها لغة المستقبل، ويدعو مختلف المجامع العلميّة العربيّة والمجالس العليا للاستثمار في تكنولوجيا المعلومات وإنتاجها بدلًا من شرائها، وضرورة الاستثمار بكثافة في قواعد البيانات والبرامج والمعدّات للوصول إلى قوّة امتلاك الحوسبة الرّقميّة باستعمال الذّكاء الصّناعي الدّاعم للبنية العلميّة وللمحتوى الرّقمي العربي. وإنّ الحوسبة إضافة جديدة لتوصيل الخدمات التّقانيّة المعلوماتيّة القائمة على مواثيق الشّبكات، وتتضمّن نماذج إمداد بمعلومات يصل إليها المستخدم بصورة مجانيّة، ويمكن استغلالها عبر متصفّح الويب/ Web كما لو كانت برامج تمّت إضافتها محلّيًّا على الحواسيب الشّخصيّة. وهنا يروم المجلس اتّباع استراتيجيّة تطوير الخدمات التي توفّرها الأنظمة التّقانيّة المحوسبة، إضافة إلى الأنظمة الموجودة في الحواسيب على غرار ورقات: PowerPoint + Excel +Word... والاستثمار في البنية التّحتية لتكنولوجيا المعلومات الخاصّة بالحوسبة السّحابيّة بدلًا من إنفاق الأموال والموارد على أنظمة تكنولوجيا المعلومات القديمة. ولا بدّ من مسايرة التّقانة الحديثة في الحوسبة الخاصّة لدى مؤسّسة/ لغة ما وطلب الاستضافة للاستفادة من خدماتها وأمنها والإفادة من بيانات موفّر الخدمات التّقانيّة.

---

* - أعدّت الكلمة لصالح جامعة غليزان، وللملتقى يحمل عنوان الكلمة. وجرى إلقاؤها بتاريخ 9 مارس 2022م.

1. تجربة الحوسبة في المجلس الأعلى للّغة العربيّة: هي تجربة لها الكثير من النّتائج التي أثمرت عن إنتاج خوارزميات أتت أكُلَها في مشاريع التّطوير اللغويّ في بناء قاعدة البيانات وبرامج التّطبيقات، وإنشاء المنصّات، وتبادل المحتويات، وهذا كلّه بغرض الوفاء بتحدّيات العصر الرّقمي الذي يروم المجلس استثمار بنياته التّقانيّة، وتمثيل ما يمكن تمثيله في العربيّة، وصولًا إلى الابتكار.

وهنا يعمل المجلس في شراكة مع شباب حاملي المشاريع/ (Startup) في تقديم أفكار النّمذجة الابتكاريّة على موضوعات يلتقي حولها مختصّون: فقيه لغة عربيّة+ مختصّ في مجال المشروع+ معلومياتي. وهنا يقع ربط عمليّات الأعمال في أفكار اللغة مع الاختصاص والنّمذجة الذّكيّة التي تعطي برمجية فيها قاعدة بداية العمل وفق استراتيجيّة البرمجيّة مع ما يصحبها من مستلزمات التّواصل عن بُعد.

2. . البحث عن النّجاح: لماذا نبحث عن النّجاح؟ سؤال نبدأ به هذا المقال ونحن نتحدّث عن أخلقة الرّقمنة التي أُوجدتْ في أصلها من أجل التّحسين العامّ وقلّة الجَهد، والتّميّز والسّرعة، وامتلاك قدرات التّفوّق، وصناعة المستقبل وصناعة الرّفاهيّة، واتّباع نجاحات الآخرين، وما يتبع من سُبل سهولة الوصول إلى المعلومة، والتّسوّق عن بُعد، وحضور النّدوات الوطنيّة والعالميّة دون تنقّل والحصول على الوثائق الإداريّة/ إرسالها بيُسر، والبصمة عن بعد...

تِلْكُم القليل ممّا تُقدّمه الرّقمنة من آفاق قضاء المصالح بنجاح؛ لما لها من فرص وامتدادات لو يُحسَن استغلالُها في أرض خصبة تهب الكثير من المنافع، وبخاصّة عندما تكون هذه الرّقمنة تأتي بالقوّة النّاعمة، وبمهارات أخلاقيّة تعمل على صناعة الرّفاهيّة الأخلاقيّة والجسديّة. فهل وقع استغلالُ فوائد الرّقمنة لجعلها أرضيّة يُستثمر فيها لتقديم الخِدْمات في فرص صناعة النّجاح. علمًا بأنّ الفرص أيّا كان امتدادُها وشأنُها لا قيمة لها ما لم تُستثمر، فمن يملك أرضًا خصبةً، أو شهادةً عليا، أو مهارةً فريدة يتساوى مع غيره من غير المالكين إن لم يُبادر ويغتنم هذه الفرصة.

فاغتنم فرصة التّمحور حول الذّات لتحقيق النّجاح، كما قال الشّاعر:

إذا هبّـــت رياحُـــك فاغتنمْهـــا ❁ فـــإنّ لكـــلّ خافقـــةٍ سكـــــونُ
وإن ولـــدتْ نياقُـــك فاحتلبْهـــا ❁ فـــلا تـــدري الفصـــيلَ لمـــن يكـــونُ

3. أخلقة الرّقمنة وصناعة الرّفاهيّة: يضع المجلس الأعلى للّغة العربيّة في الجزائر ثقله على أهميّة الاستثمار في ثقافة الفرد بما له من لغة وثقافة وتاريخ وعُرف ودين، وهذا لا يكون إلاّ عبر الاهتمام بالعلوم الإنسانيّة التي تخلق الرّجل المستأنس الذي يتحكّم في الآلة، لا الرّجل الذي تتحكّم فيه الآلة، ولهذا نرى الأمم المتقدّمة لم ترتقِ إلاّ بتدريج كان قوامه الاهتمام بالعلوم الإنسانيّة ومفتاحها اللغة وهي باب العلوم، ويقول أبو حامد الغزالي "علم اللغة سُلّم ومِرقاة إلى جميع العلوم فإنّ من أراد أن يصعد سَطْحًا؛ فعليه تمهيد المِرقاة أولًا، وعلم اللغة وسيلة عظيمة ومِرقاة كبيرة، ومن لم يَعْلم اللغةَ، فلا سبيل له إلى تحصيل العلوم، فعلمُ اللغة أصلُ الأصول". بالفعل إنّ اللغة أصلُ الأصول؛ لأنّه لا تُفهم العلومُ إذا لم نكن على دراية بمصطلحات ومداليل اللغة، كما لا تُفهم العلومُ بالأخطاء اللغويّة، ولهذا فأصل ثروة الأمّة الحقيقيّة تكمن في أفراد شعبها الذين يصنعون مستقبل أمّتهم بلغتهم، ولا يُقاس تقدّم الأمّة ببناء النّاطحات، ولا بصناعة الحديد، ولا برفع الزّجاج إلى الأعالي، بقدّر ما يُنظر إلى بناء الإنسان فكريًا وثقافيًا، وإضفاء الطّابع الإنسانيّ على المنتجات الصّناعيّة، ووضع قوانين أخلاقيّات التّعامل مع الذّكاء الاصطناعيّ الذي يُحدّد أخلاقيات تطوير هذا الذّكاء وفق المرجعيّات الدّينيّة والأخلاقيّة والعلميّة، وكيف تكون التّكنولوجيّة الجديدة عواملَ فاعلةً لصُنع النّجاح والخير والرّفاهيّة، كيف تكون التّقنيات سريعةَ الخدمة للتّجار وللسّواح وفي مختلف الخدمات. وهنا نقول: لا بدّ من تسخير قوّة التّقنيات المزعزعة والاستثمار في التّعليم المبتكر، وفي لغة وثقافة الأمّة، وفي بناء الذّكاء الاصطناعيّ، والطّب الجينومي الذّكيّ، وتقنيّة النّانو، والرّعاية الصّحيّة الرّوبوتيّة، والإحاطة بكلّ أخلاقيّات صناعة العيش معًا بسلام، وهي صناعة الرّفاهيّة. وقد علّمتنا تجارب الأمم النّاجحة أنّ أوروبا لم تحصل على الصّدارة في التّكنولوجيّة إلاّ بعد

أن أعطت العلوم الإنسانيّة كلّ الاهتمام، وكانت إيطاليا مهد الآداب والفنّون، ومنها خرجت ثورة البُخار. وأنّ اليابان دُمّرت بعد الحرب العالميّة الثّانيّة، وأُمليتْ عليها شروطُ الاستسلام، ولكنّها لم تمضِ على تلك الوثيقة إلاّ بجانب الكتابة بلغتها والبقاء ضمن خصوصيّاتها الثّقافيّة، وأعادت بناء نفسها بالغلق على ذاتها واحترمت ثقافة الأجداد، وأبدعت في النّانوتكنولوجي، وبقيت المرأة اليابانيّة تجلس إلى رِجْل زوجها، وتشتغل في الحقل، وتُربّي أولادها، وما أعاقها ذلك على الإبداع الحضاريّ. وأنّ كوريا الجنوبيّة التي عرفت الدّيكتاتوريّة الجبّارة لاثنتي عشرة (12) سنة كانت ثمارها تقديس العمل، وأداء الواجب قبل المطالبة بالحقوق، ودفع بها التّأديب الجماعي إلى الخروج من الفقر، فأضحت تُنافس كبريات الصّناعات الحديثة مع ما عرفته من الانتقال التّدريجي الذي لم يعرف التّراجع ولا القهقرى من لغة المستدمِر إلى لغة البلد.

4. البحث عن الرّقمنة والرّفاهيّة: إنّ الرّقمنة لم تعُد تتعلّق بالبنية التّحتيّة فحسب، بل تقوم على التّحوّل العامّ لتلبية احتياجات المتعامل الرّقميّ، فتكون إلى جانب رفاهيته في تعزيز نقاط اتّصال بفضل التّحليلات المتّطوّرة مع ضمان توفير الخدمات في أيّ زمان ومكان من خلال قنوات متعدّدة مثل المحمول الذّكيّ والشّابكة والتّواصل عن بُعد، وقضاء المصالح بالسّريع، والهدف هنا هو كيف تجعل المستعمل يُقلّل من التّكاليف ليكون مُرفّهًا وسعيدًا؛ وهذا لا يتحقّق إلاّ عبر التّحوّل الرّقميّ القائم على التّكنولوجيّة والذّكاء الصّناعيّ. وأعتقد أنّ الأمور الفاخرة ليست مفتاح السّعادة، فالسّعادة في الأمن العامّ، وأنّ الأمن السّيبيرانيّ جزء من الأمن العامّ، فلا بدّ من اتّقاء شروره بتقنيات التّواصل الاجتماعيّ والحضارة الصّناعيّة وبأرمادة من القوانين؛ ليعيش المتعامل الأمان والسّعادة. ولكي يكون ذلك واقعًا لا افتراضًا تعمل الرّقمنة على تحقيق النّمو والازدهار في بيئة تتّسم بسرعة التّحوّل الرّقميّ في عمقه لتحقيق معادلات النّجاح، وهذا باستمرار التّكنولوجيات في لَعْب دورٍ عميقٍ في تشكيل مشهد المخاطر الكبرى الوطنيّة/ العالميّة. وهنا يغيب الأمن الآتي من التّكنولوجيات وعنا الخطر، مع أنّ صنّاع

التّقانات يرون بأنّه كلّما كثرت التّقانات أصبحت الأحوال أحسن وقلّت الجريمة، وكلّما وقع الاستثمار في الأصول غير النّفطيّة يحصل الازدهار والمشكلة هنا في سياسة إدارة التّقانات.

لا يمكن أن ننكر بأنّ التّقانة هي الصّناعة، والصّناعة لا بدّ منها، وما هي التّوليفة الثّقافيّة التي تجعل الفردَ يبني دولته بصفر حرب، عندما يبني معالم دولته على الابتكار التّكنولوجيّ، ويُعدّ تجهيزاته القادمة لما بعد الرّيْع كما هو حاصل عند الدّول العربيّة التي تراهن على أصل يزول. ولهذا كان علينا التّخطيط لجعل اقتصادنا اقتصادًا تنافسيًا قائمًا على المعرفة، اقتصادًا داعمًا لروح الإبداع والابتكار، وكيف نجعل الشّعب العربي يستجيب لهذا التّحوّل الرّقميّ والذي يراه البعض أضغاث أحلام، ولكن هي رؤى استراتيجيّة قد تُحقّق هذه الأحلام، وهل نحن –العربَ-قادرون على تحويل الأحلام لواقع، وكيف نُسهم في رسم ملامح المستقبل الرّقميّ للبلاد العربيّة؟ وهنا نقول علينا تهيئة الأجواء في إعداد المواهب مع ما يرافقها من أنظمة جديدة، من ابتكارات تقنيّة عاليّة الخدمات، وريادة الأعمال على مستوى حاضنات الأعمال العملاقة في المجال التّكنولوجيّ... ولا شكّ سنواجه التّحدّيات، وستحصل المغامرات، ولكنّها سوف تكون مغامرات ناجحات، وسوف نتمكّن من التّصدّي لها من خلال التّركيز على مستقبلنا ورؤيتنا إلى جانب ثقتنا في الشّركاء المخلصين، وفي بناء الاستراتيجيات التي تكسبنا ربح الوقت، وقلّة التّكاليف. ولهذا لا بدّ علينا من السّعي إلى استكشاف الفضاء والحصول على الطّاقة المستديمة، واتّخاذ الأسباب وما يتبعها من العزيمة التي تصنع الطّريق في السّماء والبحر وعبر القارات، ورسم ملامح التّحوّل والمسار الجديد نحو اقتصاد المعرفة، ولذا علينا أن نضع المستقبل في طلب خططنا والمنافسة لترسيخ مكانتنا، والبحث عن أتمتة المعلومات آفاق 2030.

5. الاستثمار في الرّقمنة وصولًا لمجتمع المعرفة: يركّز المجلس الأعلى على فئة الشّباب والبحث عن المواهب؛ وذلك ما سيُشكّل قيمة في المستقبل؛ لأنّ التّحوّل الرّقميّ سيكون مستحيلًا في حال غياب الشّباب والمواهب وطرائق المعرفة. وإنّني

مؤمن بأنّ الجزائر بما لها من مواهب شابة، وحاضنات ومجموعات شبابيّة من (STARTUP) وما نراه من فتوحات إبداعيّة من شباب صغار عازم على التّغيير الإيجابيّ سيكون ذلك باب اقتصاد المعرفة بأقلّ كُلفة وأنّ السّاحة الرّقميّة بدأت تعرف نقلة في كلّ جوانب الحياة العامّة، مع تحويل الخدمات الحكوميّة الإلكترونيّة إلى خدمات ذكيّة، وتقديم الأفضل لعامّة النّاس على مدار 24/24.

وسيكون شبابنا على استعداد لتقديم أفكار حول المدن الذّكيّة، بتسريع وتيرة الرّقمنة، ومبادرات للمعاملات اللاّورقيّة، وتحويل أعمال الحكومات بلا ورق... وهذا كلّه ضمن التّحكّم في التّقنيات المزعزعة وفي تحليلات البيانات الضّخمة، وتقنية (بلوك تشين/ Blockchain) وغيرها من التّقنيات في تزويد المؤسّسات الحكوميّة بمجموعة من الأدوات والوسائل التي تُسهّل لها أداء عملها. وعلى شبابنا أن يكون على دراية بأنّ مجتمع المعرفة يتطلّب استراتيجيّة المبادرات الفرديّة والجماعيّة، والعمل ضمن خطّة النّهوض الرّقمي بإدارة تعمل دون توقيت، ومطار لا ينام، وتجارة تأتيك بالمحمول، وميناء يشتغل، وتجارة الصّادرات والواردات تسرع في الدّخول والخروج...

فهل يتحكّم شبابنا في تقنيات لا متناهيّة، تفسح المجال أمام التّعامل مع المعلومات بقدر كبير من الكفاءة، وبنوع من الحوكمة المتوافقة؛ بحيث يمكن ضمان التّشغيل البيني وتدقيقها ولا يمكن التّلاعب بها، كما تتيح تقديم الخدمات الحكوميّة بسرعة وأمان وكفاءة وشفافيّة. وهل يُدرك شبابُنا أهميّة العيش معًا بسلام؛ والذي لا يكون إلاّ بالمحافظة على البيئة والتّعامل بصفر ورق، وكم نربح من المال والورق والوقت، وعلى سبيل المثال تصوّروا لو نُقلّل استعمال الورق، كم ورقة نستعمل يوميًا في كلّ إدارة، "وتقول التّقديرات بأنّ كلّ مليار ورقة يقابلها (30) ألف شجرة تُقطع، فكم نربح من الأشجار التي تعمل على تحسين البيئة. كما تُسهم هذه الخطوة في توفير (40) ساعة من وقت كلّ متعامل في الأسبوع لتنفيذ المعاملات والتّفاعلات الحكوميّة". وبهذا نرى كم تبلغ قيمة المبالغ التي نوفّرها على الحكومة ودون الانتقال إلى المراكز المطلوب أداء الخدمات، وربّما في لاحقٍ من

الزّمان تكون هذه المراكز مراكز تكوين مخصّصة للتّعليم بدلًا من أماكن إجراء المعاملات الماليّة في الدّفع والاستخراج.

وهكذا نرى أهميّة الاستثمار في أخلقة الرّقمنة وهي الحسم والخيار الذي يُعطي لنا صورةَ البقاء؛ لأنّ الحداثة والنّوازل والمستقبل أدلّة تقول: إنّ التّكنولوجيّة الحديثة ليست شرًّا نبتعد عنها، وليست غولًا يلتهمنا، بل هي آليّة تسهيل الخِدْمات؛ بدءًا من التّدريس عن بُعد، وذلك ما يُكسبنا ربحًا في هدْر التّنقّل والكلفة الماديّة، وبناء المبانيّ، وتجييش الحرس وعمّال النّظافة، وفي مجال النّقل تصبح السّيادة للآلة الرّوبوتيّة برًّا وجوًّا باعتماد نظم الطّوبونيميّة الأماكنيّة، ونظام (GPS) لرسم ملامح مستقبل قطاع النّقل بنظام إدارة مرنة، وضرورة اعتماد البيانات للاقتصاد الرّقميّ بديلًا للموارد البترولية الغازيّة.

إنّ استخدام البيانات هو ما سيقود مسارنا لتنفيذ نظم الذّكاء الاصطناعيّ، وهذا عن طريق أوعية إلكترونيّة مراقبة للمرور وللمباني... والمهمّ أن نعمل ونُبادر ونَبتكر لنكون ضمن الأفضل إقليميًا وعربيًا وعالميًا. وكان علينا اعتماد القوّة النّاعمة؛ وهي الطّريقة الوحيدة التي تقود مسارنا نحو الأمان وتحقيق صناعة الرّفاهيّة، ولا يكون إلاّ بقيادة دقّة التّحوّل الرّقميّ بأنفسنا، والعمل على التّشجيع على الابتكار والنّقل من نماذج الرّقميّة التي اعتمدتها الدّول النّاجحة على غرار: ماليزيا وسنغافورة، وكوريّة الجنوبيّة، ورواندا.

6. المجلس الأعلى يراهن على الرّقمنة: وهي رهانات بدأ الخوض فيها سنة 2017م، وكان له تأسيس في رهانات تعميم استعمال العربيّة+ رهان الأثمة والرّقمنة+ رهان السّيطرة على الذّكاء الاصطناعي+ رهان الحوسبة في ضخامة التّراث العربيّ الكبير+ رهان شفرة القراءة السّريعة+ رهان التّرجمة بنوعيها. ومن خلال هذا الرّهان كسب النّتائج الأولى في:

1.6-عولمة المجلاّت الثّلاث: اللغة العربيّةّ+ معالم للتّرجمةّ+ العلوم والتّكنولوجيا.

2.6-عولمة تخفيض استعمال الورق بنسبة بلغت 46 %.

3.6-تعميم استعمال الذّكاء الصّناعيّ في المشاريع والمعاملات الإداريّة.

4.6-إنتاج مدوّنات إلكترونيّة ذات العلاقة بمهام المجلس.

5.6-إجراء دورات تكوينيّة في المعلوميّات للموظّفين.

6.6. وضع المنصّات لكلّ المشاريع: المكتبة الرّقميّة. معلمة المخطوطات الجزائريّة. القواميس والأدلّة. استعمال الأنظمة الذّكيّة في الملتقيات والأيّام الدّراسيّة...

ولا تكفي هذه الرّهانات دون تضافر كلّ الجهود المخلصة والعالمة والعاملة لخدمة اللغة المشتركة، (العربيّة الفصحى) وتعزيز الثّقة في اللغات الوطنيّة أنّها حلّ للتّنميّة البشريّة، وضرورة تدريسها تدريسًا علميًا، وبثّها في وسائل الإعلام بشكل صحيح، وتعزيز المبادرات الفرديّة من المختصّين، والاهتمام بالتّخطيط اللغويّ والتّربويّ، وعدم التّماهي مع اللغات الأجنبيّة، والاهتمام القويّ بحركة التّرجمة.

7. **المجلس الأعلى لا يصنع البرمجيات**: إنّ المجلس يستفيد من برمجيّات جاهزة من اللغات اللاتينيّة، ويطوّرها ويستغلّها بكامل نظامها اللغويّ وبمحرّك بحثها، ويعمل على تمثيل آلياتها في مشروع له علاقة بمهام المجلس، وفيها يقوم على حذف/ تعطيل ما لا يتوافق وخصائص العربيّة، ويضيف ما ليس موجودًا ويعمل على أن تكون اللغة يمينيّة في نظام النّطاق العربي، ويُطبّق عليها وقوع الصّائت على الصّامت، مع ما يُرافقه من تشكيل وتصحيح وتدقيق. وهنا يجتهد عن طريق الإضافات الإفادة من المحلّل الصّرفي+ المحلّل النّحويّ+ قاعدة بيانات مجمعيّة+ جامع الكلمات العربيّة+ المدقّق الآلي للنّصوص العربيّة. وإليكم الأنظمة الرّقميّة التي يُوظّفها: ورقة إكسال/ Excel+ منصّات عربيّة من كلّ المؤسّسات+ اعتماد أنظمة عربيّة موجودة من إنتاج صخر/ دار التّراث+ الاستفادة من مدوّنة المعجم التّاريخيّ+ أعمال المجامع+ دار التّأصيل+ دار المنظومة+ المنهل+ المدّقق الآليّ+ المحلّل الصّرفيّ+ المحلّل النّحويّ+ المشكّل الآلي+ برامج تّعليميّة+ مدوّنات كثيرة ذات القارئ الآليّ.

8. المجلس الأعلى يعتمد سياسة الكتاب المفتوح: مشروع غير ربحيّ يقوم على أرشيف الشّابكة، يضمّ مكتبة عامّة تحتوي عددا مهولا من الكتب الإلكترونيّة، مفتوحة المصدر. وشعاره (one web page for every book ever published)= صفحة ويب واحدة لكلّ كتاب قد نُشِر. ويُمكّن المشروعُ المستخدمَ الوصول الحرّ إلى المدوّنات دون مقيّدات بما فيها من مجلاّت محكّمة/ غير محكّمة، وبحوث المؤتمرات والأطاريح ومختلف الدّراسات والكتب القديمة والجديدة، ويساعد على وصول مفتوح/ بلوغ النّفاذ الحرّ للمعلومات= (OpenAccess) بيسر، كما يتيح هذا المشروع إزالة كلّ حواجز الملكيّة الفكريّة التي تحول دون الاستفادة من الإنتاج المعرفي للفكر الإنسانيّ. ولقد أسهم استخدام الشّابكة للعامّة على جعل النّفاذ الحرّ للمعلومة ممكنًا، ومن مصدر مجانيّ مفتوح على حزمة برامج أكثر توفّرًا ومتيسّرة للجميع، متاح لكلّ أنظمة الحواسيب من مثل: برنامج الأوفيس المزوّد بمعالج نصوص متوافق مع برنامج الوورد والإكسال والپاور بوانت، إضافة إلى خاصّيات أخرى يتيحها هذا البرنامج بالمجّان. يستعمل المجلس الأعلى هذا البرنامج في البحث عن مدوّنات المصطلحات؛ لإنشاء بنوك المعطيات في مشاريعه دون كلفة أو قيود قانونيّة؛ حيث يلتقي المشروع مع مهام المجلس بأنّه مؤسّسة غير ربحيّة، تنتج الأفكار من مصادر متنوّعة، وتقدّمها للمستعمل دون كلفة، وبالسّرعة المطلوبة واستعمال آخر المعلومات. كما يستفيد منه المجلس في إنشاء المكتبة الرّقميّة التي يجمع فيها الكتب المتوفّرة في كلّ المواقع وهي متاحة للجميع، ويُتيحها لروّاد مكتبة المجلس إلكترونيًا ومجّانًا.

9. المجلس الأعلى يقترح المشاريع التّقانيّة: إنّ المجلس يُبادر بمشاريع قابلة للتّنفيذ مع مختلف الجامعات ومراكز البحوث والمخابر الوطنيّة أو تلك المؤسّسات العلميّة التي تنضوي تحت جامعة الدّول العربيّة، ويقدّم لهم ما بصُر من القواعد الأولى في صياغة التّنفيذ، كما يقدّم البرمجيات التي تعمل على حسن تدبير المشروع، وفق خطّة علمية بكلّ مواصفاتها المطلوبة، ومن ثمّ يشكّل لها لجنة من الفئات العلميّة المتعدّدة، ويبدأ العمل بمرافقة التّقييم والتّقويم، والعمل عن

البعد. ولمّا يستوي المشروع يطبع طباعة تجريبيّة، وتلتئم ذات اللجنة للتّقويم وإبداء الرّأي، ومن ثمّ تُقدّم ذات اللجنة أفكارًا تحسينيّة إضافيّة، وتُعطي موافقتها النّهائيّة للطّبع. ومن خلال هذه الخطّة، فإنّ المجلس الأعلى اقترح سلسلة مشاريع وأبحاث ودراسات في إطار العمل على تعميم استعمال اللغة العربيّة في العلوم وفي التّكنولوجيا، وهي المهمّة التي يرفعها مع آفاق 2030، بمعيّة وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي، ممثّلة في الوكالة الوطنيّة للبحوث وتطوير التّكنولوجيّات.

الخاتمة: كيف نصنع الرّفاهيّة ضمن هذه المتغيّرات؟ لا توجد وصفة جاهزة بقدر ما توجد أفكار النّجاح في إطلاق حاضنات الأعمال والمستودعات والمساحات الإبداعيّة في مختلف أنحاء البلاد، وتوجد أفكار الغدّ بأنّه لا مجال لنا في خريطة وتاريخ العالم أن نكون إذا لم يكن لنا البناء الرّقميّ المستقبليّ الذي يتطلّب منّا الاستثمار في المنظومة الرّقميّة العالميّة، ومن ثمّ العمل على تجهيز الممكن من اليوم. وعلينا التّفكير من اللحظة لمستقبل بعيد يحتاج إلى تخطيط لموقع التّكنولوجيّة في المستقبل؛ فالتّطوّرات التّقنيّة يجب أن تكون مدفوعة بالرّؤيّة التّخطيطيّة. ولنكون بمستوى هذا الكلام النّظريّ علينا التّماهي المرحلي في ميدان علوم الطّيران، وعلوم البحار، والصّناعة الثّقيلة، والابتكار الثّقافي، وإنتاج وتصدير التّطبيقات التّكنولوجيّة المتقدّمة. ومن الضّروريّ الإشارة إلى استحداث مراكز أقطاب للتّكنولوجيّة، واعتماد مقاييس العالم في الابتكار الرّقميّ... هي استراتيجيّة وطنيّة تحتاج إلى مواءمة الثّقافة العربيّة؛ باعتماد التّقنيات الجديدة، لرفاهيّة المُواطن والمُسيّر (الرّاعي والرّعيّة) وتظهر سعادتهما في جودة الخدمات، مع الدّعم الاجتماعيّ، ومتوسّط الحياة، والصّحّة الجيّدة، وحريّة اتّخاذ القرارات، والسّخاء الاجتماعي، ومدركات الآفات، وما يتبعها من محو كامل للفساد الإداريّ والبيروقراطيّة. وهكذا نعلم أنّ تحقيق صناعة الرّفاهيّة التّكنولوجيّة أمرٌ لازمٌ، وذلك ما يوصِلنا إلى تحقيق الثّقة والسّلام والأمن والقدرة على تحمّل النّفقات المعيشيّة، والتّسامح والتّعدّديّة اللغويّة والحزبيّة والصّحّة الجيّدة، وبكلّ ذلك تستمرّ الحياة دون قلاقل.

مُناسَبَةٌ وكَلِمَةٌ

المخطوطات الجزائريّة: الواقع والآفاق*

الدّيباجة: سأبدأ حديثي في هذه الكلمة عن المشروع الموسوم **(مَعْلَمَةُ المخطوطات الجزائريّة)** وهو مشروع مشترك بين: المجلس الأعلى للّغة العربيّة والمجلس الإسلاميّ الأعلى، ووِزارة البريد والمواصلات السّلكيّة واللاسلكيّة، وقد تمّ التّوقيع عليه في 18 ديسمبر 2018م، بهدف جمْع ورقْمنة المخطوطات الجزائريّة حيث وُجدت في ربوع وطننا، أو تلك المخطوطات التي هُرِّبتْ/ نُهِبَتْ إلى بقيّة أقطار العالم، أو تلك المخطوطات التي خرجت برخصة وهي في مكتبات أجنبيّة، أو تلك المخطوطات التي كتبها الجزائريّون خارج الجزائر. والسّر هنا هو العمل على فهرسة كاملة لتلك المخطوطات الوطنيّة أوّلًا، ثمّ إجراء وسائل توثيقها بتوظيف أحدث طرائق الفهرسة الحديثة التي تقرأ المخطوطات العربيّة، وما يتبع ذلك من معلومات عن المخطوطات، وتاريخ كتابته، واسم المحقّق إذا كان المخطوط محقّقًا، ونوع الخطّ والمجال الذي ينتمي إليه، وسنة الكتابة، وسنة التّحقيق...

ويعمل المجلسان على تحقيق هندسة لغويّة بذكاء (OCR) الذي تقوم به الأمم في فهرسة مخطوطاتها، والتي لها السّبق في حوسبة تراثها. وكان هذا أحد هموم المؤسّسات الثّلاث بغرض الحفاظ على الذّاكرة الوطنيّة من الاندثار والضّياع، وجعْلها في أوعيّةٍ آمنةٍ حديثةٍ يسهل الوصولُ إليها، وتقديمُها للمحقّقين يدًا بيد وجاهة، أو عن طريق الحوامل الإلكترونيّة بُعدًا. وإليكم بعض المعلومات عن هذه المَعْلَمَة الجزائريّة. وكلمة (**المَعْلَمَة**) هنا تعني العلامة المائزة والخصوصيّة الجزائريّة المغاربيّة العربيّة التي يحملها متن المخطوطات في كلّ أبعاده.

---

* - الكلمة التي ألقاها رئيس المجلس في فعاليّات الملتقى الوطنيّ (مخطوطات اللغة والأدب في الجزائر: الواقع والآفاق). تنظيم جامعة عبّاس لغرور بخنشلة، بتاريخ 13-14 مارس 2022م.

1. نبذة عن مَعْلَمَة المخطوطات الجزائريّة: سُجّل المشروعُ باسم المجلس الأعلى للّغة العربيّة والمجلس الإسلاميّ الأعلى في صندوق وطنيّ موسوم (**صندوق تملّك لاستعمال وتطوير تكنولوجيّات الاعلام والاتّصال وإعادة هيكلة طيف الذّبذبات اللاسلكيّة الكهربائيّة**) الذي فتحته وزارة البريد والمواصلات السّلكيّة واللاسلكية والمعلومات والرّقمنة، بغرض تقديم مشاريع وطنيّة تعمل على تطوير البحث في الجزائر؛ بمردود الذّبذبات الصّناعيّة العاملة على الحوسبة السّحابيّة.

قدّم المجلسان المشروع التّمهيدي ونال القبول، وتمّ توقيع الاتّفاقيّة بالأحرف الأولى بالتّاريخ المذكور أعلاه، برعاية وزير القطاع، ومُساندة وزير التّعليم العالي والبحث العلميّ. ومن يومها قام المجلسان بما يلي: حظيرة تطوير تكنولوجيّات الاعلام والاتّصال.

1/1. الهدف من المشروع: يسعى المجلسان (المجلس الأعلى للّغة العربيّة+ المجلس الإسلاميّ الأعلى) إلى تجسيد مشروع معلمة المخطوطات الجزائريّة في صيغة منصّة رقميّة تمكّننا من فهرسة وتدوين شامل للمخطوطات الجزائريّة حفاظا على التّراث العربيّ ببلادنا، والكشف عنه لدى العلماء والباحثين للوقوف على ما هو مكنوز في دور الكتب العموميّة والمكتبات الخاصّة في شتّى بقاع الوطن وما خرج خارج الجزائر؛

- جمع التّراث الوطنيّ وتقديمه للباحثين وللمحقّقين وللطلّاب والمثقّفين المهتمّين؛

- تحقيق التّعريف بما خلّفه الأجداد للأحفاد، وبما تركوه من كنوز عصارة فكرهم ونتاج ثقافتهم؛

- الإسهام في تذليل الصّعاب التي تعترض سبل الطلاّب والباحثين، ليصبح بالإمكان تحقيق كتب التّراث التي خلّفها الأسلاف والاستفادة منها؛

- تقديم المخطوطات الجزائريّة للطّلاب والمحقّقين لتكون أطروحات أكاديميّة لنيل الشّهادات العليا؛

- بعث روح الثّقة في النفسّ والاعتزاز بما أنجزه أجدادنا والاستفادة منه؛

- تيسير البحث العلميّ والحصول على المصادر الخاصّة بمواضيع البحوث العلميّة؛

- وضع مدوّنة/ فهرسة مخطوطات وطنيّة للإنتاج الفكريّ المخطوط ممّا ييسّر سُبُل الانتفاع منها في المكتبات الوطنيّة؛

1/ 2. تأسيس لجنة وطنيّة مختصّة، وباشرت أعمالها وعقدت ستّة (6) اجتماعات في رحاب المجلس الإسلامي الأعلى.

3/1. أنشأت اللجنة بطاقة المخطوط، عبارة عن هُويّة أوّليّة للفهرسة.

4/1. جَمَعَتْ ذاتُ اللجنةِ بعضًا من المخطوطات والتي في حوزة بعض من الأعضاء؛ باعتبار البعض منهم يملك خزانة/ مكتبة، والبعض مدير لمخبر المخطوطات، والبعض يملك مفاتيح التّواصل مع الأفراد، واستطاعت اللجنةُ جمعَ كمٍّ من المخطوطات، وقدّمتها أرضيّةً للمشروع.

5/1. استردّ رئيسُ المجلسِ الأعلى للّغة العربيّة 4200 مخطوط من مركز جمعة الماجد أثناء زيارته للمركز في فبراير 2019م.

6/1. عقدت اللجنةُ ثلاثَة ملتقياتٍ وطنيّةٍ في ذات المشروع بغية التّحسيس بأهميّة التّبرّع بالمخطوط لصالح الشّأن العامّ.

7/1. شرع المنسّقون في المجلسين بتصوير المخطوطات التي أُهْدِيَت في إطار الملتقيات والزّيارات التي تمّت إلى بعض الخزائن في ربوع وطننا.

8/1. كان حصيلة ما اسطعنا جمعه يقرب إلى (12) ألف مخطوط.

9/1. تمّ تصوير (2500) مخطوط، تصويرًا ضوئيًّا تقليديًّا، ووُضِعَت في شبكة المجلس الأعلى للّغة العربيّة لمدّة تزيد عن سنة. ومن ثمّ سُحبت نظرًا لضيق التّدفّق الشّبكي للمجلس، وهي الآن في حوامل إلكترونيّة تنتظر تطبيقَ الاتّفاقيّة التي تحلّ قضيّة الدّفق وانطلاق المشروع بشكل نهائيّ.

بطاقة المخطوط

المجلس الإسلاميّ الأعلى　　المجلس الأعلى للّغة العربيّة

الولاية:..... الدّائرة:..... البلدية:.....

اسم الخزانة/ المكتبة:.....

اسم المفهرس:.....

تاريخ الفهرسة:.....

رقم المخطوط				
عنوان المخطوط				
المؤلّف: اسمه الكامل (شهرته)، مولده ووفاته (التّاريخ الهجري/الميلادي)				
موضوع المخطوط				
تاريخ النّسخ				
النّاسخ: (شهرته اسمه، مولده ووفاته)				
عدد الأوراق				
المقياس				
المسطرة				
بداية المخطوط				
نهاية المخطوط				
نوع الخطّ				
لون الحبر				
مكان وجود الأصل				
حالة المخطوط: وصف دقيق				
نوع الوعاء (ورق، جلد،...)				
ترقيم المخطوط				
الملاحظات:	- هل توجد زخرفة في المخطوط؟	نعم ☐	لا ☐	
	- هل الكتابة على الورق؟	نعم ☐	لا ☐	
	- هل توجد تمليكات؟	نعم ☐	لا ☐	
	- هل توجد حواشٍ؟	نعم ☐	لا ☐	
	- هل ثمّة تعليقات للعلماء؟	نعم ☐	لا ☐	

ملاحظة: المفهرس غير مُلزم بملء كلّ الخانات إذا تعذّر الأمر.

2. ما هو مُنتظر: كلّ مشروع يستدعي جملةَ وسائل لتحقيق غاياته، والمشروع في دفتر التّحمّلات طَلَبَ تحقيق الوسائل التّاليّة:

1/2. تخصيصُ شبكات خاصّة من الدّفق العالي في مقرّ كلّ مجلس.

2/2. وضْعُ جهاز مركزيّ جبّار/ (Big Data Center) وهو عمدة المشروع/ خادوم جبّار؛ يجري أربع (4) ترليون عمليّة في دقيقة، أضف إلى ذلك أنّه مزوّد ببرمجيّات كثيرة تُستعمل في التّخزين وفي الاسترجاع، وما له بقراءة أنواع خطوط المخطوط. وهذا الجهاز ليس متوفّرًا بسهولة، ولكنّ المشاريع المسجّلة عالميًّا من السّهولة الحصول عليه. ويوضع الجهاز في المجلس الأعلى للّغة العربيّة، وخادوم أصغر ثانويّ يكون في مقرّ المجلس الإسلاميّ الأعلى.

3/2. وضع جهاز كهربائيّ يشتغل تلقائيًّا حيث تنقطع الكهرباء، وهو عبارة عن أمن عدم ضياع المعلومات المسجّلة.

4/2 إنجاز نظام حمايّة قانونيّة لحماية المعلومات، عن طريق أنظمة تُسجّل دوليًّا لدى المصالح المختصّة، ويكون جهاز بديل يحميها في حالة الزّلازل أو الكوارث أو هجومات الغوّاصين لدى مركز حماية المعلومات في بريد الجزائر.

5/2. توفير ملحقات تكميليّة كبيرة تخصّ: التّصوير+ الطّبع+ آلات متنقلّة+ وسائل النّقل...

وللأسف كلّ هذا تمّ ورقيًّا وافتراضيًّا، ولكن على أرض الواقع لحدّ الآن لم يتمّ تطبيق الاتّفاقيّة نظرًا للبيروقراطيّة التي تعشّشت في بعض إداراتنا، ولا تزال الأمور تُراوِح مكانها في مسألة طريقة الإعلان عن الصّفقة العموميّة الإشهاريّة للمناقصة/ التّراضي، إضافة على جملة المضايقات التّقنيّة التي تتعلّق بالحمولة اللغويّة والفقهيّة التي يحملها محرّك البحث. وقد أجرينا سلسلة من اللقاءات مع مصالح وزارة البريد، ومع حظيرة تكنولوجيات الإعلام والاتّصال بسيدي عبد الله، والتي أوكلت المشروع إلى شركة (Saticom) لحلحلة جملة هذه الصّعوبات. ومؤخّرًا تفاءلنا خيرًا أنّها مسألة شهر/ شهرين إلاّ وينطلق العمل بتوفير المطلوب.

3. أهميّة هذا اللقاء: أغتنمُ هذه السّانحة لأتحدّث في موضوع هذا الملتقى الذي اختارته اللجنةُ العلميّةُ ليكون موضوعَ اللقاءِ، وأشكر لكم هذا الاختيارَ ونحن بحاجة إلى الحديث عن كنوزنا ولآلئ علمائنا الذين تركوا بَصْماتهم في تلك الكتب الصّفراء؛ حيث أَفْنَوْا أعمارَهم في نسخ وتدبيج تلك الكلمات المفيدات التي كانت عصارةَ جَهْدِهِم في كلّ العلوم وتجارب الحياة، وهي الآن تضيء لنا دروب البحث العلمي. لقد تركوا لنا مخطوطاتٍ غنيّةً ومتنوّعةً تُعَدُّ ديوانَ الأمّةِ وسِجلَّها ومرآةَ أفكارِها وخزانةَ علومِها، فهي مصادرُ مُهمّةٌ للباحثين؛ باعتبارها المادّةَ الخامَّ الحاملةَ للأصالة والبدء، وليست من المراجع. هو تراثٌ وإرثٌ تناثر الكثيرُ منه في بلاد الآخر، وبعضه لا يزال مجهولًا، وما نُشر/ حقّق فهُو القليلُ؛ باعتبار الجزائرَ تزخر بثرْوةٍ علميَّةٍ كبيرةٍ من المخطوطات في مُختلف المجالات والعُلوم وكثير منها عُرْضة للإهْمال والنِّسْيان. وأرى أنّ هذا اللقاء قد يكون نداءَ استغاثةٍ لمن يُهِمُّه الأمرُ، وبخاصّة البحثَة؛ للتّحفيز على البحث عن المخطوطات والسّعي لفهرستها وتحقيقها ونشرها وإخراجها لطلبة العلم والباحثين في التُّراث الجزائريّ. هو واقع لا بدّ أن نتعامل معه بالمطلوب، واقع فيه بعض الثّغرات والعثرات، ولكن لا ننكر الماضي المُغدق لأسلافنا، رغم الواقع المُقلق، ونحن نريد استشراف المستقبل بدون التّأييس من هذا الواقع المُحبط، وما ينتظرنا أفضل. وعلينا شدَّ الهمّة لإعادة الاعتبار لموروثنا، وبخاصّة نشهد بأنّ **الجزائر الجديدة** ما تراخت ولا أهملت هذا الإرث، ونشهد بعودة جماجم أسلافنا الذين صنعوا المجد، والوقوف بالنّديّة في مسألة الإقرار بالذّات الوطنيّة، وإعادة الاعتبار للمواطنة اللغويّة وترسيم الثّامن (8) من مايو يوم الذّاكرة الوطنيّة، وقناة الثّامنة، وأنّ الاهتمام باللغة المشتركة ظاهر وبالقوّة والفعل، وأنّ النّوايا السّياسيّة حسنة في تحقيق الانسجام الجمعي بما لنا من إرث مشترك، وتاريخ واحد، ومستقبل واحد، ومصير واحد. فتعالِ نعمل من أجل محاربة النّسيان والتّيئيس والتّبئيس والتّبخيس، وكلّ مُحبّطات الوَهَنِ والفَشَل، وهذا هو المرض الذي علينا محاربته، والنّظر إلى المستقبل بعيون التّفاؤل، وأنّ الآفاق واعدة، فَأَنْعِمْ بها من آفاق!

4. في صميم الموضوع: تقول الدّراسات بأنّ المخطوطات الجزائريّة كثيرة وهذا بِعَدَدِ العلماء الجزائريين الكُثُر، ويوجد الكثيرُ الكثيرُ منها على مستوى الخارج وبخاصّة في دول الجوار وفي فرنسا وفي تركيا وفي مركز جمعة الماجد بدُبَيْ علاوة عمّا تسرّب إلى البلاد الإسلاميّة في آسيا، وما هو لا يزال في البلد يتوزّع في: المكتبة الوطنيّة الحامّة+ المكتبات العموميّة+ مراكز المخطوطات+ المراكز الثّقافيّة+ المساجد+ الزّوايا+ العائلات+ الأقبية+ الصّوْمَعات+ ما بُنيَت عليه الأسوار+ وما دُفن في الأقبيّة+ ما في المكتبات الخاصّة التي وُضِعَت عليها الأقفالُ... إنّه تراث عربيّ ومازيغيّ جزائريّ كان بتأليف العلماء الجزائريّين، ونقرأ الآن عن بعض المخطوطات التي نالت الشّهرة، وعن جمّاع المخطوطات وأصحاب الفهارس، وعن المحقّقين، ونجد أمثال: عبد الرّحمن الثّعالبيّ، والحافظ التّنسي، والإمام مُحمّد بن يُوسف السَّنُوسِي، والفقيه الونشريسي، ويحيى المازوني والعفيف التّلمساني، والغبريني، والمقّري... والغايةُ من هذا نقرأ كما نسمع أنّ وفرةً كبيرةً من المخطوطات الجزائريّة كانت مضربَ المثلِ في العِلْم والعَدَدِ والانتشارِ ولا تكاد عائلةٌ إلاّ وتملك في دارها أكثر من مخطوطات، وتفتخر به باعتبارها كنزَ العائلة الذي لا تفريط فيه، وربّما أنّ هذه الكثرة أضحت سهلة للسّرقة والتّعرّض لوسائل الفناء.

5. أهمّيّة المخطوطات: مهما تحدّثنا عن أهمّيّة المخطوطات فإنّنا لا نَفيها حقَّها؛ باعتبارها سجّل ماضينا في المقام الأوّل، وفي المقام الثّاني تلك الحمولة المعرفيّة التي تحملها في الحقول المعرفيّة؛ فهي تاريخ حافل، وعلم واسع، وشهادة قائمة، ودليل على الوجود، ومعرفة متوارثة. هي الماضي والتّاريخ، هي الصّناعة والرّقيّ الحضاريّ، هي صُوَر من المشاركة الإيجابيّة البشريّة، هي التّوثيق والحجّة القانونيّة، هي شهادة تصديق المعلومات، والثّقة في الوثيقة كما يقولون. وتَصَوَّرُوا كم تحتاج هذه الوثائقُ من رعاية لا إهمال، رعاية كي يظلَّ تاريخُنا محفوظًا وشاهدًا على خصوصياته وتميّزه ومشاركاته في صُنع الحضارة، وعلى أنّ الآباء كانت لهم بَصْماتٌ فيها. ويجدر بنا أن نقف قليلًا لنقرأ عن وَلَعِ وشَغَفِ العرب بالكتابة في صُوَرها التّقليديّة، وعن اقتناء الكتب، وتأسيس الخزانات، وقال (ويليام جونس

ديورانت/ Willim James Durant) في قصّة الحضارة "... إنّ الشّغف باقتناء الكتب والمخطوطات لم يبلُغْ في بلد آخر من بلاد العالم إلاّ الصّين ما بلغه في بلاد الإسلام في هذه القرون، حين وصل إلى ذروة حياته الثّقافيّة...".

أيّها الجمع الكريم، ما أُريد تبليغَه لكم من خلال هذه الكلمة هو ضرورة الوعي بمكانزنا التّراثيّة الحاملة لهُويتنا ومَجْدِنا وفخرِنا، وهي وجودُنا في الماضي وموقعُنا في الحاضر، ومستقبلُنا في العالم. هو تراثٌ علينا التّماهي فيه بحثًا؛ بإعمال البَصَرِ والبصيرة، فالبحثُ عنْه أمرٌ واجبٌ، وفيهِ إضافةٌ لأعْمارِ أجدادنا، إضافة إلى تلك القيمة العلميّة التي نُجنيها من التّحقيقات التي تُضيف لنا معرفةً في الوقوف على أمورٍ تاريخيّةٍ وعلميّةٍ ودراساتٍ متكافئاتٍ في العديد من مجالات المعرفة.

6. **حديث عن خزانات المخطوطات**: تتوزّع المخطوطات الجزائريّة في أمكنة كثيرة عبر الحواضر العلميّة إضافة إلى المكتبات الخاصّة، ونستهدف في هذا المجال ضرورة الاهتمام بالخزائن العلميّة التي تحوي تاريخَنا عبر تراثنا المخطوط وهو تراثٌ إنسانيٌّ كبيرٌ، يجدر بنا الاهتمامُ بحفظه وتنميّته وتشجيع الباحثين على جَمْعِهِ وفهرسته وتحقيقه. ومن خلالكم أدعو المعنيّين إلى الاهتمام بتلك الخزائن التي تتوفّر عليها مناطقنا في الصّحراء، وما فيها من كمّ من خزائن الأفراد، وما يتوفّر في منطقة القبائل من المخطوطات لدى العائلات، وما هو في الزّوايا العامرة في كلّ ولاية من ولاياتنا، وما عند المكتبات الخاصّة. وَأؤكِد المسألةَ لِما نرى ونَسْمَعُ من ذلك التّفريط والضّياع بسبب جهْل بعضِنا لقيمة الإرث المكتسب للعائلة، وهو إرثُ الأمّةِ في ذات الوقت. وعلينا أن تتضافرَ جهودُنا لحفظ هذه الخزائن بحمايات علميّة وقانونيّة، وحمايات علميّة مُكمّلة بالدّراسة والتّحقيق وحمايات أخلاقيّة ممّا تتعرّض له من اللصوص التي **تَسْرِقُها، والعواملُ الطّبيعيّةِ التي تُتْلِفُها.**

7. **ضرورة العناية بالمخطوطات:** لا ننكر أنّ هناك أهميّةً صارمةً لحماية المخطوطات من قبل الدّولة الجزائريّة؛ بسنّ قوانين تحميها من الخروج إلى الخارج، ومن إتلافها أو منعها لتكون في خدمة البحث العلميّ، وأنّ المكتبة الوطنيّة تتوفّر على أجهزة عصريّة تقوم على صيانة المخطوطات، وعلى حمايتها من التّلف،

وما تتعرّض له من أمراض الفناء، إضافة إلى ما تقوم به من تصوير وشراء بعض المخطوطات من الأفراد، وما وُضِع من فهارس ودعايات من أجل جمْع هذه المُدوّناتِ عبر نداءاتٍ كثيرةٍ في مختلف وسائل التّواصل. هي عناية كبرى تُوليها الدّولةُ لحماية التّراثِ الماديّ واللاماديّ للأمّة؛ لارتباطه بمَعالمَ هُويّتِها وتاريخِها الحافلِ بالأمجاد والعلوم، والمخطوط من نفائس المشترك الذي نستفيد منه جميعًا، فنحن أولى النّاس حفاظًا له.

أيّها الجمعُ الكريمُ، مرّة أخرى أؤكّد القول بأنّ تراثنا يحتلّ فيه المخطوطُ قيمةً فنيّةً وتاريخيّةً ومعرفيّةً كبيرةً في حقل التّراث العالميّ، وتُعتبر المخطوطاتُ مصدرًا خامًّا من مصادر المعرفة الإنسانيّة، لما تحمله في طيّاتها من صُوَر نابضةٍ للتَّجْرِبَة البشريّة بمختلف أوجهها. وكانت الأمّةُ العربيّةُ من أولى الأمم في فنّ النّسخ، وكتابة المسموع والأمالي والمواعظ؛ حتى أصبحت حِرْفَةً معروفةً ولها مكانةٌ معتبرةٌ في فنون النّسخ، وقد وظّفتها في البدء في نسخ القرآن الكريم والسّنة النّبويّة، وهنا تحدّد مفهومُ المخطوطِ بأنّه ما كان مكتوبا بخطّ اليد سُمِيَ مخطوطًا وما طُبع سُمِيَ مطبوعًا. وهكذا أصبحت الكتابة حرفةً ولها نُسّاخُها ووُرّاقها ورجالاتها ودواوينها وكُتُبِها المعروفة. ونحن اليوم مُطالَبون بعمل مشترك لحماية هذا الإرث المشترك، وفي هذا الوقت الذي نعرف تغيّرات مفصليّة في عالم الرّقمنة. فما هي وسائلُ الحماية والاستمرار في إحياء وبَعْثِ تراثنا ليعيشَ الحداثةَ؟ ونرى أنّ خُطَبَ الوَعْظِ غيرُ كافيةٍ، بقدر ما نحتاج إلى وَخْزِ ضميرِ الباحثين في:

1/7. احتياجِنا في الوقت المعاصر إلى طريقة جديدة في الفهرسة، وفي وضع قاعدة بيانات مبتكرة تُيسِّر للمحقّقين سهولةَ الوصولِ لغرضهم في اختيار المخطوط.

2/7. تفعيلِ الحوسبة والرّقمنة بصنع مُحرّكات بحث حديثة تقرأ خطوط المخطوط، وتعمل على فهرستها ووضعها في الشّابكة.

3/7. تخصيصِ دورات تكوينيّة للمختصّين في المكتبيّة وعلم الفهرسة للتّدريب على التّصوير الرّقميّ الذي يتيحه نظام (UMEKA) في الرّقمنة.

4/7. إحياءِ التّراث يتمّ بإتاحتها للباحثين بالمجان، ووضعها في يدّ المحقّقين وهذه العمليّة هي التي تترك المخطوط حيًّا، التّحقيق ثمّ التّحقيق.

5/7. الإكثارِ من هذه اللقاءات العلميّة لتبادل المعلومات حول مختلف الأنشطة والسّبل الكفيلة للحفاظ على تراثنا، وإصدار مواثيق أخلاقيّة للممتلكات الثّقافيّة والفنيّة.

الخاتمة: أيّها الحضور، تِلْكُمْ بعضُ الأفكارِ التي بَصُرتُ بها، وأسعدُ أن تصل إليكم من خلال هذا المُلتقى المُتخصّص، وأرى آفاق الاهتمام بالمَخطوط يبدأ بالوعي اللغويّ والعلميّ الذي نغرسه في شبابنا الطّافح الطّامح الذي نأمل أن يكون خيرَ خَلَفِ لِخَيْرِ سَلَفٍ. وعليه أن يَبْذُلَ الجَهْدَ والعَطاءَ في المَسْح الشّامل والدّقيق للوصول والحصول على هذه اللآلئ والجواهر التي لا تزال تُنادينا بما لها من مُحتواها الذي هو إرْثُنا وأصالتُنا وإنيّتُنا، وما كان علينا التّفريطُ فيها، والتّفريطُ فيها كفّارة كبيرة، وما ضاعَ الوقتُ لاستدراك ما حصلَ من تفريط. هي آفاقُ النّهوض ظاهرة وواعدة في خدمة ثقافة التّراث عامّة، والتّراث الوطنيّ الجزائريّ أولى بالرّعاية والنّشر، وندعو إلى إنشاء مجلّة مُتخصّصة، وإلى تكوين أجيال من المُتخصّصين المُتميّزين في الدّراسةِ والتّحقيقِ عَلى أيْدي المُخْلصينَ أصْحابِ الخِبرةِ الطّويلةِ، وما ذلِكُمْ بالصّعبِ عليكم أيّها المُلْتَقُون، وتعالِ فقط نُبادر. وأدعو الطّلبة أن يُبادروا في تأسيس مَجموعات واتسابيّة/(WhatsApp)، واعتماد نظام (Gmail) في التّواصل، وسلوك طريقة (Excel) في ترتيب المواد، وسوف ترون المَنافع الكبرى من العمَل مع المَجموعات، ومن ثمّ يكون للمَجموعة مختصٌّ يقود المَهَمَّة، والطّلبة مِن المُريدين الذين يأخذون ويتعلّمون، ويكونون من الخلفاء في الاختصاص، وتَرَوْنَ بأنّ تبادلَ المَنافعِ في البحث عن المَخطوط سيكون سهلًا، وتَكْتشِفون أُناسًا يرغبون أن يَمُدّوا بمخطوطاتهم للتّصوير وإعادتها لمالكيها، وتَرَوْن الطّرائق الحديثة في طريقة التّحقيق، والانتفاع من الأوعيّة الحوسبية التّراثيّة في اللاتينيّات وهي جدّ مُهِمَّة. بادِرُوا أيّها الطّلبة، والعِوَلُ عليكم، وقلِ اعْمَلُوا فَسَتَرَى الأمّةُ عملَكُمْ خيرًا. والسّلامُ عليكم دائمًا مستقبلًا أملًا.

مُناسَبَةٌ وكَلِمَةٌ

العربيّة في الجزائر من مرحلة التّعريب إلى مرحلة التّمكين*

الدّيباجة: يحمل هذا الموضوع إشكاليّة نفسيّة كبيرة علقت في نفوسنا منذ تلك المنافحات على لغة (غنيمة حرب) التي عُدّت عند بعض من نخبتنا أنّه لا تسامحَ فيها، وبدونها لا نعيش العصرنة، وهي خير وسيط للتّطوّر العلميّ دون غيرها من اللغات. ولهذا ترانا منذ دولة الاستقلال نُخطّط لمقام اللغات ونتراجع نقوم بحملات لصالح لغات الهُويّة ثمّ نُطفئ الضّوء عليها، نُثير زوابع كلاميّة ونترك الأمور في يدّ دعاة (غنيمة حرب).

سياساتنا تعيش الفراغ في التّخطيط وأحيانًا تعرف الانتكاس، وضعنا اللغويّ يزداد تدهورًا، ومستوانا العلميّ يعرف الانحطاط، فإلى أين المصير؟ وهكذا نسير أحيانًا دون وعي، ونعرف أنّ الفرنسيّة فشلت في التّحوّل إلى لغة علوم وإنتاج، وكنّا ننتظر استكمال مسار التّعريب والتّمكين للّغة العربيّة، ولم يحدث المطلوب بكلّ أسف.

لَكَمْ نافحَ السّابقون من أجل التّعريب حتى نال المقامات العُلا، ولكن غابت المتابعة ولم يحصل التّقويم والتّقييم. مرّ كلّ شيء بهدوء وسكوت، وعادت الأمورُ إلى المربّع الأوّل. ومع ذلك لا نعدم أنّ مرحلة التّعريب في بلادنا عرفت خطواتٍ إجرائيةً جيّدةً؛ ويتمثّل ذلك في التّعريب المرحلي منذ ستينيات القرن XX، وما عرفته الإصلاحات التّربويّة في السّبعينيات حتى دخلت المدرسة الأساسيّة مرحلة الإنتاج، وتعاقبت إصلاحات أخرى بعد سنة 2000 ولم تؤدِ إلى نتيجة مرغوبة بعدما حاول المُصلحون التّربويّون التّنصّل من المرجعيّات الوطنيّة والسّير على

* - قُدّمت الكلمة لصالح جامعة 8 ماي 1945 بگالمة، في الملتقى الوطنيّ الافتراضيّ بتاريخ 15 مارس 2022م.

تحديث المدرسة الجزائريّة بقانون البداية من جديد، وإنزال اللغة الفرنسيّة منزلة تقرب إلى مرتبة لغات الهُويّة، وانتكست المدرسة الجزائريّة أيّما انتكاس.

1. التّعريب المرحليّ الذي لم يكتمل: عرفت الإصلاحات التّربويّة مراحل متدرجّة بمصطلح (التّعريب) في المنطلق؛ حيث تمّ التّعريب في المرحلة الأولى من سنة 1962 إلى 1965 وهي نقلة عرفت فيها العربيّة وجودها شبه لغة أجنبيّة ثمّ جاءت المرحلة الثّانيّة 1965 إلى 1967م وتعرف السّنة الأولى والثّانيّة والثّالثة والرّابعة في الابتدائي تعميم العربيّة، وتدخل العربيّةُ بابَ الجامعة، ثمّ المرحلة الثّالثة جاءت مصحوبة بقرارات التّعريب 1971 إلى 1980، وخلالها جاءت أمرية 1976 لتجسيد المدرسة الأساسيّة.

وهنا وقع استقرار في المنظومة التّربويّة ووقع ازدهار جيّد في التّكوين القاعديّ وفي التّعليم العالي في العلوم الإنسانيّة. وبدأ النّخر ينال المدرسة بدءًا من سنة 1989م، وأُصيب مقتلُها في إصلاحات 2003م. ونرى من خلال هذا المسار أنّه حدثت طفرات نوعيّة في الكتاب المدرسيّ وفي الهيكلة وفي التّكوين وفي البرامج وفي التّشريعات المدرسيّة مكّنَت العربيّة مكانةً قاعديّةً بكلّ متطلّبات الموارد الماديّة لتنفيذ مشروع النّهوض باللغة العربيّة للتّوجّه نحو مجتمع المعرفة. ولم تغب مختلف الدّول العربيّة عن اغتنام التّنافس في تمكين العربيّة عبر منظوماتها التّربويّة، وبخاصّة ما نالت مؤتمرات التّعريب من تأييد عربيّ شامل بإنشاء مؤسّسات ذات العلاقة تعمل على آفاق النّهوض بالعربيّة. مع أنّها غيّبت مرحلة التّعليم العالي إلاّ في بعض الدّول على غرار: سورية+ السّودان+ العراق+ اليمن+ ليبيا. وكانت المناسبة سانحة لوضع خطط تطوير اللغة المشتركة (العربيّة الفصحى) التي لا يمكن أن تزدهر إلاّ بوضع خُطط وطنيّة مشتركة بين الدّول العربيّة؛ متبوعة بأهداف ومراحل تحقيق الأهداف، وباستراتيجيّة واضحة يتبعها التّقويم والتّقييم، وبالاستناد إلى دراسات وبحوث تتعلّق بالتّخطيط اللغويّ، ووضع المصطلحات، واقتراح الخُطّة الشّاملة للثّقافة العربيّة، واستراتيجيّات: تطوير التّربية العربية، ومحو الأميّة، وتطوير العلوم والتّقانة، والتّوثيق والمعلومات،

والتّقانة الحيويّة، والإعلاميّات، والتّنوّع البيولوجيّ، وتطوير التّعليم العالي، ونشر الثّقافة العلميّة والتّقانية، والتّعليم عن بُعد... هي برامج ومشاريع كبيرة تجسّد بعضها، وبقي البعض في الآفاق. بالفعل بقيت الكثير من المهام تنتظر سدّ مجالات الفقر اللغويّ الذي تُعانيه العربيّة؛ باعتماد مقترحات النّهوض اللغويّ وآفاق التّطوير. وبذا نرى بأنّه من الضّروريّ سنّ استراتيجيّة وسياسة لغويّة جديدة لاستخدام العربيّة في المجتمع إشباعًا لكلّ مجالات الاستعمال العامّ والاستعمال المعرفيّ العلميّ؛ بوضع تدابير تطوير التّربيّة والتّعليم، **وتجسيد خطّة التّمكين للّغة العربيّة لمجمع دمشق.**

2. **التّعريب أوّلًا:** إنّ كلمة (**التّعريب**) لغة من الفعل (عرّب) بمعنى هذّبه من اللحن. واصطلاحًا له معانٍ عديدة ويحويها المعنى العامّ "النّقلُ إلى اللغة العربيّة من لغةٍ أخرى/ صبغ الكلمة/ المُصطَلح بصبغة عربيّة ونقلها بلفظها الأجنبيّ إلى اللغة العربيّة/ ترجمة النّصوص من اللغات الأجنبيّة إلى اللغة العربيّة/ سياسةٌ تَتبَعُها الدّولةُ لأن تكون اللغة العربيّة لغة العلم والعمل والفكر...".

ونفضّل استعمال (**تعميم استعمال العربيّة**) لأنّها في بلدها؛ وهذا كي لا نقع في المغلوط حيث يُستعمل (التّعريب) في ميدان وواقع غير عربيّ. ولكن نعرف أنّ المصطلح جاء في ظرف ترسّبي تراكمي تاريخيّ؛ لأنّه ينسحب على تغيير الواقع الفرنكفوني في بلادنا. ويفضّل ألاّ نقول (التّعريب) بل العودة إلى استعمال اللغة الأمّ. ثمّ ماذا نُعرّب؟ هل نُعرّب مناهج التّعليم/ اللهجات العاميّة/ التّرجمة/ الثّقافات الحديثة/ العمليّة التّربويّة/ وسائل الإعلام/ المصطلحات العلميّة العربيّة/ علاقة اللغة بالثّقافة والّتنميّة/ مواكبة اللغة العربيّة وآفاق تطويرها... وهذه موجودة في واقعنا المعاصر كثقافة وطنيّة، وغير موجودة كممارسة.

ولهذا تسعى الكثيرُ من الدّول العربيّة بما لها من مجامع ومراكز البحوث، والمجالس العليا إلى تقديم أبحاث ميدانيّة حديثة تواكب عمليّات تعميم استعمال العربيّة في مختلف مناحي الحياة وهي تضاهي عمليّة (التّعريب) في ما مضى من الزّمان. إنّ التّعريب حصل قديمًا منذ تلك العمليّات التي عُرفت باسم (تعريب

الدّواوين) أي تحويل التّدوين إلى اللغة العربيّة، مثلما هو جارٍ حاليًا في المناداة إلى تعريب التّعليم العالي، ونجد فيها الدّعوات إلى إيلاء العربيّة مكانتها في العلوم وفي التّكنولوجيّة وفي البحوث المعاصرة، وهذا يكون في المرحلة الجامعيّة لا غير، وما يتبعها من التّرجمات لاستيعاب المصطلحات الحديثة.

وفي واقعنا الحديث فإنّ المنظور الرّسميّ استبدل (التّعريب) بكلمة (التّعميم) وليس ذلك من الخطأ، بل هي نظرة سياسيّة تربويّة في الجزائر وهي تُخطّط لإنهاء الفرنسيّة، فإنّ التّعريب يتنوّع فحواه تبعًا لعلاقة كلّ حكومة بمدى اهتمامها بمجال اللغات الوطنيّة، فكلّ حكومة تنظر إليه على أنّه التّجذّر الثّقافي العربيّ الذي يجب ألاّ يعلو عليه أحد، هذا على مستوى التّنظير، ولكن هناك لوبي كبير لعرقلة مقام العربيّة في بلدها. والمهمّ في الأمر أنّ المعنى العامّ هو جعل اللغة العربيّة لغة حضارة عصريّة تحتلّ كلّ المواقع التي تسيطر عليها الفرنسيّة.

3. **مفهوم تعميم استعمال اللغة العربيّة:** يُقصد به إعطاءَ العربيّة منزلتها وتعميمها كلغة وطنيّة وقوميّة تضطلع بمهمّة التّعبير عن كلّ المضامين المتداولة في المجتمع، واسترجاع الشّخصيّة الوطنيّة التي تقوم على اللغة الوطنيّة، فاللغة الوطنيّة في الجزائر هي اللغة العربيّة، التي رسّختها الدّساتير منذ الثّورة التّحريريّة.

واللغة العربيّة كما نعرف لغة أكبر حضارة ساعدت على تطوّر الإنسان الجزائري، بأن أخرجته من قهر الرّومان والبيزنطيّين. وهي لغة الدّين الإسلاميّ الذي يُدين به المجتمع الجزائريّ. والجزائر تنتمي إلى الأمّة العربيّة التي تمتدّ من المحيط إلى الخليج، وهذا الانتماء كان بالفعل التّاريخي الذي يعود إلى دخول الإسلام أقطار المغرب العربيّ في عهد أجدادنا المازيغيّين الذين قبلوا الدّينَ ولغتَه.

ولكن ما عرفته الجزائر من استخراب الذّاكرة جرّاء المُستدمر الغربي نجد بعض القلاقل في مجال تعميم استعمال العربيّة في محيطها، ونرى أنفسنا في بعض المقامات منهزمين أمام الزّحف اللغويّ الدّاهم لتيار الفرنكفونيّة، ونرى بعض الشّباب يستسلمون للفرنسيّة وينسون اللغة العربيّة الجامعة، فتراهم للضّفة الغربيّة ينتصرون.

4. اللغة العربيّة وتبعاتها الاجتماعيّة: ليست اللغة أصواتًا يُعبِّر بها كلّ قوم عن أغراضهم فحسْب، وليست أيضًا أداةً للتّواصل بين الجماعات والشّعوب فقط بل هي وسيلة من الوسائل التي ترتبط بالفكر والشّعور وخلجات النّفس، وما يتبع ذلك من هُويّة الانسان ووعاء فكرِه وتراثِه، وسِجِلُّ تاريخه، بَلْهَ الحديث في التّاريخ والمرجعيّات لما للعربيّة من مكانة بين اللغات القديمة، وبما لها من خصوصيّة نزول القرآن الكريم، وانتشارها الكبير خارج مواطن شبه الجزيرة العربيّة في سرعة لم تعرفه أيّة لغة.

وقد انتشرت وازدهرت وتعولمت في مرحلة ازدهار الحضارة الإسلاميّة في المشرق وفي المغرب وفي الأندلس، وعرفت كلّ المظاهر الإيجابيّة التي جعلتها لغةَ العلوم لولا تلك الانتكاسة التي أجهضت النّهضة اللغويّة للعربيّة. والعبرة في هذا أنّ اللغة تحمل متعلّقات أخرى مثل الشّخصيّة الوطنيّة والإنيّة والأصالة والتّجذّر والقوّة والضّعف... وإنّ العربيّة عرفت كلّ هذا المدّ والجزر ونراها اليوم بفضل علمائها يكون لها مقام في اللغات الأمميّة وفي الشّابكة وأصبح يُطلَب ودّها في كلّ القارات، ونراها في موقع عالميّ مقبول رغم فقرها العلميّ. وعلينا –أهل اللغة-استثمار هذا الزّخم في ما يجعلها تحتلّ المكانة اللائقة بها بين لغات الأمم، وعلينا نحن -أهل اللغة-أن نستثمر هذا التّوجّه العالميّ من أجل تعزيز مكانة اللغة العربيّة على المستويين: العربيّ والدوليّ، فأين نحن من كلّ ذلك؟

5. التّمكين للّغة العربيّة: يعني التّمكين للّغة العربيّة إعادة الاعتبار للّغة المشتركة، وجَعْل المواطن العربيّ يشعر بأهمّيّتها وبحاجته إليها، وبأنّها توفّر له لقمة العيش من خلال العمل بها واستخدامها في حياته اليوميّة. كما تعني اتّخاذ قرار سياسيّ حاسم ومُلزم بأن تكون العربيّة لغة التّعليم والإدارة وسائر المرافق الحيويّة للدّولة، واعتمادها في جميع مشروعات وبرامج القطاعات الحكوميّة، مع مراقبة برامج القطاع الخاصّ من أجل الالتزام بما يخدم مدلول مصطلح (التّمكين). وتكمن أهميّة تمكين العربيّة في زيادة تطويرها وصولًا إلى زيادة القدرة الفرديّة/ الجماعيّة على اتّخاذ الخيارات، وتحويل الخيارات إلى الإجراءات؛ وصولًا

إلى النّتائج المطلوبة من مثل زيادة درجة الاستقلال الثّقافي، وبناء السّلطة اللغويّة وفق المرجعيّات الوطنيّة، بما يجمع عليه العموم، ويظهر هنا في سلطة الجماعة التي تُطالب بالحقوق اللغويّة وتمكينها لدى أهلها بسلطة القانون. ويمكن عرض بعض سبل التّمكين كما يلي:

1/5. تبدأ عمليّة التّمكين للعربيّة من عمليّات الإبداع: شعر+ نثر+ قصّة+ رواية+ أدب شفاهي/ مكتوب... وهي مرحلة القاعدة لتمكين المستعمل من حسن استعمالها في كلّ مجالات العمل. والعِوَل هنا على مختلف مراحل المدرسة التي تزرع عمليّات الحماية اللغويّة بجودة التّلقين، وما يتبع ذلك من: الاعتزاز اللغويّ+ الهويّة الوطنيّة+ غرس القيم الوطنيّة.

2/5. حضور العربيّة في مؤسّسات الدّولة، في مناحي الحياة التي يقضي بها المواطن مصالحه اليوميّة حيث يعتزّ بلغته في الإدارة والمشفى والصّيدليّة والمصنع وعند المدير وفي الإعلام... وهنا يعرف قيمة الوطن ويحترمه عندما يجد نفسه يتعامل دون عوائق لغويّة.

3/5. إثراء الإبداع الفكريّ والإنتاج العلميّ والبحوث ومختلف الدّراسات التي تكون بالعربيّة على أنّها لا تشكو نقصًا في مختلف مجالات الإبداع، وملاحقة الواقع بكلّ ما يقتضيه من تحوّلات جديدة.

4/5. تمكين سياسة الدّولة للّغة الضّاد بالتّعميم والرّعاية وسنّ قوانين التّطوير والحماية، وبما يُجنّد لها من جهود في تضافر كلّ المؤسّسات التي تعمل مجتمعة من أجل نيل العربيّة مقامها كلغة أمّ/ اللغة الأمّ/ لغة الحضارة الإنسانيّة/ لغة مشتركة/ لغة الدّين...

5/5. إقحام العربيّة في الرّقمنة والذّكاء الصّناعيّ ومتطلّبات العلم الحديث وهذا يقوم به الباحثون بمساندة الدّولة التي تعمل على تشجيع منتجي الأفكار مع حاملي المشاريع وما يتبعه من تحفيز وجوائز كبيرة لكلّ المبدعين في هذا الجانب.

6/5. اقتراح المبادرات العامّة من المؤسّسات العالمة في مجال تطوير العربيّة وهي ضرورة لا بدّ منها على غرار إحياء أيّامها الوطنيّة: لغة أمّ+ اللغة الأمّ+ يوم لغة الضّاد+ اليوم العالمي للّغة العربيّة. وهناك مبادرات كثيرات تتمثّل في المحاضرات وإنشاء المكتبات والتّداعي للألعاب اللغويّة... وهنا يتعاظم دور مؤسّسات التّعليم والمجامع والمجالس العليا التي تعمل على المبادرات، وما يتبعها من تشجيعات لا حدود لها.

الخاتمة: إنّ السّبيل إلى حلّ القضيّة اللغويّة في بلادنا هو العمل على تعميم استعمال العربيّة بنشر الوعي اللغويّ في سبيل حماية العربيّة، وضرورة تجسيد الإرادة السّياسيّة التي ظهرت نواياها جيّدة في احترام الثّوابت والمبادئ الوطنيّة والاهتمام بالتّخطيط؛ بوضع سياسة لغويّة محكمة، وتنسيق جهود كلّ قطاعات الدّولة. وفي ذات الوقت لا يمكن للعربيّة أن تُمكّن نفسها إلاّ بأهلها وبالاعتزاز بها من أهلها بالعمل الثّابت القائم على الدّراسات في مجال التّطوير، وتحريك كلّ المؤسّسات العاملة على الإنتاج والمتابعة والتّشجيع وتطبيق القرارات الواضحة بخصوص تجسيد "العربيّة هي اللغة الرّسميّة للدّولة". وهنا لا بدّ من تدقيق هذا الأمر عن طريق تعميم استعمالها في مختلف المجالات.

مُنَاسَبَةٌ وَكَلِمَةٌ

تمبكتو جَوْهَرة الصّحراء*

الدّيباجة: نشكر القائمين على هذا البرنامج التّلفزيوني الموسوم (تمبكتو تُناديكم) من دولة مالي التي تعرف الحَراك نحو الأفضل، ونراها تعيش المخاض الذي يُسلكها من المعتدين. وهذا البرنامج نداء استغاثة لنا جميعًا لما لهذه المدينة من تاريخ إسلاميّ عربيّ عريق نريده أن يستمرّ ولا يندثر.

هي صورة حيّة تدعونا إلى حماية تراثنا العربيّ الإسلاميّ الكبير في هذه المدينة ذات المآذن والمساجد والخزانات وملايين المخطوطات. مدينة تحمل ثقافة عربيّة إسلاميّة ذات التّاريخ الطّويل من منجزات الإسلام الذي أقام لها الصّورة المثلى للتّعايش والحياة ضمن مسار التّنميّة المستديمة التي عمّرت قرونا، وشهدت موروثًا في إنجازات الماضي المُغدق، ولكن الحاضر مُقلق؛ حاضر يشهد ضياع الهويّة الأفريقيّة والانتماء العروبيّ في صراع على مستوى الأقاليم، ولم نحرّك ساكنًا أمام تفتيت الهويّة المنيعة للمالايين الذين انصهروا في بوتقة الإسلام. صراع في منطقة كانت لها قوميّاتها المختلفة المنصهرة الموحِّدة ووريثة التّراث الثّقافي والحضاري للقوميّات المتمازجة. هي أفريقيّة الحاليّة وفيها أكثر من 200 مليون مسلم من العرب أو المستعربين، وفيها أكثر من 250 مليون أفريقي هم من المسلمين، واللغة العربيّة لغتهم بحكم أنّها لغة دينهم.

إنّها أفريقيّة المسلمة، وأنّ صلة الأفارقة بالعرب هي صلة دم ووشائج قربى وتاريخ مشترك. وبلد مالي جزء من هذا المشترك، وفداك يا علم مالي فداك، يا مالي اليوم ومالي الغد كما يقول النّشيد الوطنيّ لجمهوريّة مالي. وهكذا نرى المسألة اليوم حرجة تحتاج إلى التّنادي إلى ضرورة حماية المعالم الأثريّة الإسلاميّة، وإبراز

* - كلمة رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة للقناة الوطنيّة الماليّة، بتاريخ 16 مارس 2022م.

الجوانب المضيئة من العلاقات الدّينيّة والسّياسيّة والثّقافيّة والتّعليميّة التي لا يزال فيها الوجه العربي الإسلامي قائمًا.

فنحن نرحّب بكم في رحاب المجلس الأعلى للّغة العربيّة وببرنامج (تمبكتو تُناديكم) فها قد استجبنا ونقول: إنّ الجزائر لا تزال تُدعّم دولة مالي بحكم الجوار، وحقوق الإنسان وما يجمعنا من دين وعقيدة وتاريخ مشترك ولغة عربيّة جامعة، وأمن دولة مالي من أمن الجزائر.

1-تمبكتو التّاريخ: ونسأل التّاريخ عن (تمبكتو) فيعود بنا إلى حافظة الأمانات، ولامرأة مشهود لها بذلك (تن بكتاون/ بكتو) التي كانت تقطن في الموقع الذي تأسّست عليه المدينة، وهذه المرأة تحفظ للسّكان الرّحل الأمانات والودائع والأمتعة. هي تمبكتو التي تسمّت بها، واكتسبت شهرة جوهرة الصّحراء بوصفها حاضرة للثّقافة الإسلاميّة، وقد تعاقبت عليها ممالك مالي والسّونغاي.

وشهدت عصرها الذّهبيّ في القرن السّادس عشر الميلاديّ. إنّها تمبكتو المدينة السّاحرة ذات المواقع الأثريّة التّليدة، وتحمل في ثناياها التّراث العالميّ والإنسانيّ الذي لا يموت من مساجد وأولياء الصّالحين، ونالت لقب 333 وليًّا، وبها أضرحة وتراث مادّي ولا مادّي، وحضائر عالميّة أكسبتها حماية التّراث العالمي بتصنيف اليونيسكو. هي تمبكتو التي اشتعلت في مملكة مالي المشهورة بعاصمتها (تمبكتو) التي عرفت بكثرة علمائها ومساجدها ومدارسها وجامعها الكبير سنكوري. وإذا ذكرنا تمبكتو، فإنّنا نتذكّر اللّغة العربيّة الصّافيّة، ونتذكّر معالم إسلاميّة قديمة قدَم الزّمان، نتذكّر المخطوطات التي تكتنزها مساجدها وزواياها وأعيانها وأفرادها، تتذكّر معالم العروبة والانتماء والإضافة، ونتذكّر قوافل العرب ومسالك شمال أفريقيا، ونتذكّر طريق المِلح.

تمبكتو الذي ذكرها الرّحالة المغربيّ ابن بطوطة "ممّا لا جدال فيه لمقام دور اللّغة العربيّة في تثقيف أهل هذه المنطقة وأهل تمبكتو على سبيل المثال هذّبت لغتهم المحليّة على رأسها الماندينغو وكتبت بالحرف العربيّ، ثمّ أدخلت الكلمات العربيّة في قاموسها إضافة من ازدهار دخل المنطقة؛ حيث كان أكثر الذين يغدون إليها من العرب، كما قال ابن خلدون"[1].

هي تمبكتو الأسطورة التي عانت ولا تزال، ولكنّها ما ماتت ولا استسلمت، فهي صامدة أمام المتغيّرات، ولا تزال تحمل وتنشر العلم، وتقوم على تطوير طريق التّجارة؛ طريق الملح الذي يعجّ بتجارة الألماس والذّهب والعاج وريش النّعام. إنّها المدينة الإسلاميّة العجيبة، تمازجت فيها أعراق وقوميّات مختلفة، ففيها تقيم قبائل من الطّوارق ومجموعات كبيرة من العرب مثل قبائل لبرابيش وكُنته وغيرها إضافة إلى مجموعات من قبائل الفولان والسّونغاي وقبائل البربر مثل مسوفة وغيرها.

مدينة بسبع لغات وسبع ثقافات، مدينة المخطوطات، وعروس الصّحراء التي مرّ بها ابن بطوطة، والمغيلي، وحطّ الكثير من العلماء رحالهم ليكون لهم موقع في هذه الحاضرة التي أصابها السّل والجرب من مآسي الحياة، ونال منها الفقر والبؤس أقصاه، وهل تنفع نداءات (أنقذوا تينبتكو) أو (جمعيّة أصدقاء تمبتكو). وللأسف سارت الأمور إلى الأسوأ، أين الألق الثّقافي في المدينة، أين المكتبات العامرة، ونسأل الله أن يبتسم لها الحظّ من جديد بعدما بدأت بعض الأمور تعرف نوعًا من الحلول من خلال الدّول الوطنيّة، وتعود الحياة إلى أيّام المجد بفضل ما تقومون به أنتم من مهام هذا البرنامج الذي نأمل له النّجاح.

2-المدّ الإسلاميّ في دول السّهل/ السّاحل الأفريقيّ: ما يُعرف عن هذه الدّول أنّ العرب دخلوها قبل الإسلام عن طريق التُّجار؛ وقد خطّطوا لطريق المِلح أثناء مقايضاتهم التّجاريّة تيمّناً بطريق الحرير. منطلقين من بلاد توات إلى أقصى الجنوب، من تمبكتو إلى السّينغال وموريتانيا ومالي والنّيجر ونيجيريا والسّودان وتشاد والصّومال وجيبوتي وكوت ديفوار والكاميرون والگابون وساحل العاج وغانا وتنزانيا وكينيا وأوغندا وموزمبيق... وفي معظم القارة الأفريقيّة حطّ الإسلام رحله فشدّ القلوبَ، ونال الانتشارَ، وأصبحت أفريقيا تُلقّب (قارة اللغة العربيّة) وكان الإسلام هو الحبل المتين الذي جعل السّاكنة يحتمون به من ظلم بعض الممالك التي كانت تحكم القارة. وبتعلّقهم بالإسلام يستوجب حفظ لغة الإسلام (اللغة العربيّة) وما لا يُفهم به الواجب فهو واجب.

ولقد أضحت العربيّة الوعاء الحضاريّ الذي حفظ لهم مجدهم، وأخذت الحروف العربيّة تنال موقعًا في كتابة كلّ لغاتهم؛ فهذه المازيغيات والهوسا والسّواحليّة والأمهريّة واليوربا والأورومو والصّاغاني... تنال كتابة الحرف العربيّ المعدّل بناءً على بعض الحروف التي لا وجود لها في منظومة الخطاطة العربيّة. وكان ذلك من الامتداد الإسلاميّ والعربيّ في حواضر العلم في أفريقيا الكبرى، وبخاصّة في حواضر: مالي والنّيجر ونيجيريا وتشاد وبوركينافاصو التي عرفت مشيخات دينيّة كبيرة استمدّت مرجعياتها من الأزهر والزّيتونة وتلمسان وفاس والقرويّين كما حصلت المثاقفة عن طريق الأفارقة العلماء المستعربين الذين أعلوا من مجد العربيّة في الكتاتيب والزّوايا والمدارس الدّهليزيّة والخلاوي والدّارات والمحاظر والمدارس الحكوميّة.

والآن جاء دور المستعربين الأفارقة الذين ندعوهم إلى التِماس أسباب استنهاض الهمم لمواجهة التّحدّيات التي تعيشها العربيّة في بلادهم، ونعلم بأنّها عبارة عن حروب قويّة ومواجهة غير متكافئة، لكن لا بدّ من عزم المستعربين على المواجهة العلميّة، وهو يدخل في نضالهم للدّفاع عن العربيّة، وعن الحضارة الإنسانيّة التي أسهم فيها الأفارقة في بنائها ودخلوا في بوتقتها عبر بوّابة الإسلام. وإنّنا نُعوّل على المستعربين بوصفهم جزءًا من المنظومة الثّقافيّة للحضارة العربيّة الإسلاميّة.

3-دور المجلس الأعلى للغة العربيّة في المحافل العلميّة الأفريقيّة: يسعى المجلس الأعلى للغة العربيّة إلى إبراز حرصه الدّائم على رصّ الصّفوف ضمن العمل الأفريقيّ المشترك، وتوطيد سبُل التّعاون في المجالات الدّينيّة واللغويّة؛ بوصفها جسورًا داعمةً لمساعي تجانس المجتمعات العربيّة والأفريقيّة ثقافيًا وبما يُحقّق الأمن والاستقرار والرّفاه. ونظرًا لما للّغة العربيّة من أثر فاعل من حيث إنّها حاملة أفكار ومنظومات وقيَم وثقافة ودين...

نريد جَعْل الثّقافةَ العربيّةَ سدًّا منيعًا في دول الجنوب الأفريقيّ حتى تحتلّ العربيّةُ موقعًا مُتصدّرًا أمام اللغات التي تلتمس وسائل غير بريئة تتجاوز اللغة إلى التّأثير بالغذاء بهدف التّمسيح. وقد أثبتت التّجربةُ أنّ التّعاون الجزائريّ الأفريقيّ

عمومًا، وفي دول السّهل/ السّاحل خصوصًا كان يكتسي أهميّةً بالغةً على المنطقة في حلّ النّزاعات بالطّرائق المتحضّرة، وبالتّضامن التّنمويّ المستديم بين كلّ الدّول الأفريقيّة المنضويّة تحت عضويّة الاتّحاد الأفريقيّ. وتدعيمًا لتلك الجهود ينبغي الاستثمار في الأبعاد الدّينيّة واللغويّة والثّقافيّة، بوصفها الفضاءات التي تُقرّب وجْهات نظر النّخب الأفريقيّة المؤثّرة في الأحداث بما يسمح بتثمين روابط الأخوة والصّداقة القائمة على التّضامن الإيجابيّ.

ولا مندوحة من الإشارة إلى الدّور الذي لعبه علماءُ (توات) الذين كانت لهم أقدامٌ راسخة في أفريقيا "وكان لعلماء توات وبخاصّة أسرةَ الكنتّنين خطوة خاصّة عند ملوك بُرنُو الإسلاميّة، ويعتبرونهم من المُرابطين وينظرون إليهم نظرة إكبار وتعظيم، ويسْعَوْن لاستقدامهم إليهم وإغرائهم بالإقامة بينهم. وقد احتفظت لنا بعض المصادر بذلك، ومنها هذه الرّسالة التي وجّهها أحد سلاطين بُرْنو سنة 843هـ إلى هؤلاء المُرابطين في منطقة توات، ويقول فيها (فقد سعينا من أمركم لماذا تركتم عادة كبرائكم؟ لماذا قصّرتم عن النّزول وإرسال البّعثات إلى بلادنا منذ عملكم مع كبيرنا...

فأنتم لم تعودوا إلينا منذ ذلك الحين... فعليكم أن تأتوا إذن كعادتكم... لأنّ البلاد بلادُكم كما كانت بلادَ أسلافكم"[2]. ولا ننسى ما قامت به الطّريقة الصّوفيّة (التّيجانيّة) في نشر الإسلام والثّقافة العربيّة في غرب أفريقيا السّمراء، وفي ربط الصّلات بين الجزائر وهذا الجزء من هذه القارّة، وبخاصّة: السّنغال+ السّودان+ ليبيا+ مالي. كما لا يمكن أن نغفل رجال الطّرائق الصّوفية الجزائريّين الذين كان لهم تأثير واسع تَعَدَّى المجالَ الدّينيَّ والثّقافيَّ إلى السّياسيِّ ومنهم أبو الحسن الشاذُليّ، وعبد القادر الجيلاني، وأحمد بن سالم التّيجانيّ... ولعلّ أحسنَ عالم مثّل علاقة الجزائر بغرب أفريقيا الشّيخ عبد الكريم المغيليّ 909 هـ، الذي استقرّ في (كانو وتومبكتو) وترك بصْمات دينيّة وعلميّة وسياسيّة انتشر إشعاعها من خلال كتبه، ومن خلال علمه الذي غرسه في الأحفاد والمريدين. المغيلي الذي غرس العربيّة في هذه الدّيار وتعهّدها بالسّقي حتى أينعت وأعطت الثّمار الطّيبة.

هذا العالم (المغيلي) له إسهامات جبّارة في كثير من الميادين؛ وبخاصّة إسهاماتِه في الاستنساخ والمحافظة على المخطوطات العربيّة والتّدريس فيها وبها "والواقع أنّ الإمام المغيليّ جاء بعدد لا يُستهان به من المخطوطات، يدرّس تلاميذه من الكبار والصّغار وعلى وجه التّحديد في كتسيا وكنو، وكان هؤلاء التّلاميذ يستنسخون منه هذه المخطوطات جيلاً بعد جيل حتى أصبحت أكثرها مشهورة في دهاليز ومدارس أهليّة دون المبالاة لموردها، وكيف جاءت إلى نيجيريا ومن هذه المخطوطات (العوامل في النّحو) المنسوبة إلى الإمام عبد القاهر الجرجاني، والتي لا تزال في صورة مستنسخة ممّا جاء به الإمام المغيلي من المخطوطات"[3]. كما لا نغفل إسهام المغرب الوسيط في تأسيس بعض المراكز والمساجد التي أضحت مراكزَ إشعاع في أفريقيا على غرار مسجديّ (قاوو وتومبكتو) اللّذين يعدّان من أبرز مراكز الإشعاع الثّقافيّ في دول (السّافانا/ SAVANA) الاستوائيّة خلال القرون الوسطى.

وما يُسجّل في هذا المجال:

1-إنّ الأفارقة تمسّكوا بالعربيّة وعضوا عليها بالنّواجذ، ونقرأ الكثير من إسهاماتهم العلميّة، وهذا ما يؤكّد لنا أنّ أفريقيا ستكون القارّة الأولى للّغة العربيّة في لاحقٍ من الزّمان.

2-أثر العربيّة في اللغات المحليّة بارز بالقوّة، وهذا ما نلمسه من ظاهرة الاقتراض اللغويّ نظرًا للثقل الحضاريّ والروحيّ الذي تتمتع به العربيّة في كلّ البلاد الأفريقيّة، ويُضاف إلى ذلك عولمة الحرف العربيّ باعتباره أداة لتدوين لغاتهم المحليّة، وهذا يمثّل جانبًا مهمًّا من الارتباط الحضاريّ والوجدانيّ بين العرب والآفارقة.

3-أبدع الأفارقة في الشّعر العربيّ الفصيح، كما أبدعوا في المنظومات العلميّة أو النّظم التّعليميّ وأبدعوا في العلوم الإسلاميّة أيّما إبداع.

ولكن مع كلّ هذا؛ فنرى العربيّة تعيش صراعات كبيرة في الوقت المعاصر فنجد ثلاثًا وأربعين (43) دولةً، من بين ثلاث وخمسين (53) دولة أفريقيّة تستخدم اللغات الأوروبيّة كلغات رسميّة؛ حيث اختارت اثنتان وعشرون (22) دولة أفريقيّة اللغة الفرنسيّة لغة رسميّة لها، بينما توجد تسع عشرة (19) دولة أفريقيّة

تستخدم اللغة الإنكليزيّة لغة رسميّة لها، في حين اعتمدت خمس (5) دول أفريقيّة اللغة البرتغاليّة لغة رسميّة لها، أمّا اللغة الإسپانيّة فقد أقرّتها دولة واحدة لغة رسميّة. وهناك بعض الدّول اختارت لغة أفريقيا كلغة رسميّة أولى، أو ثانيّة إلى جانب إحدى هذه اللغات العالميّة.

ليس بالأمر المدهش إذا علمنا بأنّنا لم نحافظ على فِعْل الأجداد رغم أنّ الوضع الحالي تحسّن منذ خروج المستدمر من قارة أفريقيّة ورغم الإقرار بأنّ العربيّة بدأت تستعيد بعض عافيتها في بعض البلاد، وهي مُرشّحة لنيل مقامات أحسن إذا وقع رفْعُ مُضايقاتها المُتمثّلة في: ضعف الحضور المحليّ والعالميّ، ومزاحمة اللَّهجات القُطريَّة، وتهميشها في التَّعليم الجامعيّ والبحث العلميّ، وعلاج عزوف الجيل الجديد عن تعلُّمها، وفقرها الواضح في المعلوماتيّة.

وهذا كلّه يستدعي البحث في فرَص وإجراءات لنجاحات مستقبليّة بأنّ يكون للعربيّة موقعٌ بين لغات العلم، وتقوم بوظائفها في جميع فروع المعرفة والعمل الجادّ لعولمة الحرف العربيّ في لغات القارة الأفريقيّة. إذًا هناك واقع مُؤسف يحتاج إلى علاج، وهناك واقع مُغدق مرصود، وأمل مُشرق منشود.

علينا الاستثمارَ في الواقع المأمول، وهو واقع يحتاج إلى تجديد ومرافقة، هناك جهود وطنيّة أفريقيّة؛ علينا تثمينَها والبناءَ عليها من أجل غدّ جيّد. ولتكن لنا خريطة فِعْل الأجداد؛ وهي الاستثمار في هذه البلاد لغويًا وماديًا، وحمْل راية المزيد على فِعْل السّلف الصّالح عن طريق العمل على التّفقّه بالمَنْعَة للوصول إلى درجة الاجتهاد؛ بتكوين شخصيّات تفتخر بتراثها، وتُخلص في إسلامها وللغة الإسلام؛ تطبيقًا لمبدأ السّلف "ما لا يُفهَم به الواجبُ فهو واجبٌ".

4-ماذا ينتظر منّا الماليون؟ يبدو لي بأنّ الإسلام كان اختيارهم الاستراتيجيّ واصطحب معه لغة الإسلام؛ فأصبحت شبه إلزاميّة لفهمه فهمًا صحيحًا بدل التّرجمة التي لا تفي بالغرض مهما كانت. وكثير من البلاد الأفريقيّة تعوربت في سوقها وفي قضاء مصالحها، والعربيّة جزء من ثقافتهم اليوميّة، وهم يطلبون في هذه الظّروف المعولمة مزيدًا من عقد النّدوات لتدريبهم في النّطق الصّحيح

للعربيّة، مع تصميم المناهج التّدريسيّة الحديثة التي تجعلهم يعيشون الغمر اللغويّ العربيّ في التّواصل عامّة.

وكان علينا تزويدهم بالكتب العربيّة من قبل المجامع والمؤسّسات والجامعات ليعيشوا الواقع اللغويّ المعاصر فيحتاجون منّا:

- إدماجهم في عضويّة المجامع والمؤسّسات العربيّة؛
- دعوتهم لحضور الفعاليّات العلميّة؛
- الإغداق على علمائهم وتكريمهم ليزيدوا في الإنتاج؛
- طبع الكتب والدّراسات اللغويّة الجديدة الخاصّة بتعليم العربيّة للأفارقة؛ بالاعتماد على اللغات الأمّ؛
- تبنّي مشاريع عربية أفريقيّة في مجال القواميس/ المعاجم/ الأدلّة/ لغة المحادثة؛
- مزيد من ترجمة معاني القرآن إلى لغاتهم الأمّ؛
- مساعدتهم على الاحتفاء بالمناسبات اللغويّة العالميّة من مثل: اليوم العالميّ للّغة الأمّ+ اليوم العربيّ للغة الضّاد+ العيش معًا بسلام+ التّنوّع الثّقافيّ+ اليوم العالمي للتّرجمة+ اليوم العالمي للّغة العربيّة؛
- تكريم علماء أفريقيا بإسداء أوسمة استحقاقيّة نظير جهودهم في خدمة العربيّة خارج مواطنها.

اقتراحات:

علينا أن نُدرك بأنّ لبلاد المغارب دورًا كبيرًا ومهمًّا في الانصهار الحضاريّ والامتزاج الثّقافيّ في أفريقيا، وأنّ دول جنوب الصّحراء تمثّل عُمقًا استراتيجيًا مُهمًّا لشمال أفريقيّة وللعالم العربيّ، وهذا ما يؤكّد ضرورة تقويّة التّواصل العربيّ الأفريقيّ؛ وبخاصّة على المستوى الثّقافيّ، وتمكين العربيّة فيها.

ومن هنا أقترح الآتي:

1-لا بدّ من تقديم العربيَّة إلى أفريقيا في صورتها الكليَّة المستوعبة للوعاء الحضاريّ والاستثمار الحقيقيّ في وسائل التَّواصل الرَّقميّ المعاصر.

2-الدّعوة إلى تأسيس منظّمة عربيّة تهتمّ بمظاهر الاستعراب، وتعتني بقضايا العربيّة في كلّ العالم وبخاصّة أفريقيا، ويكون لها فروع في القارة الأفريقيّة؛ لإعادة ربط التّواصل العربيّ الأفريقيّ والاهتمام بالتّنميّة البشريّة.

3-مزيد من الانفتاح على هؤلاء الأفارقة، فلهُم إسهاماتٌ في تطوير العربيّة بل هم من حُماتها، وننظر إلى ما تركه السّلف للخلف من الإنتاجات القيّمة التي يُشار إليها بالبنان من العلوم والفنّون العربيّة.

4-دعم المشاريع الأفريقيّة التي تعود بالنّفع على اللّغة العربيّة؛ كإنشاء المجلاّت والمنشورات والصّحف والفضائيات الموضوعاتيّة التي تعمل على نشر العربيّة وثقافتها.

5-العمل على حسن توظيف الفُرص التي يُتيحها عصر العولَمة من تكثيف في التَّواصل والأخذ والعطاء بين الثَّقافات، وسرعة في نشر المعلومات، وشيوع الوسائل التّكنولوجيّة.

6-دعم اللُّغات الأفريقيّة الكبرى القريبة من العربيَّة، كالسّواحليَّة، والهوسا والصُّوماليَّة.

الهوامش:

1. عبد الرحمن لول أدورو الكشناوي "اللّغة العربيّ في غرب أفريقيا بين تمبكتو-أغاديس-طشنه". الإمارات العربيّة المتّحدة دبي: 2015، المؤتمر الدّوليّ الرّابع للّغة العربيّة كتاب المؤتمر، المجلد التّاسع (9) ص28.

2. عبد العلي الودغيري، اللغة العربيّة والثّقافة الإسلاميّة بالغرب الأفريقيّ، الرّباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بالرّباط: 2011، سلسلة بحوث ودراسات رقم 51، ص 23.

3. عبد الغني أبمبولا عبد السّلام "إسهامات المغيلي في تطوير المخطوطات العربيّة في نيجيريا (مخطوط العوامل في النّحو للجرجاني نموذجًا" مجلة رفوف، مخبر المخطوطات الجزائريّة في غرب أفريقيا. جامعة أدرار، العدد السّادس، ص 13.

مُناسَبَةٌ وكَلِمَةٌ

فـي الاعتــزاز اللغــويّ*

يقول شاعر:

لســاني دائمًــا يشــدو مُنــاهــا ❁ وقلبــي مــا تعلّــق فــي ســـواها
هـي العربيّــة الفصــحى، وقَدْهــا ❁ بــأنّ الله حُســنًا قــد حبـــاها
تعــيش حروفُهــا بــدمي وروحــي ❁ وتأســـرني إذا بســـطتُ رضـــاها
رضــعت حليبهــا كأسًـــا دِهاقًــا ❁ ومــا زالــت يُهــددني سَنــاهــا
لقــد شــهدتْ شــواهدَ معجــزاتٍ ❁ مــن القــرآن يحملهــا لِـــواها
فقولــوا للــذي قــد رام فيهــا ❁ هوانًــا: شــاهَ وجهُــكَ ثــمّ شاهــا

بسم الله الذي جمعنا وحَفّنا تحت عناية لغةِ كتابِه المبين، ليرعى المجلسُ الأعلى للّغة العربيّة بناتِ أفكارِكُمْ في رِحابِه، ويَغْمُرَكُمْ بمُزْنِ سَحابِهِ، فأنتمْ من أهلِ ذلكَ وأصحابِه. فيا أيّها الجمع المتخصّص الوافد من كلّ ربوع الوطن نرحّب بكم في بيتكم، وأنتم المُحْتَفون بالتّعايُشِ عيدًا، وبالاعتزازِ بَحْثًا، بدءًا بالشّيخ المِفضالِ، المِطوال يدًا، المِسْهالِ خُلُقًا، المِرحابِ صَدْرًا، (خالد بن تونس) حفظه الله ورعاهُ، حَلًّا وتَرْحالًا ونُثنّي بعدكم بالشّكر والتِّرْحاب، على الحضورِ وَجاهَةً ومُتابَعَةً، من أساتذة حاضرين، ورجالِ إعلامٍ واقفين حريصين، ومُحبّين للتّعايش اللّغويّ اعتزازًا، والاعتزاز اللّغويّ تعايُشًا.

نجمع هذه الوجوه المُنيفَة الوَضيئة، وهذه الأيدي العاملة النَّاجِعة، لتُقدِّم الأفكارَ النافِعَة، وشعارنا: نعم للاعتزاز لا للاهتزاز، نعم للتّعايش لا للتّناوش، نعم

* - ألقيت الكلمة في الملتقى الوطني حول (الاعتزاز اللغويّ) تزامنًا مع اليوم العالمي الموسوم (العيش معًا بسلام) 16 مايو من كلّ سنة. والكلمة أُلقيت في رحاب المجلس الأعلى للّغة العربيّة بتاريخ 15 مايو 2022م.

للتّلاؤم لا للتّلاوم. إنّ العيش بسلام، الذي سَنَنْتُموه، ونِعمتْ السُّنّة، هو من صُلب ديننا وجوهرِ إسلامنا، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[البقرة: 208]. فالعيش بسلام أمرٌ ربّانيّ، وضرورة إنسانيّة.

ولمّا كانت سُنّة المجلِسِ، اعترافًا بهذه البادرة اللّطيفة، والسّانحة الكريمة، التي سننتموها، عكَفَ على إحيائها احتفاءً قارًّا، تتنوّع كلَّ سنةٍ بموضوعاتٍ بحثيّة علميّة، تخدم الشّأنَ العامّ عامّةً، والشّأنَ اللّغويّ ذا الصِّلة الوطيدة، وما الاعتزاز اللّغويّ الذي نتداول عليه اليوم إلاّ أحدَ مظاهر العيش معًا بسلام، متجلٍّ في أهمّ مقوّماتِ الحضارات الإنسانيّة؛ ألا وهي اللّغة، وارتباطُها الوثيق بالهُويّة والاعتزاز الذّاتي. وإنّ الاعتزاز اللّغويّ، إخواني البَحَثَة، ليس انغلاقًا على الذّات، لكنّه انسجامٌ بين المحافظة على الموروث، وانفتاحٌ على المبثوث، نعم إنّه الانفتاح على اللّغات لا مَحَالةَ ولا حَيَدانْ، لكنّه انفتاحٌ من غير ذَوَبان، من غيرِ انْصهارٍ ولا اجتِرار، سُنَّةُ اللهِ في خَلْقِه الاختلافُ، فلا الألوانُ سواءٌ، ولا اللّغات سيّان وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

أيّها المحاضرون، كان علينا أن نطرح سؤالًا له قيمة في هذا المُقام، كيف يقع الاعتزاز بالعربيّة؟ وهنا لا بدّ علينا أن نطرح قيمة اللغة العربيّة، ونجاحها في قدرتها على استيعاب التّقدّم العلميّ واستعدادها للتّنافس، وانتزاعها الأسبقيّة خارج بلادها. وأنتم العارفون بما تملك من مقوّمات البقاء والتّطوّر والتّنافس والازدهار ولكنّها تفتقر إلى تمكينها من استعادة مكانتها وموقعها على الخريطة العربيّة والعالميّة وحمايتها والدّفاع عنها.

يقع الاعتزاز بالعربيّة بخدمتها وجعلها لغة تواصل يوميّ لا لغة حفظ التّراث؟ نعتزّ بها بالاستناد إلى الأغراض التّخاطبيّة حفاظًا على مستويات اللغة: مبنى+ معنى+ وظيفة. نعتزّ بها في جعلها لغة المحاكاة التي تُنسَج على المنوال الصّحيح المرتبط بالحَمولة الخطابيّة السّليمة والسّعي لانتحاء سِمت كلام العرب في صورته الطّبيعيّة، كما قال السّكاكي 626هـ "...اعلم أنّ النّحو هو أن تنحو معرفة كيفيّة

التّركيب فيما بين الكلم؛ لتأدية أصل المعنى مُطَّلعًا بمقاييس مستنبَطة من استقراء كلام العرب وبقوانين مبنيّة عليها". نعتزّ بها في إجراء عمليات التّحويل التي تتيح الفرصّة للمتعلّم تنمية ثروته التّعبيريّة والأسلوبيّة، وتعزيز قدرة المتكلّم الانشائيّة في إنتاج جُمَل لم يكن له سبقُ سماعِها، علمًا بأنّ النّاس يتخاطبون في ما بينهم ليعرفَ السّامعُ غرضَ المتكلّم ومقصودَه.

نعتزّ بها عندما نقوم على خدمتها لا البكاء في الممكن الذي ضيّعناه، ولا البحث في إيجاد المفقود الذي أتلفناه، بل في عدم تفعيل الموجود الذي نسيناه. علينا تغيير الذّهنيّات في اعتماد عقلية الممكن، ويعني أن نبادر، علينا أن نتغيّر نحو الوعي اللغويّ بقيمة العربيّة وما لها من حَمولة علميّة تراثيّة حضاريّة نخاف أن تضيع، وعلينا ألاّ نسأل عمّا أهملناه بسبب التّفكير في المستحيل الذي ألبسنا الوهن والفشل والخراب والسّل والجرب. إنّ المجلس الأعلى يعتبركم من سدنته الحريصين على اللغة العربيّة؛ فهو يمُدُّ لكم ذِراعًا وباعًا، ويرتفِعُ بضيافَتِكُمْ يَفاعًا، ويُقْريكُمْ مُدًّا وصاعًا، فإنْ كنّا الخيمةَ فأنتم عُمْدانُها، وإنْ كنّا السّفينَةَ فأنتم رُبّانُها، فتعالِ يدًا بيدٍ، وفكرةً إلى فكرةٍ، ورأيًا إلى رأيٍ، نعتزّ بلغتنا معًا بسلام، فإنّ السّلامَ طريقٌ إلى الإبداع والنّهوضِ، وإنَّ النّزاعَ طريقٌ إلى الهَدْمِ والتّقويضِ.

إنّ الاعتزاز اللّغويّ ضرورةٌ جادّة ماسّة، هي حَجَر الأساس، واللَّبِنَةُ الأولى وواسِطَةُ العِقْدِ، في طريقِ كلّ مُسْتَعْمِلٍ أو خادِمٍ أو باحثٍ في اللّغة العربيّة، فليت شِعري، كيفَ يَخْدُمها مهتَزُّ الهُويّة، وكيف يُنافِحُ عنها من فقد لَمعان الاعتزاز بلغته، وخَبا في قَلْبِهِ وَهَجُ الافتخارِ بلسانه. إنّ دوافع الاعتزاز كثيرةٌ، ومسوّغاتِه أكثرُ، فصّل فيها جِلّةٌ من باحثينا مشكورين، سينافِحون عنها عبر يوم متواصلٍ في زُهاءِ سَبعينَ (70) ورقةً بحثيّةً، قطفوا لنا فيها خِيرةَ الأفكار والأطروحاتِ والتّوصيّات.

وعطْفًا على سالِفٍ، فإنّ ما يُحسَبُ للمجلس الأعلى للّغة العربيّة، أنّه ينظُر في نفسه، ويُجَدِّدُ من عَزْمِهِ، فيَقْبَلُ ويُقْبِلُ على الأفكار المادَّة الجادّة، ويناشُدُ أوفياءَهُ من الغيورين على العربيّة، والهُويّة اللّغويّة للجزائر الحبيبة؛ إلى وضع اليد المُطبِّبة على الجراح الغائرة، التي تعتَوِر جُسوم بعض عثرات هذه اللغة، بما يعود عليها

بالبُرْءِ والاندِمال، وإيضاء الآفاق، وتعبيد السّبيل نحو الانتاج النّوعيّ والبديل المائز، والتّعديل الرّائد، وكذا تقديم النّقود الجادّة في التّأليف، والمادَّةِ بكلّ طريف والكادَّةِ لكلّ مُنيف. فلا غَرْوَ أنْ ينظرَ العاملون على الضّاد في أفكارٍ بعضُها أنتجها المجلس، وأخرى سعَى في نشرها، دعوةً إليها ودعمًا لها. ولمّا كان من شأنِ المجلس الأعلى وهو مجلسكم أنّه لا يفتأ أن يتذَرَّى ذُؤابةَ الطّرحِ العلميّ الجادّ، منافِحًا عن الضّادّ، بكلّ ما في الجِعابِ من زاد، فإنّه إلى حَذْوِ ذلك لا يَنْبو عن الاستماع إلى إضافات ذوي الشّأو اللّغويّ بما يرفِدُ المجلسَ بإضاءات قادحة، تُزيح عن الطّريق خيوطَ الظّلام المتسلّل من منافذ السّهو البشريّ الذي لا نزعُم إزاءَهُ بالعِصمة البيضاء، والخلوّ من الأخطاء، فإنّ المجتهد خطّاء، وإنّ العامل مشّاء، وإنّ الطّريق تصنعها الخُطى.

أنا لكم شاكر لهذا الحضور والاهتمام، ومزيدًا من الدّوام في لاحقٍ من الملتقيات، فتعالِ نشدّ الهمّة للرّفع من سويّة العربيّة التي تحتاج إلى حضورٍ واعتزازٍ وعملٍ جادٍ، وإلى تطبيقاتٍ تقانيّة تماشيًا مع الحدث الحضاري العالمي. وعليكم أن تعضدونا في الاحتفائيّة السّنويّة التي ستكون على غير العادة؛ هي احتفائيّة (شهر اللغة العربيّة) بعنوان (اللغة العربيّة في العلوم وفي التّكنولوجيّة) تزامنًا وبرنامج وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي (البحث العلميّ آفاق 2030) فنرجو منكم جميعًا الإسهام في علاج موضوع في شكل ملتقى/ يوم دراسي/ ندوة احتفاء بشهر جلالة الملكة اللغة العربيّة ديسمبر 2022م.

أيّها الاوفياء الأعزّاء، أنتم دائمًا كالورود، نحفَظُهم بين مرافئ الوجدان، ونراكم بأعيننا لوحاتٍ جميلةً لا يمكن إزالتُها، ولا يأتي عليها غبارُ النِّسيان، دُمتم أوفياءَ للمجلس، ونفتخر بقاماتٍ شابةٍ أمثالَكم، فأنتم الهاماتُ السّامقاتُ لمستقبلٍ واعدٍ لتطوير العربيّة التي تنتظر منكم المزيد من الجَهْد والجُهد والبَحْث والتّطوّع، ومن طلب الجميلة عليه أن يكون فوق مستواها، وأنتم عليكم العِوَل، وحفظكم الله أيّها السّدنة، ويا أيّتها الجميلات الخادمات للّغة العربيّة، فنِعْمَ البحثةُ أنتمْ! ونعْمَ المخلصون كنتم!

مُناسَبَةٌ وكَلِمَةٌ

اللغة العربيّة من الواقع إلى المواقع - بين الطّواعيّة والإكراهات -[*]

الدّيباجة: نشكر جامعة تيسمسيلت على حسن اختيار هذا الموضوع الذي يدخل في باب معرفة كُنْه واقع العربيّة من خلال مواقعها الحيّة، وما تعرفه من مسيرات طوعيّة في باب تعليمها والدّفع بها إلى مسار الحداثة، وهناك تجد مجموعة من المضايقات التّقنيّة التي تعيق بعض عمليات حسن الأداء مقارنة بينها وبين لغات تعرف العلميّة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى بينها وبين اللغات الأمميّة الخمس باعتبارها تقف ندًا في نافذتها الخامسة في نوادي لغات العالم وفي الوكالات الواحدة والعشرين (21) التّابعة للأمم المتّحدة.

واسمحوا لي في البدايّة لأعرض عليكم باختصار مهام المجلس الأعلى للّغة العربيّة في أنّه يعمل على ازدهار اللّغة العربيّة، عبر هذه اللقاءات العلميّة والأدبيّة، ويُنتج من ورائها قرارات يُقدّمها لمن يصنع القرار، كما يَعمل على تعميم استعمال اللغة العربيّة في العلوم وفي التّكنولوجيا، وهذا عبر لجان وطنيّة تُنتج الأفكار في مسار العربيّة العلميّة، ويقع التّركيز على اللغات الوظيفيّة، وفيها يقدّم قواميس ومعاجم وأدلّة تعمل في صميم علميّة العربيّة، وبخاصّة ما له علاقة بلغة الحياة اليوميّة بلغة سهلة ممتنعة، ويختم مَهمّته الثّالثة بالتّرجمة إلى العربيّة والتّرجمة عماد الأخذ والعطاء وبريد اللغات والمثاقفة، ونافذة الحصول على التّطوير العلميّ في لغات أخرى.

وفي كلّ هذا يقع الاحتفاء بالأيّام العالميّة القارّة؛ وفيها يُرسّخ تطبيق المادّة الثّالثة من الدّستور في كوْن اللغة العربيّة لغةً وطنيّة ورسميّة، وتظلّ اللغةُ العربيّة لغةَ الدّولة، وهي ليست اللغة الآحاد، ولكنّها اللغة الجامعة المشتركة،

---

[*] - الكلمة التي أُعدّت للملتقى. بجامعة تيسمسيلت، مخبر الدّراسات النّقديّة والأدبيّة المعاصرة بتاريخ: 16 . 17 مايو 2022م.

ويكون ذلك عبر: اليوم العالميّ للّغة الأمّ+ اليوم العربيّ للّغة الضّاد+ اليوم العالميّ للعيش معًا بسلام+ اليوم العالميّ للتّنوّع الثّقافيّ+ اليوم العالمي للتّرجمة+ اليوم العالمي للّغة العربيّة/ شهر اللغة العربيّة. وعبر هذه الأيّام فإنّ المجلس يأخذ مجده ومدّه من خلال الجامعات الوطنيّة في إحياء هذه المناسبات علميًّا بمنتوج ملتقى/ يوم دراسيّ/ محاضرة/ لقاء عن بُعد/ ندوة وطنيّة/ عالميّة... وفي هذا ترون المجلس يراهن على عولمة المجالات الثّلاثة: اللغة العربيّة+ معالم للتّرجمة+ العلوم والتّكنولوجيّة، وتحصل كلّها على معامل التّأثير وتكون في سبع شبكات عالميّة، وفي خانة C في نظام (ASJP)، وتعميم استعمال الذّكاء الصّناعيّ، وإنتاج مدوّنات ذات العلاقة بمهام المجلس، وإجراء دورات تكوينيّة في المعلوميات للموظّفين/ لرجال الإعلام/ للشّرطة/ للدّرك الوطنيّ/ لموظّفيّ بريد الجزائر Mobilis + Ooredoo+ ووضع المنصّات لكلّ المشاريع: المكتبة الرّقميّة+ معْلَمَة المخطوطات الجزائريّة+ القواميس+ الأدلّة+ استعمال الأنظمة الذّكيّة في الملتقيات+ خوارزميّات الحالة المدنيّة+ خوارزميّة الدّليل الإداريّ للمراسلات الإداريّة+ منصّة المعجم الطّوپونيمي الرّقميّ+ منصّة لغة الأبناك+ منصّة العقار+ منصّة الموسوعة الجزائريّة+ منصّة الموسوعة الثّقافيّة+ منصّة التّنال العربي+ منصّة الشّبكة التّرجميّة الوطنيّة+ منصّة المصطلحات الطّبّيّة+ منصّة المعجم التّاريخي للّغة العربيّة+ منصّات الأيّام الدّراسيّة...

1. العربيّة في واقعها: يجب الوعي بأنّ كلّ لغات العالم فيها المستويات اللّغويّة، فهناك خطاب الانقباض الذي يُستعمل في مناسبات الأداء الفصيح والرّسميّ، بلغة معيار، وهناك خطاب الأُنس وهو خطاب بسيط يستعمل في لغة الأُلفة ولمن هو أدنى في المستوى، أو في خطابات لا تستدعي الوقوف على الحركات؛ وفيها الكثير من الرّوْم والإشمام والتّسامح اللغويّ. ومن هنا تعيش العربيّة الفصحى بعض المضايقات في التّواصل اليوميّ بسبب عائق المعيار الذي يستدعي نمطًا عاليّ المستوى، وهو نمط مفتقد في محيطنا اليوميّ، بسبب طغيان النّمط الدّارج العفويّ، وهو أمر طبيعيّ؛ لأنّه مستوى لغويّ محليّ/ عاميّ وهو مقبول في مقامات

وغير مقبول في مقامات، وهذا ما يجب التّفطن إليه في الاستعمال اللغويّ المطلوب لكلّ مستوى من المستويات اللغويّة.

وهذا ما جعلني أتكلّم عن واقع العربيّة في استعمال غير علميّ، في اللغات المحكيّة، فهي لغات لها متلاغوها ولها إبداع جيّد، ولكن في نطاق ضيّق، وتستجيب لحاجات التّواصل اليوميّ، والتّعبير عن تفاصيلِ الحياة اليوميّة ووجدانِ النّاس وخلجاتهم. وهي أكثر عفويّة، ولا يعني أنّها أدَقّ أو أصدق؛ فالصّدق ممكن بأداتيْ التّعبير معًا، والكذب والصّدق ممكنان بهما أيضًا. ولكن يجب أن نعلم أنّ هذه اللغات/ الدّوارج ليست لغات العِلْم، ولا يمكن التّفاهم بها خارج محيطها، كما لا نجدها لغة الرّوايّة/ الشّعر العالي وما هو من الخطاب الرّفيع الذي يسترق السّمع. ومن هنا لا يقع العِوَل عليها في تطوير اللّغة الأدبيّة، وهذا طبْع كلّ اللغات.

وأمّا لغة المعيار فهي اللغة العالمة واللغة العلميّة التي يقع الاستثمار فيها، وتفتح من أجلها المدارس، وتُؤسّس الكلّياتُ والمعاهدُ، وتُجرى بها البحوث. فالعربيّة المعيار هي لغة وطنيّة ورسميّة في كلّ الأوطان العربيّة، وليست لغة نخبة دينيّة كاللاتينيّة التي كانت منقطعة عن حياة النّاس منذ العصر الوسيط، بل كانت العربيّة وما زالت لغة النّاس والمجتمعات، لغة الدّين والدّنيا والدّولة، إنّها العربيّة المعياريّة أو المُسمّاة بالفصيحة/ الفصحى، لغة مناهجِ التّعليم والقوانينِ والتّشريعاتِ والقضاءِ والإعلامِ والمداولاتِ العموميّة.

إنّ العربيّة المعياريّة ليست عالمَ إشاراتٍ من الدّلالات والمجاز والاستعارات قائمًا في ذاته منفصلًا عن مجرى الحياة، إنّها كائنٌ حيٌّ تمتدّ جذورُه إلى لغاتٍ دارجةٍ ومحكيّة قديمة، وقد أصبحت معياريّة في تفاعلٍ مع الزّمان والمكان والتّطوّرات التّاريخيّة، وقد نمت وتطوّرت مع الحضارة العربيّة الإسلاميّة بوصفها مكوّنًا رئيسًا فيها. فليس صحيحًا أنّ العربيَ يدرسُ في المدرسةِ لغةً ثانيّة هي العربيّة الفصحى المختلفة جذريًا عن لغته المحكيّة؛ فالأطفال في أيّة دولةٍ في العالم

يدرسون قواعدَ اللغة في المدرسة وليس في البيت، والعاميّات في جوهرها تحريفٌ للغة المعياريّة صوتيًا وصرفيًا، وأحيانًا دلاليًا أيضًا.

وغالبيّة مفرداتِ العربيّة المحكيّة هي عربيّة صحيحة أو هي لغةٌ فصحى غير مُعْربة. وتحتوي المحكيّة على ألفاظ من لغات مندثرة، ولكن ذلك لا يميّزها عن اللسان العربيّ الفصيح فهو يتضمّن أيضًا مفردات من لغات مندثرة وأخرى ما زالت حيّة. وهكذا فالعربيّة الفصحى لها ما لها من خصائص لا توجد مجتمعة إلاّ فيها، لغة مُمثّلة في 12335912 كلمة، و16800 جذر، ولغة أمّ+ لغة المنشأ لأزيَد من 560 مليون عربيّ+ ولغة الأمّة+ ولغة مليار وثمانمئة من المسلمين+ لغة رسميّة لاثنين وستين (62) بلدًا في العالم، لغة أمميّة بامتياز لغة ثانيّة في الشّابكة، لغة الجامعات عبر العالم، لغة القطب الشّرقيّ، لغة التّجارة الدّوليّة، لغة الماضي والحاضر والمستقبل، لغة كُتبت بها كلّ الدّيانات، لغة الحضارة الإنسانيّة، لغة الثّراء اللغويّ والرّصيد المعرفيّ الذي لا يوجد في أيّة لغة، لغة العولمة في طريقيْ: الحرير والمِلح، اللغة الوسيطة بين الضّفتين: الشّرقيّة والغربيّة، وعبْرها تمّ انتقال العلوم العربيّة التي كانت جسراً لثورة البُخار في أوروبا...

أيّها الحضور، أيّها المُتابعون، لا يمكن أن نتحدّثَ عن مقام العربيّة أمام اللغات، فتخونني الكلمات، ولا أجد ما يُشْكِلُها ويُشاكلها من عبارات، بقدر ما أريد العروج على أقوال النّزيهين من الغربيّين الذين يُقرّون ويُشيدون بأنّ علم الطّيران كان أساسُه محاولة تقليد الطّيور التي بدأها (عبّاس بن فرناس)، وأنّ (جابر بن حيّان) و(الخوارزمي) كانا من أهل السّبق في خوارزميّات هذا العصر، وأنّ خرائط الجغرافيّ (الإدريسيّ) مَهّدت السّير في لجّ البحار والمحيطات وعالم الطّوبونيمات وزادتها البوصلةُ في تعيين الجهات، وتقريب المسافات، بلهَ الحديثَ عن بصَريّات (ابنِ الهيثم) التي انطلق منها علمُ الطّب عند الغربيّين.

وكان العربُ سبّاقين في قواعد الإبداع الطّبيّ التي اتّخذها الغربُ قاعدةَ تطوير العلوم الطّبيّة، وكان الطّب يُدرّس بالعربيّة في السّوربون لغايّة 1624م، وما تبعها من العلوم التّطبيقيّة، فأَنْعِمْ به من سبقٍ! وهل يعود الزّمانُ ويجود، ولا شكّ

سيعود بالعمل المعقود، سيعود بالتّفاني والتّماهي في خدمة لغتنا المشتركة، وكما كان ماضينا بالعربيّة مُغدَقا ومُغدِقًا سيكون حاضرُنا مُشرِقًا، وبخاصّة أنّ النّياتِ صادقةٌ، والعزائمَ واثقةٌ. وتبقى العربيّة مجدَنا وتاريخَنا وانسجامَنا الجمعيّ، وحاضرَنا النّفعيّ، وعلينا شدّ الهمّة لتحقيق الأمل بالمَهمّة.

2. **العربيّة في مواقعها:** وما أكثر هذه المواقع في التّربيّة والتّعليم وفي البحث العلميّ وفي الإدارة وفي الإعلام وفي السّوق والتّجارة وفي وسائل التّواصل الاجتماعيّ وفي... ونرى من خلال هذا بعض القهقرى في عدم نيْل مقاماتها كلغة وظيفيّة تقضى بها كلّ المصالح المرسلة، ونراها تعيش رهانات لم تسطع التّغلّب عليها بشكل نهائيّ، من مثل: تعميم استعمالها+ ضعف الأتمتة+ نقص السّيطرة على الذّكاء الاصطناعيّ+ عدم حيازة التّراث العربيّ الكبير+ ضعف استعمال الشّفرات والمختصرات العلميّة+ قلّة الاهتمام بالتّرجمة+ غياب التّخطيط المرحلي على الآماد الثّلاث... وهي من العوامل التي أدّت بها إلى الشّكوك في ثبات متنها الضّخم، وعدم مسايرته لواقع الرّقمنة ومستجدات العصر.

3. **الطّواعيّة:** إنّ ما تحمله من متن كبير وجذور عديدة واشتقاقات في صرفها وفي مستوياتها الأربعة، وما يعرفه مَتْنُها من ترادف ومشترك لفظيّ، وما تركه النّحويّون من بحوث، وما دبّجه الشّعراء من شعْر وسجْع ومقامات، وما أُنتج فيها من جبال المؤلّفات... كلّها تشير إلى طواعيّة هذه اللغة في: أصواتها وصرفها وائتلافها التّعالقي ودلالاتها ونحوها لهو فيض كبير لا يمكن أن تُضاهيها لغة لهذا الفيَضان الذي يحمل الزّخم العالميّ للّغة لا ينقطع حاضرها عن ماضيها رغم اختلاف الأساليب والأنماط، فماضيها في هذا المجال مُغدق، وحاضرها مُشرق، ولكن نخاف أن يكون مستقبلُها مُقلقًا؛ لتراخي مُستعملها وتماهيهم في الأجنبيّات وقد تماهى البعض وما قطفوا منها إلاّ التّبعيّة وزيادة التّخلّف.

4. **الإكراهات:** ونظرًا أنّ المستقبل قد تعاني المضايقات التي بدأت معالم الإكراه فيها تبرز من خلال الدّراسات المستقبليّة التي رجعنا إليها، فنرى أهميّة الاستثمار في ميدان التّربيّة والتّعليم، ورفع المضايقات التي ظهرت في معالم لغة المستقبل في

البحث العلميّ، وفي حوسبة المتن اللغويّ، ولغة الإعلام، ولغة الاعتزاز، وقابليتها للتّطوّر، وما يعلق بها من نقائص الأتمتة.

وكان علينا الإقرار بمضايقاتها المعاصرة في الأنظمة الرّقميّة الموظّفة، على غرار ضرورة توظيف ورقة إكسال/ Excel في البحوث الحديثة، وما تحمله من صعوبات التّشكيل الآليّ، والمدقّق الآليّ+ والمحلّل الصّرفيّ+ والمحلّل النّحويّ، وضعف البرامج التّعليميّة، ومضايقات الخطأ في القارئ الصّوتي، وكذلك الآلة الذّكيّة الكاتبة من خلال الصّوت... هي رهانات لا بدّ من تضافر الجهود لقبول التّنافس، وتعزيز الثّقة في اللغات الوطنيّة أنّها حلّ للتّنميّة البشريّة، وضرورة تدريسها تدريسًا علميًّا، وبثّها في وسائل الإعلام بشكل صحيح، وتعزيز المبادرات الفرديّة الصّادرة من المختصّين، والاهتمام بالتّخطيط اللغويّ+ التّربويّ، وعدم التّماهي مع اللغات الأجنبيّة، والاهتمام الجادّ بحركة التّرجمة. وعندما تتضافر هذه الجهود نؤكّد أنّ الخرائط اللغويّة القادّمة في صالح العربيّة التي تعرف ازدياد عدد الدّول المستعملة لها كلّ سنة، ونعرف بأنّ ما تكتنزه من خصائص لا تتوفّر مجتمعة في لغات العِلْم/ العالم حاليًا. لغة أمّ+ اللغة الأمّ+ لغة الأمّة+ لغة أمميّة+ لغة ناطقة في الشّابكة+ لغة الامتداد الزّمانيّ+ لغة الامتداد المكانيّ+ لغة كتبت كل الدّيانات+ لغة لا تُبيدها كوليرا اللغات+ لغة الدّين المحفوظة بحفظ الذّكر ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]+ لغة تنتقل عبر الأجيال سريعًا+ لغة الاعتزاز والوطنيّة والقوميّة+ لغة المنّظمات الدّوليّة+ لغة السّياحة بأنواعها (الصّحراويّة+ الدّينيّة+ الحمويّة+ الجبليّة)+ لغة التّراث العالميّ والحضارة الانسانيّة+ لغة أعطّت أكثر ممّا أخذت+ لغة المتن الضّخم+ لغة قديمة ما تناثرت ولا انقرضت على غرار نظائرها من السّاميات+ لغة يُقرأ ماضيها في حاضرها. فما هي اللغة التي تتوفّر على هذه الخصائص مجتمعة؟ **إنّها اللغة العربيّة الفصحى، فأَنْعِمْ بها من لغة!**

مُنَاسَبَةٌ وَكَلِمَةٌ

التّرجمة واللسانيّات - قضايا نظريّة وتحدّيات مستقبليّة -*

الدّيباجة: نشكر القائمين على هذا الفعل العلميّ اللسانيّ الحديث، وعلى نظراتهم الاستشرافيّة لآليات تطوير العربيّة من منظور التّرجمة؛ وهي من بين أعمدة النّمو اللغويّ في أيّة لغة، ومنظور اللسانيّات؛ وهي أمّ العلوم في وقتنا المعاصر. هي غيرة علميّة منهم ومنكم جميعًا أيّها الحضور على مقام العربيّة وهي في حاجة إلى تعاون هذيْن العلميْن في سيرورة علميّة لمواكبة التّطوّرات وسدّ الثّغرات، والاستفادة من تجارب اللغات ومنطق اللسانيّات. وأرى أنّ هذا اللقاء الافتراضيّ يأتي في الوقت الرّاهن ونحن بحاجة إلى المصطلحات التي تأتينا عن طريق التّرجمة؛ باعتبار المصطلحات مفاتيح العلوم على حدّ تعبير (الخوارزمي) وما يُصاحب ترجمة المصطلحات اللسانيّة في التّواصل بين اللغات وتعزيز ثروتها المعرفيّة.

ولهذا نشدّ على عضدكم في مواصلة تعبيد هذا الطّريق؛ وفق فرضيّات البحث في التّرجمة، ونقل المعارف التي يحدّدها المصطلح اللسانيّ، دون زيادة أو نقصان، على نحو يراعي الاحتياجات التّواصليّة لما ترومون الوصول إليه في هذه المحاور المقترحة من قبل اللجنة العلميّة؛ وقد وُفّقت في الاختيار التّراتبي للمحاور من أجل علاج الإشكال الحاصل بين التّرجمة والمصطلح اللسانيّ المعاصر، والذي يتجلّى في طريقة النّقل أو التّحويل لهويّة هذا المصطلح؛ ذلك أنّ المصطلح اللسانيّ المترجَم يقوم برحلة وظيفيّة عبر خطابات ومعارف متعدّدة من لغة إلى أخرى، ويخضع لشبكة نمطيّة في الوضع وقد يتعذّر التّجانس بينها في بعض الأحيان، أو قد لا يفي النّقل المترجم لهذا المصطلح بغرض التّكامل المعرفيّ العالميّ المبني على المثاقفة اللسانيّة.

---

* - الكلمة التي أُلقيت في الملتقى الوطنيّ الافتراضيّ، تنظيم كليّة الآداب واللغات، قسم اللغة العربيّة بجامعة غليزان، في 17 مايو 2022م.

أيّها المتابعون، ومن خلال هذه الدّيباجة نروم من الباحثين إعمال البصر والبصيرة في كلّ القرائن التي تُحيط بالموضوع على غرار: مراعاة المفهوم القديم للمصطلح+ ضبط المصطلح اللسانيّ المعادل+ رصد السّياقات والقرائن التي ورد فيها المصطلح في الاستعمال المدوّن للمصطلح المترجم+ مراعاة مستويات التّحليل اللسانيّ للمصطلح المترجم صوتيًّا وتركيبيًّا ودلاليًّا وصرفيًّا. ومن هنا أنظر للموضوع من زاوية مقاربة النّظريّة التّطبيقيّة لإشكاليّة ترجمة المصطلح اللسانيّ وما يتّصل بها من قضايا معرفيّة، باعتبار المصطلح وسيطًا بين التّرجمة والعلوم الأخرى؛ كعلم اللغة، والمنطق، والإعلاميّات، وعلم الأصوات، والدّلالة والبلاغة، والتّداوليّات وغيرها. وسأقف عند بعض القضايا بصورة مقتضبة، وهي:

1. تكامل العلوم: في الحقيقة هناك تكامل في كافة العلوم باعتبارها مجاري تصبّ في بنيات المعرفة التي تأتي عن طريق اللغة، ولولاها لما كان البحث ومن هنا فإنّ التّرجمة واللسانيّات والإبداع تتكامل في أبعادها المقصديّة النّظريّة وفي المنطلق، ولا يمكن فهم العلوم إلاّ بوجود نظريّة يحتكم إليها المنطق اللغويّ في عِلَلِه، وتأتي هذه العِلَل عن طريق التّفكير المستقى من الكلام الجاري في الاستعمال والشّائع، ونراها تحملها المصطلحات الدّالة، وفي ذاتها ملفوظات وخطابات تتفاعل في سياقات معيّنة ارتضاها المستعمل وفق أركان اللغة، وهي في صورة فاعلة في صلب الواقع التّداولي. فهنا نجد هذا التّكامل في المبدأ، ومنه تُفهم مختلف العلوم عندما تكون اللغة مراعيّة للنّمط المتداول، والمصطلح موافقًا للغرض، والإبداع يأتي موافقًا من ذات اللغة وفي ذاتها.

2. دور اللسانيّات في التّرجمة: إنّ علاقة اللسانيّات بالتّرجمة علاقة تكامليّة؛ حيث انطلقت التّرجمة من اللسانيّات، ومن ثمّ أصبحت علمًا مستقلًا، وحقلًا يشتغل عليه المنظّرون بصورة عامّة ومنهم المترجمون. ومن هنا نرى في الوقت الحاضر أنّ التّرجمة تستعين باللسانيّات في معرفة بِنيات اللغات وخصائصها ومميّزاتها، ومَعرفة قضايا التّواصُل بين اللغات والتّقريب بينها.

ونريد في هذا المقام التّنويه بدور اللسانيّات في بناء العمل التّرجَمي، باعتبارها فنًّا وتقانة وثقافة وعلمًا مبنيًّا على مبادئ دقيقة تُسهم في رقي عمليّات التّرجمة. ولا يمكن أن أستفيض أكثر لأشير إلى دور اللسانيّات العامّة، بل والتّطبيقيّة منها بصفة أخصّ في ميدان التّرجمة؛ كدراسة لُغوية مُنبثقة من اللغة حصرًا، ثمّ مقاربتها بأشكال ترجميّة تُبيّن لنا أساليبها المختلفة كيف سهّلت أو مهّدت اللسانيّات للطّابع العلميّ المُمهّد والمسهِّل لهضْم العلوم والإفادة منها، انطلاقًا من الدّراسات الوصفيّة لسوسير/ (Saussure)إلى تشومسكي/ (Chomsky) في النّحو التّوليدي، وهو إسهام كبير في مجال اللسانيّات النّظريّة، وصولًا إلى النّحو الكلّي. وما تزال اللسانيّات تقدّم فتوحات كبيرة للمصطلحات اللغويّة، وكيف تواضع النّاس عليها وكيف يتحقّق التّواصل بين النّاس من خلال تنوّع الألسنة.

3. ضرورة الاهتمام بالعلوم الثّلاثة: لا يمكن للعربيّة في وضعها الحالي أن تكون منعزلة عن البحوث اللسانيّة بما لها من دقّة في وضع المصطلحات وتوحيدها وتوليدها، ما يُسهّل المهمّة على المترجم في ترجمته للنّصوص، كما نقرّ بالحقيقة المعاصرة أنّ أغلب الدّراسات الرّاقيّة باللغات الأجنبيّة، ونحن بحاجة إلى تطوير لغتنا من الأخذ من هذه اللغات، ويجب العمل على أخذ العلوم من مصادرها الأولى لمواكبة ما يجري خارج بلداننا العربيّة التي تعرف فجوة في العلوم.

والأحرى أن ننطلق منها بنسب معتبرة في البداية؛ وصولًا إلى نظريّة عربيّة لسانيّة/ ترجميّة، وعبر السّنين يحصل الإبداع. ولهذا كان علينا التّماهي في اللسانيّات التي تلعب دورًا رائدًا في مكمن المعرفة، وهي مكمن تفجّر علوم التّرجمة. ولهذا ما أحرانا لو ندعو من خلال هذا المنبر إلى إقامة حلقات بحث وتواصل ورابطات علميّة تجمع اللسانيّ بالمترجم، وكلاهما مهتمّ باللغة وكلاهما متذوق لأساليبها وسبل تأثير وتأثّر لغة بأخرى، يقول الجاحظ 255 هـ "لا بدّ للتّرجمان من أن يكون بيانُه في نفس التّرجمة، في وزن عِلمه في نفس المعرفة وينبغي أن يكون أعلم النّاس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيهما سواء وغاية، ومتى وجدناه أيضًا قد تكلَّم بلسانين، علمنا أنّه قد أدخل الضّيم عليهما؛ لأنّ كلّ واحدة

من اللغتين تجذب الأخرى وتأخُذ منها، وتَعترض عليها وكيف يكون تمكُّن اللسان منهما مجتمعين فيه كتمكُّنه إذا انفرد بالواحدة، وإنّما له قوّة واحدة، فإن تكلّم بلغة واحدة اسْتُفْرغتْ تلك القوّة عليهما، وكذلك إن تكلّم بأكثر من لغتين، على حساب ذلك تكون التّرجمة لجميع اللغات، وكلّما كان الباب من العلم أعسَرَ وأضيقَ، والعلماء به أقلّ، كان أشدّ على المُترجم، وأجدر أن يُخطئ فيه، ولن تجد ألبتّة مترجمًا يفي بواحد من هؤلاء العلماء".

وهكذا نخلص إلى أنّ اللسانيّات حاليًّا تُعَدّ قطبًا مهمًّا، وعلى المترجمين أن يغرفوا من علمها في وضع مصطلحاتهم التّرجميّة حيث المطلوب، وبصفر خطأ كما يعمل ذلك على تعالق المجالَيْن في اشتغالهما على آليات اللغة وتكريس مبدأ نظاميّتها في لسانيّات التّرجمة، ومن خلال ذلك يمكن للتّرجمة أن تستفيد من اللسانيّات التّداوليّة لبلورة نظريتها، والوصول إلى التّقارب المنهجيّ للمزاوجة بين النّظريّة والتّطبيق، وتحقيق اقتران مفهوم التّرجمة بالعملية اللغويّة التي يتمّ من خلالها الانتقال من نظام لغويّ إلى آخر نقلا لمضامين النّصوص المراد ترجمتها الأمرُ الذي يُفترض معه قيام التّرجمة على تلك المعرفة النّظريّة بطريقة اشتغال الأنظمة اللغويّة، والتي من شأنها أن تؤهّل المترجمَ إلى إتقان أكثر من لغة من مقوّمات الممارسة التّرجميّة.

4. اللسانيّات التّرجمة والتّرجمة الآليّة: عندما يقع التّحكّم في نظاميّة اللغة يأتي التّحكّم في ترجمة المصطلحات، وتبعًا لذلك، فإنّ اللغة معين لا ينضبّ وعندما تتعالق هذه العلوم لا يقف المترجم عاجزًا عن وصف البنى اللغويّة صوتيًّا/ صرفيًّا/ تركيبيًّا، فبإمكانه أن يواجه ما يتّصل بإعادة صياغة النّص الأصليّ وفق نظام لغويّ مغاير مراعاةً لبنيته الدّلاليّة الأصليّة ومضمونه الثّقافيّ، فيعمل على تجاوز كلّ العقبات على هذا المستوى.

والعمليّة في كلّ هذا أن يكون للمترجم العُدّة اللغويّة التي تضمن له نقل النّصوص بحسب الأرضيّات المعرفيّة التي توجد في لغة ولا توجد في لغة. ولكن ما يطرح الآن هل يمكن للتّرجمة الشّخصيّة أن تفي بالغرض؟ هنا نقول: يصعب

ذلك، ونحن أهلَ العربيّة نعيش فقرًا في المصطلح، فقرًا في العلوم، تأخّرًا في التّقانات...

وعلينا الآن استدراك هذا التّأخير الذي لا يكون إلاّ بنقلة جديدة متكاملة بين اللغويّ ورجل المعلوميّات في وضع بنيات تقانيّة في العربيّة للعمل ضمن نظاميّة نمطيّة للعربيّة انطلاقًا من اللغات الأجنبيّة بنسب مبدئيّة حتى يستقيم حال العربيّة في لاحقٍ من الأبحاث الجادة بعد أن يكون لنا محرّك بحث عربيّ، ويكون للعربيّة موقع بين أهلها وغير أهلها...

ولهذا من الضّروريّ الاستثمار في اللسانيّات الحاسوبيّة لما لها من البحوث الجادّة في اللغة البشريّة كأداة طيعة لمعالجتها في الآلات الحاسبة الحسابات، بما لها من سرعة ودقّة ونقل في كلّ المستويات التّحليلية الصّوتيّة الدّلاليّة النّحويّة ومن علم الحاسبات الإلكترونيّة، ومن علم الذّكاء الاصطناعيّ وعلم المنطق ثمّ علم الرّياضيّات. وتأسيسًا على ذلك فإنّ الحاسوب يمكن أن يرقيّ التّرجمة الآليّة لتأخذ اتّجاهًا جديدًا إنْ فُتحت الآفاق فيها على البحث اللسانيّ التّداولي.

ويمكن أن نلمح من عدّة أوجه أفق المزاوجة النّظرية بينهما وتقدّم المصطلح النّمطي وفق بنيات اللغة، وتقوم بالمسح الشّامل في اللّغة العربيّة منذ نشوئها وما عرفته من تطوّرات عبر العصور، وتقدّم الحلول النّوعيّة لكلّ الهنات أو المضايقات اللغويّة. ولهذا العول على الآلة، على الذّكاء الصّناعيّ الذي يُسْرع وتيرة التّرجمة، ويقدّم لنا آخر الإبداعات من التّكنولوجيّة الغربيّة التي تجعل العربيّة تنال حقًّا مصطلح (لغة الكون+ لغة أمميّة).

ولا بدّ من حوسبة العربيّة لرفع التّحدّيات واللحاق بالرّكب العلمي. ويجب أن نعلم بأنّ تطوير العربيّة لن يكون مجديًّا إلاّ عبر تطوير توثيق التّعامل مع ذاتها عبر الآلة، فهي التي تُؤسِّس قاعدة بيانات، وتوجد المحلّل الصّرفيّ والمدقّق اللغويّ، والمصطلح الموحّد، والمُشَكَّل الآلي، وما يتبع ذلك من بناء المدوّنات المعجميّة لذات العربيّة وبناء معاجم متعدّدة اللغات، ومناطيق تعليمها بيُسر لأهلها الفِطريّين ولغير الفِطريّين.

الخاتمة: إنّ التّطوّر التّكنولوجيّ الذي لا يتوقّف، بل تزداد سرعته يوما بعد يوم، وفي كلّ يوم يحصل المزيد من التّحدّي أمام الأكاديميّين والبحثة أمثالكم وعليكم البحث السّريع لإجاد وسائل تُواكب ظاهرة التّسريع في الاستفادة من التّلاقي بين اللسانيّات والتّرجمة، وما تقدّمه اللسانيّات الحاسوبيّة في التّرجمة الآلية. وهي خطوات مهمّة في الاستجابة الحضاريّة لمستجدات التّطوّر المطلوب في خدمة العربيّة وتنميتها وتوظيفها في خدمة العلم الحديث. كما لا نعدم الكثير من المكاسب التي تحقّقت وراء التّقارب والتّداخل بين اللسانيّات والتّرجمة، وفي الوقت نفسه لا يمكن وصف العلاقة بينهما بأنّها علاقة احتواء، بل هي علاقة تكامل تحتاج إلى تدعيم أكثر في إطار توازي المسارات المعرفيّة الجديدة في التّفكير حول إمكانيّة تقاربهما بدرجة أكبر، وهذا بحكم تعالُق المجالَيْن في اشتغالهما على آليات اللغة من ناحية؛ وعلى المضامين قصد تأويلها من ناحية أخرى.

هذه كلمتي المقتضبة جدًّا، والوقت لا يسمح للاستفاضة، وعلى الله قصد السّبيل، وأنا لكم شاكر على هذه السّانحة التي أتحتموها لي لأكون معكم عبر الفضاء الافتراضي، وأراكم قريبًا وجاهة في شراكات بين المجلس الأعلى للّغة العربيّة وجامعة غليزان التي عهدنا في مسيّريها وباحثيها الجدّة والجديّة، وإن شاء الله نجسّد الشّراكة التّكامليّة من منظور التّداول والعمل المشترك. وكلّيّ رجاء من الزّملاء والطّلبة خدمة العربيّة اللغة الجامعة المانعة التي تحتاج إلى خطابات تطبيقيّة، وإلى إبداع ومبادرات وإنتاج تطبيقات لتذليل كلّ العقبات التي تعترضها. وهي بحاجة إلى التّرجمة، وإلى الانتفاع من خصائص الحاسوب في ميادينه المختلفة، فهل نبادر ونقدم على الفِعْل النّبيل؟

مُناسَبَةٌ وكَلِمَةٌ

أيّام الدّوسن الأدبيّة العربيّة للإبداع الشّعريّ*

الدّيباجة: كلّ التّحايا نقدّمها للإخوة المُنظّمين لهذا المَحفل العربيّ الذي عهدناه مُتجدّدا ويأتي بالمُفاجآت، وبالوجوه الشّعريّة الشّابة من جزائرنا ومِن مُختلف الأقطار العربيّة، كما عهدنا فيه اكتشاف المَواهب وتشجيع الإبداع. والشّكر لجمعيّة (بسمة الثّقافيّة) التي ترعى هذه التّظاهرة الثّقافية بما تحمل من اقتراح النّشاطات التي تجعل المَحفلَ ينال صداه المُتنوّع في الإلقاء الشّعريّ وفي القصّة القصيرة، وما يصحب ذلك من تباري في نيل (جائزة الدّوسن الشّعريّة) وما يتخلّل كلّ ذلك من تكوين في تقنيات الكتابة الشّعريّة وفنيّات الإلقاء. وإنّه لبرنامج ثريّ في هذه الأيّام الأدبيّة التي يلتقي فيها أصحاب الكلمات الرّائقات والشّعر الجميل، يلتقي المُبدعون وهم يتذاكرون ويستفيدون ويُفيدون على قدر شعريٍّ جمعهم، وعلى تبادل المنافع الأدبيّة التي تُعطي الشّعور والجياشة في عالم العاطفة والخيال، وبخاصّة في مثل بيئة أولاد جلاّل الشّاسعة والبسيطة بساطة أهلها الطّيّبين. هي أيّام أدبيّة نريد زرع ثقافتها لتُؤتي شعرًا جديدًا مُضيفًا لسجلّ ديوان العرب.

1. الدّوسن/ أولاد جلاّل تحتفي شعرًا: نجد أنفسنا في هذه الولاية الجديدة أولاد جلاّل التي نبارك لها العودةَ الثّقافيّةَ الجديدةَ الواعدةَ بعد القطيعة بسبب الجائحة هي عودة نرومها نوعيّةً بما نراه من مبدعين لهم مقامات شعريّة، وبذلك العدد الذي نزل البلدة كعادته، ومن ينزلها أوّلَ مرّة وجاء يحمل حقائب شعريّة يلقيها في مربد مملكة الشّعراء، بحضور الغُواة والمُريدين من مُختلف المَناطق، فأَنْعِمْ به من مَوطن، وأَنْعِمْ به من شعر! ونجد أنفسنا في واحات الزّيبان المشهورة

* - الكلمة التي ألقاها رئيس المجلس في حفل افتتاح الدّورة السّادسة من الملتقى العربيّ (أيّام الدّوسن الأدبيّة العربيّة للإبداع الشّعريّ). أولاد جلاّل في 18ـ 22 مايو 2022م.

بجودة تمورها، وبخاصّة دگلة نور، وما نشهده في هذه الأماكن من معالم طوپونيميّة تعود إلى العهود الغابرة، وهي معالم تشهد على الحضور العلمي والدّينيّ والثّقافيّ لهذه المناطق التي حافظت على إرثنا الحضاري. هي علامات بارزة تبقى في سجلّ بلاد فخرنا الذي يواصل الأحفادُ الرّقيَ الحضاري بمثل هذه الأيّام الثّقافيّة التي يحضر فيها الشّعر العربيّ وهو ينثال على أفواه أهله في غنائيّة الشّعر في ذاته أو على المُطلق أو على المَوضوع في أنساق مَفتوحة أمام السّمات التي تُحدّد العلاقة التي تقوم على أغراض اتّصاليّة وجماليّة لا تخضع لمنطق ثابت باعتبار أنّ الشّعر مصطلح خلافي يتعدّد مفهومه بتعدّد الشّعراء والمكان والزّمان والانتماء الشّعريّ والأرضيّة المعرفيّة، إضافة إلى المقاييس المتطوّرة وما يصلح لفترة ليس بالضّرورة يصلح لفترة قادمة، وهكذا دواليك نرى الشّعر يعيش التّطوّر في سجلاّته وفي أغراضه وفي قوافيه، وقد نرى ذلك في خِيَم الشّعر التي نسمع فيها سيلان الشّعر الممزوج بين الشّعر في قوافيه المعهودة، وبين النّثر في عواهنه المفتوحة. والذي نبحث عنه هو القاسم المشترك للقصائد الشّعرية، ومن خلالها نبحث عن الخصائص النّوعية التي تميّز الشّعر من النّثر عبر الأزمنة والأمكنة واختلافها. ولست هنا في مقام الفصل أو الميل إلى منتصر أو داعيّة، لأنّي أرى صعوبة تحديد تعريف ثابت وجامع مانع؛ وعلى هذا الأساس أصبح لكلّ شاعر مفهومٌ خاصٌّ ومميّزٌ للشّعر، يسعى من خلاله إلى كتابة الشّعر ومحاولة الإمساك به، والاقتراب منه.

2. **الثّورة الجزائريّة في الشّعر العربيّ:** هي أيّام أدبيّة تحمل الشّعار الوطنيّ (حضور ثورة التّحرير المجيدة في الشّعر العربيّ). وإنّه لاخْتِيارٌ حَسَنٌ لما لثورة التّحرير المجيدة من شحذ أذهان المُبدعين الذين سايروا الثّورة الجزائريّة بأقلامهم وكانت قضيّةً مشتركةً حملها شعراء العرب جميعُهم من مصريّين وعراقيّين وسعوديّين وتونسيّين وليبيّين وخليجيّين وأردنيّين ومغاربة وسودانيّين... ويا أيّها الشّعراء جدير بي أن أعلّق على شعار هذه الأيّام الأدبيّة، بعدما قلت إنّه اختِيار حسَن يأتي في هذه الظّروف التي تعرفها بلادنا وهي تستعيد هُويّتها التي كادت

تُنسى، وها هي تتماهى في قيَم الإسلام، وفي تمجيد الذّاكرة الوطنيّة بما عرفته من نضالات الشّهداء الذين حملوا السّلاح بنداء (الله أكبر وتحيا الجزائر).

والجزائر دفعت الكثير من أجل أن تكون ومن أجل قضايا العرب والمسلمين المصيريّة؛ من أجل فلسطين ظالمة أو مظلومة، من أجل حقوق الإنسان، من أجل أن تطلع الشّمسُ على الجميع، من أجل الوَحْدة العربيّة، من أجل أن يلتئم العربُ في الدّورة السّنويّة بالجزائر، وفي الأوّل والثّاني من هذه السّنة في شهر إعلان الثّورة المجيدة التي لم تبقِ على الاستخراب. وهذا ما جعل الشّعراء العرب ينتصرون لثورة التّغيير. كم من شاعر عراقي حمل همّ الثّورة الجزائريّة، أنتحدّث عن محمّد مهدي الجواهري، وبدر شاكر السّياب، ونازك الملائكة، وعبد الوهّاب البيّاتي... كم من شاعر سوريٍ نافحَ من أجلها؛ فهذا سلميان العيسي، ونزار قبّاني، ومحمّد الحريري... ومن شعراء السّودان الشّاعر الملهام الهادي آدم صاحب رائعة (أغدًا ألقاك) وكتابه المعروف (الثّورة الجزائريّة في الشّعر السّوداني)...

هي عيّناتٌ من الشّعر الطّافح الذي كُتب وأُلقي مُساندةً للثّورة الجزائريّة، ولما قدّمه الشّهداء الجزائريّون من تضحيّات، وفيها الحديد لا يفلّه إلاّ الحديد. هي إلهامات الثّورة للإبداع الشّعري دون جدل، ويأتي الشّعر يقول:

أمّـــةٌ ســـوف تُـــري خالقهـــا ❁ أنّهـــا قـــد خُلـــقت كـــي تُبدعـــا
الأذى تـــدفع عنـــه بالـــرّدى ❁ طـــابَ أســـلوبًا لهـــا مبتدَعـــا
خمســـةٌ إنْ بطونًـــا حملـــتْ ❁ ثِقْلَهـــم مـــا عُقِمـــتْ أن تضعـــا
جهِـــل الصّـــنعةَ نِكْـــسٌ أحمـــقٌ ❁ ســـرِق البـــابَ وعـــافَ المصـــنعا

أيّها المبدعون، ليس المجال مجال استكناه الشّواهد، بقدر ما أريد الإشارة إلى أنّ الشّعراء العرب دعّموا ثورة نوفمبر بأقلامهم وأموالهم، وبما دافعوا عنها في مختلف المحافل، وما تغنَّوْا بها أمام الحلفاء، فكانوا عضيدين لصوت الرّشّاش الذي لم يتوقّف، مثلما لم تتوقّف الكلمات الأسهم التي ترمى على العدو وتُشْمِتُه وتَشْتُمُه في مختلف الأروقة، وتكشف عيوبَه التي يتستّر بثلاثيّته الخدّاعة (الحرّيّة،

العدالة، الأخوة) زيفٌ في زيف، وإنّ كيدَه رُدّ إلى نحره بثورة عملت على التّغيير العالمي.

أيّها الشّعراء، ذلك ما نريده أن يكون أن يستعيد الشّعرُ العربيُّ ألقَه في الدّفاع عن قضايا أمّتنا العربيّة، وردمِ القطيعة بين المشرق والمغرب، وغرسِ قيم المحبّة والتّواصل بين الشّباب العربيّ، والإبداع في كلّ قضايانا ومصيرنا المشترك؛ بأدب قويّ استعجالي ينتصر للبناء والرّقي، ويخدم العربيّة في أعلى تجلياتها، ويكون مُضيفًا مائزًا يتجاوز الشّعرَ القديمَ الذي يحمل الموضوعيّةَ والتّوجيهَ والوعظَ وقراءة المستقبل.

هو أدب عربيّ نريده أن يكون بَنّاءً مُلتزمًا بقضايا أمّته، مُتشدّدًا في الوطنيّة والمُواطنة والوَحْدة، يرفع اليأسَ ويدعو للحرية والقيَم، ويرفض السّلبيّةَ والتّواكل، ويرفض الاحتلالَ. وأنتم أيّها الشّعراء لكم واجب الالتزام والإلزام، بسبْك شِعْرَكم في مختلف فنون القول، وليس هناك تغيير دون شعر تنوير، ولا يحصل النّجاح لشعر يعلو على القضايا المصيرية، ولا نملك شاعرًا أو مثقّفًا يعمل على الاستهتار في الآداب والشّعر والسّينما والفنّ التّشكيلي، وبالتّالي فإنّ الأدب يولَد من رحم الألم والحياة ومتابعة قضايا الأوطان المشتركة، ومصيرَ الرّقي بالوحدة الأمل، وبما يجعل لنا وزنًا ومقامًا بين الأمم.

الخاتمة: أيّها الشّعراء، ها قد التقيتم في هذا الفضاء، وتلتقون في خِيَم التّباريّ الشّعريّ، وأستذكر سورة الشّعراء التي مجّدت الشّعراءَ ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشّعراء: 224-227]. هناك استثناء للشّعراء شعراء المفضّليات، شعراء يربطون بين الأمل الشّعري وحسن النّظم الأدبيّ، وفيها يحصل تزامن الإبداع وجمال العبارات وبخاصّة عندما يقع الرّبط بين الشّعراء الشّباب أمثالكم في ذاتيّة الباب وكينونة الشّواب، فلا بدّ من السّعي للأفضل والأجود نظير ما قام به صاحب المفضليات ألا يمكن أن تكون؟ يمكن أن

تقولوا الشّعر الجميل بعذب الكلام، وأعلم أنّكم ستقولون عذب القصيد، وتُعلون من مقامات الفخر بأجمل الكلام، قولوا ولا تتحرّجوا أو تتحرّزوا، فأنتم جديرون بقول جميل، فقولوه.

فسلامٌ عليكم أيّها الشّعراء، ويا أيّها النّاشئون، أيّها الشّعراء الشّباب فأنتم حصونُ الأوطان وأنوارُها، وأنتم زهوُ البلدان وحُرّاسها. ولستُ في مقام الإكبار بكم، أنتم تستحقّون، بل أنتم فخر الضّاد، وبكم تنتصر إذا أعْلَيْتُمُ المقامَ، ونلتمُ ما يُستهام، بمنظومكم الهُمام.

وأستشهد هنا بشعرٍ رائقٍ يليق بالمَقام، وبمن يصنع المجد بالأقلام:

إذا أنــا أكــبرتُ شــأنَ الشّــبابِ ❁ فــإنّ الشّــبابَ أبــو المُعْجــزاتِ
ويــا حبّــذا الأمّهــاتُ اللواتــي ❁ يَلِــدْنَ التّوابــعَ والنّابِغــاتِ
فكــمْ خُلِّــدَتْ أمّــةٌ بِيَــراعٍ ❁ وكــمْ نشــأتْ أمّــةٌ مــن دَواةِ

مُناسَبَةٌ وكَلِمَةٌ

المَجامع اللّغوية والعلميّة والمُؤسّسات الثّقافيّة

ودورها في تعزيز استعمال اللّسان العربيّ

- اقتراح مشروع النّهوض بالعربيّة -[*]

الدّيباجة: يسعدني أن أقدّم هذه المداخلة لصالح (مجمع اللّغة العربيّة بطرابلس) دولة ليبيا؛ بصفتي عضوا، وكان عليّ ردّ الجميل بالكثرة والفخر والاعتزاز؛ لما قدّمه لنا فريق مسيّري هذا المَجمع الذي كانت له خطوات جبّارة في صالح تطوير اللّغة العربيّة. ونشهد أنّه كان نشيطًا بفعاليّة كبيرة، وهذا منذ تسيير هذه المُؤسّسة في زمن الشّيخ النّحرير العالم الكبير، وصاحب المُبادرات العربيّة، وتاج العلماء (علي فهمي خُشيم) رحمه الله. هذا العالم يحتاج إلى تذكير وتكريم وتخليد من قبلنا؛ نظير ما قدّمه للأمّة العربيّة من جهود تنويريّة لصالح تطوير اللّغة العربيّة في كامل مَحطّاتها. ونبارك لأستاذنا العالم الأستاذ الدّكتور (عبد الحميد عبد الله الهرّامة) هذا النّشاط العلميّ بالذّكرى العشرين لتأسيس مَجمع اللّغة العربيّة اللّيبي. وما فكّر فيه من إعداد للكتاب الفخريّ الذي يليق بالمُناسبة. وأشارك بهذه المُداخلة التي أعملتُ فيها البصر والبصيرة في خصوصيات المَجامع، وفعاليات المَجمعيين.

المقدّمة: إنّ الحديث عن المَجامع العلميّة واللّغويّة والمُؤسّسات ذات العلاقة بتطوير اللّغة العربيّة حديث طويل ويحتاج إلى نظرة شاملة لمعطياتها الرّاهنة وآفاقها المُستقبلية من حيث الرّاهن والمَأمول، من حيث ما توفّر لها من الإمْكانيات وما أنجزته مِن مَلموسات.

---

[*] - الكلمة التي أُلقيت عن بُعد، لصالح مجمع اللّغة العربيّة بدولة ليبيا. بتاريخ 21 ماي 2022م.

ولهذا رأيت أن أستفيض في خصوصياتها الكبرى تمَشيًا والمَنهجيّة المَطلوبة من حيث الوصْف والتحّليل واقتراح البدائل. دون العودة إلى التّأريخ الذي لا يمُتّ للمَوضوع بصلة، وكان عليَ التركيز على سبل التعزيز والنّهوض، وذلك ما بصُرت به من خلال تقديم مشروع النّهوض، وآمل أن يكون له القبول، أو يكون له صدى الرّجع من قبل المَعنيين.

مئة (100) عامّ وتزيد مرّت على تأسيس هذه المَجامع، مئة عامّ والحديث عن البدائل العربيّة المناسبة للمصطلحات الأجنبيّة، مئة عام والحديث نفسه عن الهويّة اللّغوية، **مئة عام** وفقهاء المجمع يفتون دون رجع الصّدى، **مئة عامّ** والحديث يتكرّر عن سلامة العربيّة وجعلها وافيةً بمطالب الآداب والعلوم والفنّون وملائمة لحاجات الحياة المتطوّرة ووضع المُصطلحات العلميّة والتّقنيّة، ودراستها وفق منهج محدّد والسّعي لتوحيدها، **مئة عامّ** والكلام ذاته عن استصدار المعاجم الكبرى والدّوريات المُتخصّصة والمَوسوعات والمَعجم التّاريخيّ **مئة عامّ** والأعضاء يتناسلون وفي أجسامهم يتثاقلون، **مئة عامّ** والكلام عن عظمة العربيّة التي نقلت إلى الغرب علومًا ضخمة أفادوا منها في لغاتهم، **مئة عامّ** والمرافعات عن الانتقال من تحقيق المخطوطات إلى مواكبة التّطوّرات العلميّة العالميّة، **مئة عامّ** ونحن نحلم بفتوحات التّقنيّة التي تحلّ قضايانا اللّغوية، مئة عامّ ونحن نحتفي بالأعياد الماسيّة والذّهبية للمَجامع والمُؤسّسات. **مئة عامّ** مرّت فماذا أنتجت؟ **مئة عامّ** ويأتي الجديد، فهل المَجامع والمُؤسّسات تعيش مَع الجديد؟

ومِن بدهيّات الأمور أنّ كثرة المَجامع والمُؤسّسات الثّقافيّة لها غايات علميّة بحثيّة وتعنى في أصلها بوضع المصطلح، وتعمل على شؤون تطوير اللّغة في جميع مجالات المعرفة الإنسانيّة، كما تعكس مظاهر العناية التي تُوليها الشّعوب لنقل العلوم والمعارف والحضارات إلى لغاتها؛ لتحقيق النّهضة والتّقدّم والتّشجيع على الإبداع والتّأليف، كما تعني كثرة الرّوافد المُنتجة، والتّنافس المُثمر، كما تعني كثرة المَجامع والمُؤسّسات تقديم الحلول النّوعيّة بفِعْل ذلك التّنافس... وفي ذات الوقت قد تعني الكثرة التّضارب والتّجاذب والغوغائيّة دون نتيجة، وربّما هذه الأخيرة

تعني كثرة مجامعنا اللّغوية العربيّة ومؤسّساتنا في الوطن العربيّ، والتي أضاعت دمّ العربيّة بين الكثرة والتّقاعس بين الكثرة وعدم الفعاليّة، بين الكثرة وسوء توزيع المهام، بين الكثرة وغياب التّفعيل بين الكثرة والشُّح الماديّ، بين الكثرة وسوء التّنسيق. عواصمُنا العربيّة كثيرة، ومُؤسّساتنا عديدة، وبيوتات لغتنا متعدّدة؛ فمن بيت الحكمة بعاصمَة المَأمون، إلى بيت الحكمة في القيروان زمن إبراهيم الأصغر الأغلبيّ، وإلى دار الحكمَة في القاهرة زمن الحاكم بأمْر الله، وإلى المُحاضرات والمُناظرات في الفردوس المَفقود، وإلى الصّالونات الأدبيّة في العهد الفاطميّ في مِصر المُعزّ، وإلى المحضرات والمَحاضر والزّوايا والكتاتيب العلميّة في عصر الدّويلات، وأقسام اللّغة العربيّة أيام استقلال الدّول العربيّة. وقبل وجود الصّيغة المُؤسّسية للمَجامع حصلت البنيات الأولى في تأسيس المجمع اللّغوي للوضع والتّعريب بمصر، ومجمع دار الكتب في القاهرة، والمجمع العلمي بلبنان.

وجاء عصرُ المجامع بالصّيغة الأوربيّة؛ فشهدنا المجمع العلميّ العربيّ الذي تحوّل إلى مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، ومن ثمّ ميلاد مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، وإلى المجمع العلميّ العراقيّ، وإلى اتّحاد المجامع العلميّة واللّغوية، وإلى مجمع اللّغة العربيّة الأردنيّ، وإلى مَجمع اللّغة العربيّة السّوداني، ومجمع اللّغة العربيّة الفلسطينيّ، وإلى الأكاديميّة المَلكيّة المَغربيّة، وإلى المَجمع الجزائريّ للّغة العربيّة وإلى المَجلس الأعلى للّغة العربيّة بالجزائر، وإلى مَجمع طرابلس بليبيا، وإلى بيت الحكمَة بتونس، وإلى مَجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، وإلى مَجلس اللّسان العربيّ بموريتانيا، ومَجمع اللّغة العربيّة على الشّبكة العالميّة، ومَجمع المَلِك سلمان للّغة العربيّة بالسّعوديّة، دون الحديث عن مَشاريع مَجمعيّة قادمة في: عُمان+ المَغرب بلهَ الحديثَ عن مُؤسّسات من مثل: مَكتب تنسيق التّعريب+ المَركز العربيّ للتّرجمة والتّأليف والنّشر/ ACATAP+ مَعهد الدّراسات والأبحاث للتّعريب+ مُنظّمة الألكسو/ ALECSO+ منظّمة الإسيسكو/ ASISCO+ مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدّوليّ لخدمة اللّغة العربيّة+ معاهد للتّرجمة+ معاهد التّعريب+ المراكز البحثيّة اللّغوية+ مراكز التّحقيق+ مُؤسّسات المَوسوعات+ المَراصد اللّغويّة

العربيّة+ البنوك المصطلحيّة+ البنوك الشّجريّة الصّرفيّة والنّحويّة+ وإلى منظّمات المجتمع المدنيّ من مثل: جمعيات حماية اللّغة العربيّة في (الإمارات، مصر، الجزائر، لبنان، تونس، جمعيّة لسان العرب بمصر)+ جمعيّة تعريب العلوم والتّكنولوجيّة بمصر... ويمكن الإشارة إلى بعض الاتّحادات/ الرّوابط القويّة ذات التّأثير الأدبيّ والعلميّ خارج الدّول العربيّة من مثل: اتّحاد مدرّسيّ اللّغة العربيّة بإندونيسيا+ رابطة أساتذة اللّغة العربيّة بباكستان+ المديريّة العامّة للتّعليم الدّينيّ بوزارة التّربيّة الوطنيّة التّركيّة+ الاتّحاد العامّ لمُؤسّسات دعم اللّغة العربيّة في تشاد+ الإدارة العامّة للتّعليم العربيّ الإسلاميّ في وزارة التّربيّة الوطنيّة بجزر القُمر+ جمعيّة اللّغة العربيّة بماليزيا+ الجمعيّة الأكاديميّة للغة العربيّة وآدابها في نيجيريا+ اتّحاد أساتذة علماء اللّغة العربيّة لعُموم الهند+ الرّابطة الأمْريكيّة لأساتذة العربيّة بأمْريكا... ولكن في كلّ هذا نرى أنّ العبرةَ ليست في كثرة الأعداد، وإنّما العبرةُ في النّتائج والمُخْرجات. فماذا قدّمت هذه المجامع والمُؤسّسات -على كثرتهاللغة العربيّة؟ وماذا تُخطّط هذه المُؤسّسات للنّهضة اللّغوية في الرّاهن وفي المُستقبل؟

1. كثرة المَجامع والمُؤسّسات دليل قوّة أم ضعف: لا ننكر أنّ هذه المَجامع لها أفضال كثيرة وكبيرة على خدمة العربيّة من خلال برامجها ومَشاريعها، ولا تعني هذه الكثرة السّلبيّة الدّائمة، بل هناك بعض مَسارات التّنسيق والتّكامل بينها رغم بعض الانعكاسات التي لم تجعلها تفي بالمَطلوب. ويكفي أن نعلمَ أنّ الأهداف التي تأسّست كانت علميّة بحتة، وتجمَعها المَعالم العلميّة التّاليّة:

1/1/ المُحافظة على سلامة العربيّة، وجعلها وافيّة بمَطالب العلوم والآداب والفنّون، وملائمَةً لحاجات الحياة المُتطوّرة.

1/ 2. وضع مُعجم تاريخيّ للّغة العربيّة، ونشر أبحاث دقيقة في المَوضوع.

3/1. النّظر في أصول العربيّة وأساليبها؛ لاختيار ما يوسّع أقيستها وضوابطها ويبسّط تعليم نحوها وصرفها، ويسّر إملاءها وكتابتها.

1/ 4. دراسة المُصطلحات العلميّة الأدبيّة والفنيّة والحضاريّة، وكذلك دراسة الأعلام الأجنبيّة، والعمل على توحيدها بين المُتكلّمين بالعربيّة.

5/1. بحث كلّ ما له شأن في تطوير اللّغة العربيّة، والعمَل على نشرها.

6/1. بحث ما يَرِد المَجمعَ من مَوضوعات تتّصل بأغراضه السّابقة.

ومن خلال هذا، لا يجب تغييب ما قدّمته هذه المَجامع والمُؤسّسات من إيجابيات وأعمال مُعتبرة، ومن مَشاريع مُهمّة، ولكن في ذات الوقت يجب أن نضع مَنتوجها في كفّة المِيزان، ونضع الكتلة الماديّة في الكفّة الثّانيّة لذات الميزان، ونقيس ذلك بالمدّة الزّمانيّة التي بدأت تشتغل في مُختلف أعمالها ونخلص إلى النّتيجة. ومن ذلك يمكن أن نخضعها لآليات النّقد الواقعيّ، ولا شكّ أنّنا نصل إلى تقديم أفكار تعمل على التّغيير الإيجابيّ لمنظومة هذه المجامع والمؤسّسات التي أُوجِدت من أجل تقديم الحلول اللّغوية، ومن أجل أن تنال العربيّة مَوقعًا وطنيًا بامتياز. فإذا كانت كذلك؛ فذلك المُبتغى، وإن لم يحصل ذلك؛ علينا البحث عن آليات التّفعيل الجديدة التي تقدّم الحلول بنوع الصّعوبات.

2. **هل تعني كثرة المَجامع والمُؤسّسات أنّ العربيّة في خطر؟** ليس من السّهل الجزم بأنّ العربيّة ليست على ما يُرام، ولكنّنا نرى بعض ملامح الخطر ظاهرةً في غياب تطبيق القوانين والتّشريعات التي تحمي العربيّة، وفي زحف الأنظمة اللّسانيّة التي تُهدّد الأمن اللّغوي، وفي تراجع الإنتاج العلميّ المعاصر باللسان العربيّ في الحقول المعرفيّة المختلفة. وفي تراجع الوعيّ بعلاقات اللّغة بالهويّة وببناء الذات الوطنيّة، وفي الترابط الاجتماعيّ، وفي وحدة الأمّة... وكلّها تثبط العزيمة، ولكنّها لا تثنيها عن العمل والقول بأنّ العربيّة كلغة ليست في خطر.

إنّ العربيّة تتبختر وتنال مساحات واسعة يوميا وفي مختلف القارات، **ولكنّ أهلَها وناطقيها في خطر**، فلا هُمْ مع لغتهم، ولا هُمْ من اللّغات الأجنبيّة. ومن ابتعدَ عن لغته ابتعدَ عن هويّته؛ لأنّ اللّغة هي العامل الأساس في الهُويّة ونعطيكم مثالًا: إنّ النّاطق/ المُدافع عن العربيّة يقال له: عربيّ/ مُعرّب. بينما المدافع عن جغرافيّة

بلد لا يقال له: جزائريّ: ألمانيّ. كما أنّ المُدافع عن تاريخ بلد ما، لا يقال له: تونسيّ/ فرنسيّ... بل من المُحبّذين أو من المُعجبين. ولهذا فاللّغة عامل حاسم في مسألة الهُويّة وهي التي تصل الماضي بالحاضر، وجيل الحاضر بجيل الماضي وهذا لا يحقّقه إلاّ الاعتزاز اللّغوي الذي يأتي عن طريق التّواصل في التّخاطب بين أفراد المجتمع كافّة بلغة موَحِّدة وعدم التّواصل بلغة موحِّدة مشتركة يفتح باب النّكران للتّاريخ الوطنيّ، ويؤدّي إلى العيش سَهْلًا. **وإنّه لا يمكن أن ترتقي الأمَم وتُبدع إلاّ من خلال استخدام لغتهم الأمّ والاعتزاز بها**، وهي الحال اليوم في كبرى دول العالم كالولايات المُتّحدة واليابان وألمانيا وفرنسا وروسيا والصّين. وإنّ تعليم الطبّ في ألمانيا بالألمانيّة، وبالرّغم من ذلك نجد التّفوّق الصّحي في ألمانيا، ولغة تعليم الهندسة في اليابان اليابانية، ورغم ذلك نجد التّفوّق الهندسيّ الكبير لليابانيين، وكذلك الطبّ في فرنسا وروسيا، وغير ذلك من الدّول المُسمّاة بالعمالقة الثّمانيّة G8 والكبار الاثنتين والعشرين G 22 فهم يتفوّقون في اختصاصات مُعيّنة بلغاتهم القطب، وليس باللّغات الأجنبيّة التي لا ينظرون من خلالها إلاّ لما تضيفه للغاتهم كلغة إفادة وليست لغات هويّة.

3. مكانة اللّغة العربيّة في المَجامع اللّغوية والمُؤسّسات: لا ننكر أنّ أصل تأسيس هذه المَجامع والمُؤسّسات هو العمل على تطوير اللّغة العربيّة، والاعتزاز بها، وتقديمها للمُتعلّم وللمُستعمل سهلةً بسيطةً تُلبّي كلَّ احتياجاته الضّروريّة وهذا عن طريق العمل على تنميّتها لتستوعبَ حصيلةَ الفكر الإنسانيّ القديم والمعاصر. وكان كلّ ذلك عن طريق بذل الجهود لإغناء العربيّة وجعلها مُواكِبة لمُتطلّبات العصر، ووضع المُصطلحات العلميّة وألفاظ الحضارة؛ تحقيقًا لسلامة المنهج، ووحدة الفهم والإفهام في لغة العلم، والأخذ بالتّرجمة والتّعريب بوصفهما رافديْن من روافد اللّغة العربيّة في زيادة ثروتها وتنميّة طاقاتها التّعبيريّة، وما يتبع ذلك من وضْع المَعاجم، وتيسير تعليم اللّغة العربيّة، وإحياء التّراث العربيّ المخطوط، وبعثه دراسة وتحقيقًا. وهذه كلّها هي أفكار علقت بالمُؤسّسين في تلك الأرضيات التي أُعدّت ورقيًا لتكون مَحلّ تطبيق، وهذا كذلك يدخل في باب **الاعتزاز اللّغويّ**.

هي أفكار أُريدَ لها أن تكون مَحلَّ تطبيق على الواقع العربيّ وخارج الدّول العربيّة؛ لتكون اللّغة العربيّة مَتبوعةً بدينها الذي نال القارات الخمس، وهو ينتشر بين ساكنة العالم، فهل العربيّة يمكن أن ينطبق عليها مقولة (ما لا يتمّ به الواجب فهو واجب) **القرآن بلغة العرب= لسان العرب= اللّغة العربيّة= إذًا العربيّة هي واجبة)** ولكن هل تحقّقت تلك الأسس التي كانت مُخطّطة لمَوقع اللّغة العربيّة في خريطة تلك المَجامع والمُؤسّسات؟ هل وقع الرّبطُ بين الأمل والطموح وبين ما هو على أرض الواقع؟ وهل تقاعست هذه المؤسّسات عن أداء دورها في تحقيق تلك التّخطيطات؟ وإذا حقّقت بعض الأجزاء من مشاريعها فَلِمَ لم تستكملِ الباقي؟ إلامَ يعود التّجاذب بين أطراف هذه المجامع والمؤسّسات التي تُلاحَق بنقودٍ كبيرةٍ عن تقاعس أداء واجباتها؟ أين الخلل في كلّ معطيات عمليات هذه المجامع والمؤسّسات التي يُنفق عليها المواطن من ضريبة أجره وهي لا تخدم واقعه اللّغويّ؟ فإذا حصل العجز في هذه المُؤسّسات، أليس من الأحرى تدارسه، والعمَل على وضع الحلول لتجاوز الصّعوبات؟ أو أليس من الأجدى أن تُغلق بعض هذه المُؤسّسات ونستفيد من أموالها، أو تذهب تلك الأموال حيث تُفيد؟

4. الخِدْمات العلميّة التي قدّمتها هذه المَجامع اللّغويّة العربيّة والمُؤسّسات في الوطن العربيّ: لقد قامت هذه المَجامع لغايات واضحة مِن مِثل حماية اللّغة العربيّة، والحفاظ عليها وتنميّة مَعجمها وثروتها اللّفظيّة، والارتقاء بمستويات علاقاتها بمجهودات الأعضاء في تحريك آليات التّنفيذ والتّطبيق... ولهذا لا ننكر أنّ هذه المَجامع قد غيّرت وطوّرت من مُحتوى العربيّة وذهبت به بعيدًا، بل قدّمت خطوات في تعليم العربيّة وتيسير نحوها، وأنتجت مَعاجمها، وقدّمت مَشاريع كبرى وموسوعات شتّى، وأقامت ملتقيات عدّة، وأنجزت قواميس موحّدة لكلّ العلوم وأفادت العربيّة من عدّة أوجه. لا ننكر بعض المَجامع والمُؤسّسات لها مبادرات فذّة في إنشاء إذاعات لغويّة، والمبادرة بتكوين مجموعات من مريدي العربيّة من جميع الفئات العمريّة لتصحيح الأخطاء اللّغويّة، وإنشاء أكاديميات أدبيّة تعتني بأدب الأطفال، وتأسيس الصّالونات الأدبيّة، ومخاطبة المَسؤولين بخصوص إيلاء

العربيّة مَكانتها كلغة أمّ يجب أن يكون لها الاعتزاز والمقام العلي، والسّهر على كتابة اللافتات كتابة صحيحة، والتّدخّل لدى الوزارات في حسن استخدم العربيّة في وثائقها الإداريّة، والمقام العلميّ لبعض المجلات الصّادرة عن المَجامع وموقعها في الشّبكات الكبرى من مثل: المَنهل/ المَنظومة/ Scopus وبعضها أحرزت معامل التأثير الجيّد، أضف إلى ذلك تلك المُبادرات بخصوص قوانين حماية اللّغة العربيّة التي نرى بعضها يتجسّد في بعض البلاد العربيّة... ويكفي أن نطالع مُختلف نشاطاتها لنرى ذلك الزّخم العلميّ العالميّ الذي نفتخر به في مُنجزات بعض المَجامع والمُؤسّسات مثل الحصول على الجوائز العالميّة.

والشّيء الذي أريد الوقوفَ عنده هي المشاريع الكبرى المُنجزة والتي في طريق الإنجاز فتطالعنا تلك المشاريع من مثل: الرّصيد اللّغويّ الوظيفيّ+ الرّصيد اللّغويّ العربيّ+ المعجم التّاريخيّ في طبعتين: معجم قطر التّاريخيّ/ المعجم التّاريخيّ لاتّحاد المَجامع اللّغوية+ المُعجم الكبير+ المَوسوعات الكبرى+ المُحلّل الصّرفيّ+ المُحلّل النّحوّي+ المُدقّق اللّغوي+ مَكانز المُصطلحات+ الذّخائر اللّغويّة+ المكانز اللّغوية+ دوائر المَعارف+ المُعجم الكبير+ المُدوّنات الضّخمة لكثير من الباحثين+ المكتبات الرّقميّة+ الذّخيرة اللّغويّة العربيّة+ المكتبات الرّقميّة+ المَوسوعات الرّقميّة الشّعريّة+ المِنصّات اللّغويّة الحديثة... وكلّها من مَنتوج المعاجم أو المُؤسّسات، ومن الأبحاث المُشتركة لفرق البحوث التي تعمل دون هوادة للحاق بالرّكب.

ولكن هل هذا كافٍ؟ يبدو لي ليس كافيًا، وهناك من يرى بأنّنا نفتخر فلقد حقّقنا الكثير من المطلوب قد يكون ذلك من الصّواب المغطّى بحسن الكلام، ومع ذلك لا نركن إلى السّكينة والنّوم، وأنّنا حقّقنا ما لم يحقّقه الآخرون، أو ما لم يُحقّقه السّلف وسيكون هذا من الدّيماغوجيّة العمياء التي لا تقدّم إلاّ الرداءة؛ فإذا تمعّنا في الأمْر نجد أنّنا ترهّلنا في أعمالنا، وأصبحنا ندور في الماضي ولا نلاحق العصر، بل ابْتَعَدَ عنّا الغربيّون مسافات ومسافات. وقد حقّق أجدادنا المعجزات بوسائل تقليديّة، وهي الحقيقة التي تجرح أحيانًا، ولكن ليس عقدة ولا هي تتركنا دون النّهوض، وعلينا استغلال الفرص للنّهوض ما دامت الأسباب مُتوفّرة وثابتة.

5. المضايقات التي تُعانيها المجامع والمؤسّسات: بالفعل وجدت هذه المؤسّسات لخدمة المواطنة اللّغوية، وهي بحاجة إلى دعم معنويّ وماديّ، **"فمن طلب الحسناءَ لا يُغلِه المهرُ"** ولذلك نرى بعضاً من هذه المجامع شبه فارغة من العمل، بل إنّ بعضها مُعطّل منذ التّنصيب فهو مجمع على الورق فقط. مَجمع دون أعضاء، مَجمع إداريّ غير مُنتج، مجمع كان الأجدر أن يُغلق؛ وتكون الفائدة أفضل بكثير وأنفع للدّولة من وجود إداريين يستهلكون الكهرباء والوقود والورق والجرائد والتّنقلات والسّفريات، وتمثيل المَجمع شكليًا لا علميًا. وبعض المَجامع والمُؤسّسات تعمل بِتُؤُدة سُلْحفاتيّة لا حاجة لنا بها؛ لأنّها تعمل على التّعطيل ووضع المُمهّلات إلى أجل غير واضح، وبعضها تنتج؛ ولكن قد ينظر إليها نظرة سوداء، وتلك هي المَصيبة، بل المصيبة أعظم أنّ بعض الدّول تُعطي ذات الكتلة الماديّة لكلّ المؤسّسات دون النّظر في مَنتوجها، ولا تفرّق بين مُؤسّسة عاملة، ومُؤسّسة شبه عاطلة، فالمُوازنة واحدة أُعدّت بشكل نمطيّ لا تتغيّر. ومع كلّ هذا، هناك مُضايقات حقيقيّة، بصُرت بمجموعة منها أضعها أمام من يهمّه الأمر، وهاكموها:

1/5. عِظَمُ التّحدياتِ التي تُواجهُ المجامعَ والمؤسّسات في عملِها، ومنها محاولةُ إزاحةِ اللّغة العربيّة من مناحي الحياةِ المختلفةِ، ولا سيّما في المؤسّساتِ التّعليميّةِ.

2/ 5. حاجتها إلى الدّعم المَعنويّ والماديّ من الحكومات والشّركات، فلا يأتيها إلاّ الجزء اليسير؛ ويذهب الكثير من اليسير إلى الأجور.

3/5. حاجتها إلى جهاز تنفيذيّ مع الحكومات لتنفيذ قراراتها العلميّة واللّغويّة وتمكينها في المُحيط العامّ.

4/5. قصور المُجتمع المَدنيّ والمنتخبين عن تحريك آليات هذه المُؤسّسات عن طريق الحثّ في كلّ اللّقاءات، وتحريك آلية القرار السّياسيّ.

5/5. سكوت الإعلام عن الوضع اللّغويّ والثّقافيّ، والرّضا بما هو مَوجود وعدم تفعيل آليّة الخطاب الصّحافيّ النّاقد لتحريك آليات المَجامع والمؤسّسات الثّقافيّة.

6/5. عمل بعض المَجامع والمؤسّسات بنظام الورق وطول الاجتماعات وتشكيل اللجان للجان وطغيان الرّوتين، والتّقليل من اعتماد الوسائل الحديثة والرّقمنة في أعمالها وفي بياناتها وفي تواصلها.

7/5. غياب التّفاعل بين أعضاء المَجامع والمُحيط العامّ، فهم في أبراج بعيدة عن الاستعمال اللّغويّ العفويّ، وعن متغيّرات لغة الإعلام، والاستعمال العفويّ.

8/5. نقص التّخطيط والتّنسيق بين هذه المُؤسّسات، ودون وجود قانون أو وثيقة تعمل على تحديد تنسيق المَهام البينيّة، وتوزيعها على المَجامع أو المُؤسّسات، وكلّ يخدم الآخر في صورة العمل الجماعيّ المَخبريّ.

9/5. نقص العمل بالمشاريع الكبرى، وإن وُجِد بعضُها فهي بطيئة في مُنجزاتها، ولا تلاحق الحداثة في المَنتوج، ولا في الصّناعة الآلية الحديثة، وتبقى المَشاريع تُراوح مَكانها إلى غير تاريخ مُحدّد، وتموت المَشاريع مع تغيّر المَسؤول.

10/5. إقصاء العربيّة من العلوم، وهو أخطر مُضايقة، فلا يمكن أن تقع التّنميّة المُستديمة باللّغات الأجنبيّة، وهي تبعيّة لغوية خطيرة؛ وتعني تبعيّة اقتصاديّة، والقياس المعاصر من يملك التّقنيّة يضمن السّيادة، والتّقنيّة لا تكون إلاّ بلغة الأمّة، ولغة الأمّة هي التي تضمن سلامة المجتمع.

11/5. شيوع ثقافة أنّ اللّغة العربيّة لغة أدبيّة، وأن تعلم اللّغات الأجنبيّة هو السّبيل للتّرقي والمكانة العلميّة.

12/5. عدم الاهتمام بتطوير كفاءة مدرسي اللّغة العربيّة، وتحسين ظروفهم الوظيفيّة والمهنيّة أدّى إلى غياب الوعيّ والاهتمام والتّشجيع، وأدّى كلّ ذلك إلى تعميق تسطيح المعرفة باللّغة العربيّة، وحدثت انشقاقات في تنوّع مستوياتها وأشكالها.

13/5. حاجة المَجامع والمُؤسّسات إلى قرار سياسيّ يُعزّز دورها ومَكانة العربيّة، ويحمِي وجودَها، ويعطي لها دفعًا في المَزيد من نيْل المقامات.

6. ضرورة النّهوض بالمَجامع وبالمُؤسّسات الثّقافيّة: إنّه من الواجب على الدّول العربيّة والحكومات أن تعضد المَجامع والمُؤسّسات الثّقافيّة، وبخاصّة المُؤسّسات التّعليميّة وفي مُقدمتها المَدارس والكليات والمَعاهد والجامعات لتضطلع بدورها المستقبليّ من خلال رؤية استراتيجيّة طموحة؛ تروم إلى إعداد جيل مُتمسّك بهُويته الدّينيّة والحضاريّة والثّقافيّة بالتّركيز على الاعتزاز بلغته العربيّة واللّغات الوطنيّة، وهذا عمل يبدأ بناؤه من الأسرة والكتّاب والجامعة والمَجامع، **فمَجدُ اللّغة بمَجد أهلها**، بل من الضّروريّ أن يقع الالتزام بالاعتزاز باللّغة العربيّة والتّراث العربيّ؛ وهو جزء أصيل من الحياة اليوميّة يلتزم به الجميعُ قولًا وفعلًا. ومن ثمّ على هذه المجامع والمؤسّسات أن تُفعّل المعطيات التّاليّة **بطريقة تبعيضيّة وبالنّفعيّة العلميّة وبسياسة القوّة النّاعمَة**، وهذا عن طريق:

. البحث عن استصدار القرار السّياسيّ لتفعيل العربيّة في المؤسّسات العلميّة؛

. وضع استراتيجيات تدعيم المُؤسّسات، والحدّ من مخلفات التّجاذبات السّياساويّة؛

. الاهتمام بدور المُؤسّسات التّجارية في نشر العربيّة؛

. دعم دور التّنسيق بين المُؤسّسات الدّعويّة اللّغوية في العالم؛

. معاضدة دور الزّوايا في تفعيل الحركة اللّغوية؛

. تفعيل الفهرس العربيّ الموحّد (منصّة معرفيّة لنشر العربيّة)؛

. تحريك دور السّفارات العربيّة والمُلحقات الثّقافيّة في غير الدّول النّاطقة بالعربيّة لتدريس العربيّة للرّاغبين في تعلّم العربيّة؛

. دعم دور المكتبات العموميّة والخاصّة، وإخراجها من الدّوام الإداريّ المُلزم بوقت العمَل المُحدّد في الوظيفة العموميّة؛

. تشجيع المُبادرات ذات العلاقة بتكوين المؤسّسات والمَجامع الافتراضيّة؛

. استغلال المواقع والشّبكات العالميّة لتكوين فرق تعمل على تطوير العربيّة بطريقة تفاعليّة؛

. تكوين المِنصّات القاعديّة لبنيات اللّغة العربيّة؛

. الاستفادة من الإطار المَرجعيّ الأوروبيّ لتعليم اللغات؛

. تعزيز مَجالات شبكة السّمت العربيّة الأوربية للتّربيّة؛

. تحيين الرّصيد اللّغوي الوظيفيّ+ الرّصيد اللّغويّ العربيّ؛

. خوض ميدان لغة الشّباب في وسائل التّواصل الاجتماعيّ؛

. تشجيع البرامِج المبتكرة في تعليم العربيّة؛

. توظيف استراتيجيات الخرائط المَفاهيميّة في تدريس العربيّة؛

. برامج تطوير المُحتوى اللّغويّ والعلميّ للعربيّة؛

. العمل على صناعة الفريق المعجميّ في إنتاج الموسوعات؛

. تفعيل آليات مراكز التّرجمة، والمراكز العلميّة ودور المَخطوطات في تعزيز المحافظة على العربيّة.

7 سُبُل تعزيز دور المجامع والمؤسّسات من سُبل تعزيز العربيّة في مُجتمعنا: تعتبر اللّغة العربيّة جزءًا من أيّة مَنظومة إصلاحيّة، وقاعدتها المَدرسة لما لها من دور في تلقين وتعلّم العربيّة وآدابها، فالحديث باللّغة العربيّة مَع العائلة والأصدقاء في الحياة العامّة يعلّم الطفلَ مُخرجات اللّغة السّليمة، ويعتبر ذلك من أقوى وسائل تمكينها في المجتمع وفي الحياة العمليّة.

وإنّ تعزيز العربيّة يبدأ فعلًا من المَدرسة؛ بكتيبات صغيرة يُراعى فيها سنُّهم وحبُّهم للصُّور إضافة إلى مَكتبات هادئة تحوي كتيبات جذّابة لهم بمُسمّيات الرّموز والأشكال في دروس الفيزياء والكيمياء والرّياضيات بالعربيّة، هذا من جهة، ومن جهّة ثانيّة ضرورة التّعزيز المُعاضد والآتي من المُجتمع ومن الشّارع وكلّ ما

يعمل على الرّقي العامّ، وخدمة الشّأن العامّ؛ من مُبادرات ونشاطات ومَعارض وخرجات/ سياحات لسانيّة، وأنشطة ثقافيّة، وما تعرضه دور الثّقافة والمكتبات من الأشكال الفنيّة والمُبادرات التّرفيهيّة وكلّ قيمة تزيد من مَكانة الاعتزاز باللّغة العربيّة.

وبذا نرى أنّنا شركاء في عمليات التّعزيز اللّغويّ، وعلينا استنهاض الهِمَمِ كي تعلوَ لغاتُنا، وإلاّ سنبقى نعيد ذاتَ الكلام، وكلّ عامٍ ونحن في الاجترار، وفي تقديم خُطب الوعظ بالابتسار.

8. نقد وجيه: في آلية استباقيّة من خلال عملنا الذي قمنا به أثناء إنجازنا دراسة أكاديميّة حول دور المجامع اللّغوية العلميّة العربيّة في تطوير اللّغة العربيّة وقد سجّلنا مجموعة من النّقود التي أدرجناها في العَدَمِيات أو النّقائص أو الغيابات، وحصرناها في:

- ❖ عدم رفع المُبادرات التي تضيف جديدًا إلى العربيّة إلاّ من خلال الأقوال؛
- ❖ نقص تفعيل الحركة اللّغويّة/ الثّقافيّة في المحيط العامّ، إلاّ بالمناسبات القارّة؛
- ❖ ضعف مُواكبة المَجامع والمُؤسّسات للحداثة العلميّة والعالميّة؛
- ❖ غياب التّنسيق المُخطّط لها في مشاريع التّأسيس؛
- ❖ غياب توحيد الرُّؤى المُستقبليّة في المَشاريع الكبرى؛
- ❖ ضعف الإنتاج الذي يمْكن أن تعتدّ به رؤى استشرافيّة تعمل على النّهوض اللّغويّ؛
- ❖ غياب التّجديد في المنتوج العلميّ.

ومن بين المُقترحات التي رأيناها تخدم العربيّة، قلنا: إنّ العربيّة بحاجة إلى إصلاح هذه المَجامع والمُؤسّسات، ويعني ذلك إصلاح أوضاع العربيّة وتحسين خدماتها، وتطوير آلياتها وتقديم البدائل، واقتراح الحلول. وعلى المَجامع

والمُؤسّسات التّفكير الدّائم لخدمة العربيّة وتمكينها من القيام بأدوارها المَنوطة بها؛ لتكون ندًا إلى جانب اللغات الكبرى في هذا العالم الذي لا يقرّ إلاّ باللغات المُنتجة للعلم. وكان يجب العمل على إدماج العربيّة ضمن مشاريع الحكومات، وفي مَشاريع التّنميّة المُستديمة المُرتبطة بالمُخطّطات الاستعجالية/ المُتوسّطة المدّة/ البعيدة المُدّة واتّخاذ القرارات المُناسبة لجعلها لغة التّعليم والإدارة والمَرافق العموميّة، والعمل على تنفيذ هذه القرارات بأخذ الاعتبار في الثّنائيّة اللّغويّة/ اللغات المَحليّة لتجسيد المُواطنة اللّغوية.

ومن هنا، فقد خلصنا إلى تقديم بناء مُستقبل متطوّر للّغة العربيّة من خلال الواقع اللّغويّ العربيّ إلى حَلْحَلَة العَدَمِيات أو إيجاد بعض الحلول التي تفتح البابَ للحلول الأخرى. وسجّلنا الآتي:

- ضرورة تحديد الغايات الكبرى من الواقع اللّغوي العربيّ؛
- ترتيب الأولويات بناءً على الإمْكانيات البشريّة والماديّة؛
- الواقعيّة في التّخطيط، وربط النّظريّ بالتّطبيقيّ، وما يمْكن تحقيقه؛
- التّقويم والتّقييم والمتابعة بشكل دائم وبخطّة واضحة؛
- الإكثار من المُبادرات البنّاءة التي تُضيف القيمة العلميّة للغة العربيّة؛
- العمل بالاستشراف والمُراجعات التّنافسيّة، والعودة إلى مَصادر البيانات العلميّة؛
- بناء المَشاريع الكبرى وفق الواقع والإمْكانيات، وضِمْنَ تصوّر زمانيّ ومَكانيّ مُحدّدين؛
- تطبيق مَبدأ الصّفة الإلزاميّة الخاضعة لمَبدأ نسقيّ (نعم للمُراجعة لا للتّراجع)؛
- ضرورة الدّعم المَاديّ المُعتبر؛
- مُشاركة واسعة لأهل الاختصاص.

9. صناعة النّهوض بالمَجامع وبالمُؤسّسات صناعة جماعيّة: من الصّواب أن نقول إنّ هذه المَجامع والمؤسّسات عملت ما وسعها الجهدُ، ومن المعقول حسب مَنتوجها أن نقول: **إنّها لم تكن في مُستوى التّطلّعات فأين الخلل؟** أليس من الحكمَة اليوم أن نتدارس أوضاعَنا؟ أو ليس جدير بنا أن نستكنهَ التّجاربَ النّاجحةَ في المَسألة، وتكون لنا خريطة تفيدنا في النّهوض بالمُؤسّسات وهي صناعة جماعيّة والنّهوض بالمَجامع وبالمُؤسّسات نهوض بالتّنميّة المُستديمة في أوطاننا العربيّة.

ومن الحكمة أن أقول إنّ **التّجربة الأوروبية جديرة بالاحتذاء في بعض أبعادها**، وفيها وَصْفات نوعيّة تحتاج إلى السّير على مِنوالها إذا أردنا النّهوض، وعلينا طَرْق كلّ المسبّبات، ونقول: ما هي الوصْفَة الأوربيّة في النّهوض المُؤسّساتيّ واللّغويّ؟

إنّ بداية النّهوض الأوربي بدأ من أوساط القرن XVI الميلاديّ، حيث اهتمّت أولًا بالعلوم الإنسانيّة، وركّزت على موضوعات: فتح الحريات البحثيّة+ منع التّعصّب+ مدّ التّسامح+ الاهتمام بالتّراث+ خوض ميدان ثورة البخار. وكان مفتاح التّطوّر في كلّ ذلك مبنيًا على:

- ❖ إحياء التّراث الكلاسيكيّ، وكان موطنه في إيطاليا، فعملت على إحياء تراث الرّومان؛ وموطن إيطاليا الذي جعلها على اتّصال بحضارات البحر الأبيض المتوسّط؛
- ❖ رعاية أمراء إيطاليا للآداب والفنّون وللحركات الإنسانيّة والنّهضة المعاصرة بصورة عقلانيّة؛
- ❖ نظرة الأوربيّ إلى العُصور الوُسطى التي قهّرته وخلّفته، والرّغبة في التّغيير؛
- ❖ الإجماع على ضرورة إحياء العلوم الإنسانيّة، فهي باب العلوم، وإخراج الكنيسة من حدود المُمانعات في الاجتهاد.

ونرى في هذه الخريطة النّهضويّة أنّ البداية بالعلوم الإنسانيّة؛ لأنّها تقوّم الجانب الرّوحيّ؛ حيث يصبح إنسانًا مُبدعًا للآلة التي يستعملها، ولا يكون عبدًا للآلة. ومن ذلك تحدّدت مَراتب النّهضة عندهم وفق الآتي:

. أولًا: الاهتمام بالتّراث الكلاسيكيّ: الأدب+ الفنّ+ الفلسفة. وبرع في ذلك: دانتي إليجري 1321م، وبترارك 1374م، وبوكاشيو 1375م. وكانوا يقولون "لا خوف على مسيحيّة الشّاعر إذا استلهمَ تراث اليونان والرومان".

. ثانيًا: الاهتمام بالشّعر: وكان على يدّ شوسر 1400م، ودافنشي 1519م وتوماس مور 1540م، ورابليه 1553م. ويعدّ (مايكل أنجلو) من أعظم فنّاني عصر النّهضة، وقد برع في فنّ التّصوير والنّحت إلى درجة مُذهلة، ومن أعماله المشهورة تمثاله الرّخاميّ (التّقوى) وهو يصوّر العذراء مريم وهي تحمل ابنها على حجرها. وقد وضع هذا التّمثال في كنيسة ملوك فرنسا. ثمّ ظهور الطّباعة على يدّ الألماني جوتنبرغ 1438م، والفلك على يدّ البولندي كوبرنيق 1543م، وفلسفة الحكم بأحكام ميكياڤيلي 1527م، وإصلاح الكنيسة، وظهرت كتابات مارتن لوثر 1546. واكتشافات جغرافيّة جديدة للباحث (كريستوڤ كولومبس/ Christophorus Coluùbus 1692م) وقد شكّل عمله الجغرافيّ انقلابًا في طُرُق التّجارة الدّوليّة، وفي الاقتصاد العالميّ، بظهور طريقين: طريق الحرير+ طريق المِلْح. وكان في كلّ هذا برعاية دائمة من:

1. الأمراء: أمير إيطاليا كوزيمو ميديتسي، وهو أمير وشاعر.
2. البابويين: وفي مقدّمتهم الباب نيقولا V المتوفّي 1455م.
3. المهاجرين القدماء: فقد وجدوا جوًّا جديدًا أبدعوا فيه لوجود حريّة الفكر والبحث.
4. النّاشرين: تأسيس المطابع من أثرياء إيطاليا مثل مطبعة فلورنسا+ مطبعة البُندقيّة.

. ثالثًا: بناء المُؤسّسات؛ فمن مَجمع اللّغة الفرنسيّة سنة 1612، على يدّ ريشيليو، إلى مَجمع اللّغة القشتاليّة في إسپانيّة، إلى مُؤسّسات كبيرة أضحت

مَرجعيات عالميّة، وإلى أكثر من خمسين (50) جمعيّة تناصر اللّغة الفرنسيّة وإلى منظّمة الفرنكفونيّة، وما ينطبق على فرنسا ينطبق على إيطاليا التّاريخ وعلى اليونان الحضارة، وعلى البرتغال المُغامرة، والإسپان مُلوك البحر، ومالطا الأمْجاد...

. رابعًا: الإغداق على المَجامع والمُؤسّسات: وهذا من مُستلزمات إجراء البحوث والتّجارب وتحقيق مُختلف الصّناعات. وفي كلّ ذلك تعضدها مئات من مَراكز البحوث العلميّة العالميّة بما لها من علماء تنفق عليهم بسخاء، وتوفّر لهم العيش الرّغيد، والمُهم أن يبدعوا في ذات لغاتهم وبلغاتهم.

. خامسًا: توفير وسائل النّجاح: وفي هذا كان التعلّق على البشر العلميّ المتعلّم الذي تكوّنه أو الذي يأتيها مكوّنا، فتوفّر له شروط النّجاح والاستثمار في مشروعه، وتقدّم له كلّ المَطالب. وقد حقّقت الكثير من استقطاب الكفاءات الوطنيّة والأجنبيّة، واستثمَرت في التّنميّة البشريّة أيّما استثمار.

. سادسًا: الاستفادة من خبرات الآخرين: ولقد كانت النّهضة الأوربيّة تجربة إنسانيّة جيّدة وفذّة وخصبة، وكان محورها الإنسان في تقويم سلوكه قبل منتوجه الآليّ، وسيطرته على الآلة لا سيطرة الآلة عليه. وبذلك تحقّق التّراث اليونانيّ والرّومانيّ، ودرس دراسات وافيّة أخضعته للنّقد، واستلهام قيم وأفكار جديدة أسهمت في إرساء قواعد الحضارة الأوربيّة. دون أن ننسى أنّ هذه النّهضة قد استلهمَت من الحضارة العربيّة الإسلاميّة علم اللّغة العربيّة، ويقول الفرنسي (لويس ماسينيون/ Louis Massignon) "اللّغة العربيّة هي التي أدخلت في الغرب طريقة التّعبير العلميّ، وهي من أنقى اللّغات؛ فقد تفرّدت في طُرُق التّعبير العلميّ والفنّي".

وفي كلّ هذا لا نعدم بدايات النّهضة العربيّة التي حصلت بمنطلق الاهتمام بالعلوم الإنسانيّة عند الطّهطاوي+ الأفغاني+ محمد عبده... وهذا الرعيل قطع شوطًا كبيرًا في عملية التّحديث في البنيات الفكريّة العربيّة العتيقة بفكر مستنير؛ عبر خلق توافق بين متطلّبات الحياة المدنيّة المعاصرة وبين الدين الإسلاميّ وقيمه

السّمحة. وكانوا يرفعون شعار "الإسلام دين مدنيّ يقبل المتغيّرات ويتفاعل معها" ويغرسون الثّقافة العربيّة الوسطيّة من خلال الشّعر العربيّ واللّغة العربيّة؛ كون العرب كتلة قوميّة اغتنت بالتّأثير اللّغوي دون الذوبان في فكر فارس أو تركمان أو هنود...

وهكذا استلهم العرب حضارتهم في جانبها الإنسانيّ بداية بالفلسفة والمنطق والتّصوّف والأدب، ثمّ الفلك والطبّ والرّياضيات والجغرافيّة وكان العقل العربيّ مبدعًا منفتحًا على معارف متنوّعة. وحصلت عظمة عربيّة إسلاميّة استثنائيّة ارتكزت على التّعبئة النّفسيّة المصاحبة بالفكر الفلسفيّ والرياضيّ من أرسطو إلى بطليموس، وكانت حركة التّرجمة واعيّة، ووصلت مع نهاية القرن العاشر إلى نهايتها بعد أن استنفذت موادها، وبدأت الأعمال الأصليّة تظهر وتزداد.

وكان توسّع الفكر العلميّ متمشيًا مع انتشار الإسلام واللّغة العربيّة بصفتها لغة تواصل جديدة بامتداد كبير وصلت إلى الصّين وأزاحت لغات كانت قويّة مثل السّريانيّة واليونانيّة. وفي كلّ ذلك حصل الامتداد العربيّ في كلّ القارات؛ وهي مُحصّلة نوعيّة إذا أردنا النّهوض مرّة أخرى، بمَجامعنا وبمُؤسّساتنا وبالمُجتمع ككلّ؛ فالعمل النّهضويّ صناعة جماعيّة والعبرة بالخواتيم، كيف كانت أوروبا متخلّفة، وعملت بمَبدأ حتميّة التّغيير، كما أنّ العرب الأوائل عملوا بالتِماس الأسباب، وحصلت لهم نواة النّقلة النّوعيّة في تأسيس العلوم النّظريّة التي أخذها الغربيّون وطوّروها وأفادوا بها لغاتهم، وتطوّروا بتنظيراتنا التي أهملناها ضمن بوتقة العلوم المعاصرة التي تُربّي فينا الآليّة الصّماء.

10. مشروع النّهوض اللّغويّ: سبق أن قدّمنا مَشروع النّهوض اللّغويّ الذي يكون مُشتركًا بين المَجامع والمُؤسّسات والأفراد المجتهدين، ونستهدف من خلاله وضع آليات مُعاصرة للنّهوض العربيّ الثّانيّ بخصوص الاهتمام باللّغة العربيّة اهتمامًا أوليًا؛ باعتبارها لغة الانسجام الاجتماعيّ والتّناغم البينيّ ولغة المستقبل إضافة إلى الشّرعيّة التي نالتها من خلال الدّساتير العربيّة، وما يتبع ذلك من مُستلزمات النّصوص القانونيّة. فلا جدالَ في القضايا الشّرعيّة في اللّغات الوطنيّة

من حيث مَوقعُها الاجتماعيّ، بقدر ما يكمن المُشكل في زحزحتها الفعليّة والقصديّة من قبل بعض الأفراد الضّعاف الذين لم يقتنعوا بالواقع اللّغوي، ولا يرضون للعربيّة أن تكون لغةَ التّعليم، ولا اللّغة اليومية للمواطن. إذًا المشكل في كيفيّة الاقتناع بها كلغة لا بديلَ عنها، وهي القَدَر الذي لا يمكن التّنازل عنه أو التّسامح فيه، أو تركه للزّمان، وهذا ما تحرص عليه الأمم الحيّة التي تقدّمت بلغاتها، **ويشهد التّاريخُ بأنّه ما تقدّمت أمّة بغير لغتها البتّة**، وهذا ما يجب أن نقوم على تجسيده من خلال بثّ هذه الفكرة لدى كلّ الفئات العربيّة.

يأتي هذا المشروع في إطار التّردّي اللّغوي الذي تشهده العربيّة في أوطانها وما تنادي إليه الكثير من المنظّمات المدنيّة العربيّة من أهمية النّظر في الحلول النّوعيّة لإنزال العربيّة محالها الطّبيعيّة، وكذلك ما تقوم به بعض المؤسّسات لإعادة الاعتبار للعربيّة، وبخاصّة ما تَنَادَى له بعض المَجامع؛ علمًا أنّه لا يمكن أن يحصل (**النّهوض اللّغويّ**) إلاّ في إطار النّهوض العامّ للعرب، ومن خلال واقعنا العربيّ، ومن مُستلزماتنا اللّغوية الطّبيعيّة، ومن مُقترحاتنا النّوعيّة ومن تفكير العربيّة وثقافتها في ذاتها ولذاتها، كما لا يمكن أن تنهض اللّغة العربيّة إلاّ بالتّجنيد الفعليّ لكلّ فئات المُجتمع العربيّ، وبخاصّة تلك الفئات المثقّفة والتي لها دور التّأثير في المجتمع وفي القرار السّياسيّ، هذه الفئة المُسمّاة (النّخبة) والتي يجب أن تضع في وعيِها خدمة الشّأن العامّ وإلا لا فرقَ بينها وبين الدّهماء. ومن هنا نريد نُخَبًا تعمل على أن تضيف للعربيّة قيمةً جديدةً، نُخبًا تنقل العلم إلى العربيّة، لا نُخبًا تنتقل إلى اللّغات الأجنبيّة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فعن طريق هذا المَشروع نريد تبليغ صوتنا لمن يُهمّه الأمر بأنّهم مَعنيّون بالمَسألة اللّغويّة؛ إن لم يكن لهم الضّلعُ الكبير في عودة الوعيّ اللّغوي إلى مقامه، فهم يُعدّون بمثابة المرجِع القيميّ، فيزع بأوامرهم ما لا يزع بالوعظ والقرآن.

يأتي مشروع (النّهوض اللّغوي) في إطار ضرورة تمكين العربيّة في أوطانها وتبييئها في مواطنيها، وتجسيد الفِعْل المطابق للقول. وفي الحقيقة يعمل هذا المشروع على المحافظة على اللّغة العربيّة والعمل فيها وبها؛ لتكون لغة المُجتمع العربيّ في

مُختلف المجالات، ولغة التّعليم في كلّ الأطوار، ولغة تعمل على مدّ جسور التّواصل اللّغويّ مع اللّغات العلميّة للتّأثير والتّأثّر، وفي ذات الوقت يقدّم المَشروع وصْفات تقوم على مُحاربة الغُربة اللّغويّة في البلاد العربيّة وتفعيل وسائل الإعلام بمُختلف قنواته من أجل الإسهام في خدمة هذه الهبّة المُنتظرة للرّفع من العربيّة؛ بتقديم خُطط تقوم على الآماد الثّلاث:

1/10. المَدى القصير: ستحدّد فيه ما هو مُستعجل، ويتطلّب الحلول السّريعة ويكون التّركيز على: التّوعيّة بأهمية الاهتمام باللّغة العربيّة (اللّغة الأمّ/ Langue mère) باعتبارها لغة الإجماع والانسجام المجتمعيّ، ولغة تعمل على حصول التّنميّة البشريّة في المجتمعات العربيّة ولن تكون التّنميّة باللغات الأجنبيّة، وهذا ما أثبتته جلّ الدراسات المعاصرة، بل هذا ما يحصل لدى الشّعوب التي نهضت مؤخّرًا. كما لا يمكن أن يحصل تهميش (لغة أمّ/ La Langue de la mère) التي هي جزء من التّراث والهُوية، فبدلَ الانشغال والتّعلّق باللّغات الأجنبيّة أن يقع الاهتمام بهذه اللّغات التي تعلق بخصوصيات مَحليّة، على أن تكون رافدًا للعربيّة ومكمّلة لها. ومن ثمّ ننفتح على اللّغات الأجنبيّة بصيغة تشاركيّة للاستفادة منها في المنهجيات العلميّة، وفي الطّرائق السّهلة التي تعمل على تقديم العربيّة بصورة سهلة للمُتعلّم. كما يقع التّركيز على تجنيد مَنظومة الإعلام في صورتها القويّة لخدمة المَسألة اللّغويّة في كلّ أبوابها. وفي هذا الظّرف القصير أن يكون التّركيز على إعادة الاعتبار للعربيّة بعد تلك الهزّة التي شهدتها من خلال التّسامح الذي عرفته مختلف مُؤسّساتها.

2/10. المدى المتوسّط: يتعلّق بمنظومة التّربيّة والتّعليم في كلّ مَراحلها، وما يستلزم ذلك من إعداد المُستندات التّربويّة. كما يتمّ فيه تقديم مَشاريع وأبحاث في مجال الدّيداكتيك لفكّ لغز تعليم وتعلّم العربيّة بطريقة سهلة مثلما تُتعلّم اللّغات الأخرى. على أن يخضع هذا لمَرحلة زمنيّة مُحدّدة لا تتجاوز عشر (10) سنوات. وإنّها لمدّة حاسمَة؛ وفيها يحصل الانتقال الفعليّ من مَرحلة التّسيّب إلى

التّحكّم الدّقيق بفضل تلك البرامج النّوعيّة التي تقدّم في المَدارس، وبخاصّة في العلوم التّطبيقيّة.

3/10. المَدى البعيد: ويتعلّق بالنّظرة الاستشرافيّة لمُستقبل اللّغة العربيّة ومَوقعها بين اللّغات. وهذا بالنّظر في فكّ لغز المضايقات التّقنيّة، وتقديم الحلول النّوعيّة. وهذه المدّة يمكن أن يدوم عمرها لمَرحلة الجيل ليس إلاّ. وإنّ هذا المَدى الطّويل يكون فيه التّركيز على التّخطيط المُنظّم بغية توجيه السّياسة اللّغويّة في أفق الحاضر والمُستقبل، وفيه يحصل قياس الحاضر على الحاضر، لا اعتماد قياس الحاضر على الماضي. وللتّفصيل في هذا المَشروع، كان عليّ توزيعه بحسب طبيعة المَوضوع بتحديد مَواطن العلاج، وهي كما يلي:

. أوّلًا: الإقرار بالتّقصير، لاستخلاص مَواطن المعالجة، فنبدأ من الجانب النّفسيّ الذي يتعلّق بعدم الاهتمام باللّغة العربيّة، وبخاصّة في تدريس العلوم بها وترك الإعلام للخوض في الهجين اللّغويّ، ولم يقع الاهتمام بالتّرجمة، والإقرار بالتّسامح في الانتماء والهويّة اللّغويّة والاعتزاز الوطنيّ، وهو جانب مُهمّ في الخصوصيّة النّفسيّة واللّغويّة التي يكون بها الإنسان مُحترمًا... وأمام هذا التّقصير، ما العمَل؟ ولهذا نحتاج في هذا المشروع إلى مناقشة القضايا ذات العلاقة بالموضوع، ومن ثمّ العمل على إيجاد الحلول. ولذا بصرت بمَجموعة من القضايا الأوليّة كان علينا تجسيدها قبل تقديم الوصْفة العلاجيّة، وهي:

1. ضرورة الاعتزاز اللّغويّ: ونحتاج إلى خطاب علميّ أدبيّ بخصوص الاعتزاز، فإنّه ما ذُلّ قوم إلاّ بسبب تقصيرهم في خصوصياتهم، وما انحطّ المُجتمع في لغته إلاّ وانحطّ في واقعه. ولذا نجد الأمَم الحيّة تعطي للّغة الأمّ كلّ الأهميّة، بل تنزلها الصّدارة على أنّها وجودهم ومَقامهم، وبها يكونون، وبدونها لا يكون لها المقام، مهما كانت قيمة اللّغة في حساب اللّغات العالميّة، ولا يمكن أن يتنازلوا عن لغتهم بدعوى عدم حمْلها للعلوم، أو عدم مُسايرتها للواقع بل يعتزّون بها ويعمَلون على أن تترقّى. فهل نتّعظ من ذلك؟

2. **إقناع صاحب القرار بمُعاضدة اللّجان المَحليّة أو العربيّة**: يجب علينا وضع آليات الشّروع في تطبيق تعميم استعمال العربيّة وعلى مَراحل، وهذا بإنشاء لجان المُتابعة والتّقويم والمُراجعة، لجان مَحليّة تقوم على حثّ صاحب القرار باستصدار القرار الذي لا رجعة فيه؛ بتعميم استعمال اللّغة العربيّة على مَراحل ويتمّ فيها التّقويم والتّقييم، فنعم للمُراجعة في المَنهجيات لا للتّراجع عن المَبدأ.

3. **الاقتناع بأهميّة مواصلة تدريس العلوم بالعربيّة**: ويكون هذا في باب التّنميّة الوطنيّة التي لا تكون إلاّ باستعمال اللّغة العربيّة في كلّ مراحل التّعليم وفي مراكز البحوث، وفي مُختلف الوزارات، والاعتبار من تلك الدُّول التي ما تقدّمت إلاّ بلغاتها، ويكون العلم بأنّ العرب هي الأمّة الوحيدة في العالم التي لا تُدرّس كلّ المواد بلغتها، وهذا فعل شنيع لا تقوم به إلاّ دول نكرات، فهل نحن العرب نكرات، ونتنكّر للغة زكّاها القرآن الكريم، بل مَجّدها في أكثر من آية.

4. **إقحام النّخب العربيّة في إنجاح المشروع والدّفاع عنه**: نريد من هذا المشروع أن ينال الصّبغة العربيّة والعالميّة، ولن يكون هذا في ظلّ عزوف النّخبة العربيّة عن مسايرة المشروع. فعلى النّخب العربيّة التّجنيد من أجل هذه القضيّة. ولكن كيف يمكن تفعيل النّخب العربيّة في هذا المشروع؟ يكون ذلك عن طريق المشاورة، وطلب إعداد المشاريع، ودراسات الخبرة والجدوى، على أن يكون للنّخبة موقع لدى صاحب القرار.

5. **إشراك مختلف أجهزة الإعلام**: إنّ الإعلام يعتبر السّلاح الرابع والخامس بل هو القوّة المتنفذّة في حياتنا اليوميّة، ولهذا يكون التّعويل عليه في هذا المَشروع النّهضويّ الذي نطلب منه التّجنيد الحقيقيّ في تعبئة الجماهير للسّير في حمْل هموم المواطن العربيّ الذي يحترم لغته ويريد أن تنال وضْعها الطّبيعيّ.

. ثانيًا: إعداد وسائل تعميم استعمال العربيّة: وهذه المَسألة تتطلّب منّا ما يلي:

1. **تشجيع التّرجمة وإنشاء المُؤسّسات التّرجميّة**: لا يمكن للعربيّة أن تستغني عن التّرجمة، بل هي الرّكيزة لتكون لها صبغة علميّة وعالميّة، وتنال الصّدارة ولهذا

تتجنّد القوى العربيّة للتّرجمة إلى العربيّة، وكذلك التّرجمة من العربيّة إلى اللغات الأخرى، ليكون لها الصّدى العمليّ والعلميّ، وتكون مُتنفّذة في مختلف دواليب الاستعمال.

2. **تجسيد التّخطيط اللّغويّ المُناسب**: وضع استراتيجيات شاملة مُتكاملة لجوانب السّياسة اللّغوية، ومن ثمّ إلى سنّ سياسة تربويّة مناسبة، بناء على استراتيجيّة عربية تُحدّد فيها وسائلَ العمل ومُتطلّباتِه، وتشير إلى اتّجاهات التّخطيط ومَساراتِه؛ بقصد إحداث تغييرات في النّشاط اللّغويّ، على أن يخضع التّخطيط لمَراحل ومَسار علميّة ولآماد يُحدّدها المُختصّون. كما تمسّ تلك الاستراتيجيّة الأبعاد الكبرى في نشر اللّغة الجامعة في مختلف المجالات والاهتمام باللغات الوطنية باعتبارها رافدًا للوعيّ الوطنيّ في جوانبه التّراثيّة، وكذلك تعليم اللغات الأجنبيّة بالنّفعيّة المطلوبة، وتنظيم التّرجمة، والعمل على إنتاج المصطلحات وتوحيدها.

3. **تفعيل المُؤسّسات المُختصّة**: وهنا يقع التّركيز على **المَجامع اللّغويّة** التي يفترض أنّها القاطرة التي تقود عملية تعميم استعمال اللّغة العربيّة، وكان عليها أن تقوم على إنتاج أفكار التّوجيه والتّسيير مع كافة المَجالس العليا ومَع مُؤسّسات الدولة. وإنّ المَجامع اللّغويّة هي التي تعمَل على التّهيئة لهذا العمَل في كلّ أبعاده، على أن يكون لها سُلطة القرار.

4. **تفعيل الوزارات**: إنّ هذه العلمية تتطلّب التّجنيد والتّعبئة العامة لمختلف أجهزة الحكومات العربيّة، كما يقع التّركيز على كلّ القِوى الفاعلة في المجتمع العربيّ، وعلى كلّ المؤسّسات العربيّة العمل من أجل ربح معركة تعميم استعمال اللّغة العربيّة. ويكون التّركيز على: **وزارات التّخطيط -وزارات التّربيّة –وزارات الدّفاع -وزارات التّعليم العاليّ والبحث العلميّ -وزارات الإعلام/ الاتّصال – وزارات الثّقافة -وزارات الشّؤون الدّينيّة والأوقاف -وزارات الدّاخليّة -وزارات الماليّة والاقتصاديّة.** هذه أهمّ الوزارات أو ما يمكن أن نطلق عليها وزارت ذات التّأثير في المواطن، وهي وزارات السّيادة، وكلّ وزارة عليها تقديم برنامجها الخاصّ

الذي تقوم به تجاه العمليّة الوطنيّة، وتوضع لكلّ وزارة خطّة خاصّة مُحدّدة ببرامج وبمدّة زمنيّة، على أن تتعاضدَ مَناهجُ وخطط الوزارات في صورة واحدة مُتكاملة تخدم بعضها البعض. وفي الحقيقة لا يمكن الاستغناء عن هيكل ما أو جهاز ما في الدّولة، بقدر ما نريد التّجنيد الفعليّ الذي يدوم خمس (5) سنوات حتى تدخلَ العمليةُ في روتينٍ طبيعيٍّ، وفي صميم اهتمامات المُواطن، وعند ذلك تكون خريطةُ الطّريق قد توسّعت وأخذت أبعادًا وطنيّة، فلا يمكن الحياد عنها في المَبدأ، وإنّما تحصل المُراجعات في المَنهجيات فقط، وهذا من الطّبيعيّ أن يحدث فيها التّغيير مُراعاةً للظّروف والمُستجدات.

11. كيفيات تجسيد مشروع (النّهوض اللّغوي): هناك وصفة أعرضها على المجمعيين وعلى المختصّين، وترتكز على ما يلي:

1/11. وضع جهاز مُتخصّص يُتابع المشروع: ويكون هذا الجهاز تحت إمْرة المَجمع، ويختار المَجمع أعضاءه مِن المَجمعيين ومِن النّخبة العربيّة، على أن يعقدوا اجتماعاتهم في رحاب المَجمع. وهذا الجهاز يعمل على اقتراح المَشاريع الكبرى، وعلى المُتابعة والتّقويم. ويكون للجهاز سلطةٌ إداريّة وتشريعيّة، فيعمل في البدايّة على رفع تقرير للوضع اللّغويّ الصّعب إلى السّلطة العليا.

2/11. جهاز اقتراح مشاريع: يكون هذا الجهاز تحت سُلطة المَجمع، ويستعين الجهاز بالكفاءات في مُختلف اللّغات، على أن يُطلب مِنهم تقديم خبرات في التّرقيّة اللّغويّة، وتقديم المَشاريع الكبرى ذات العلاقة بإخراج العربيّة ممّا آلت إليه من وضع ينذر بالخطر. وللجهاز سلطة توحيد الجهود التي تبذل في تلك الأعمال المُكرّرة أو المشاريع المُتطابقة من مثل: مَشروع المُعجم التّاريخيّ لاتّحاد المَجامع بالقاهرة، ومَشروع مُعجم قطر التّاريخيّ، ومَشروع المُعجم التّاريخيّ للغة العربيّة مع مَشروع الذّخيرة اللّغويّة . الأعمال العشوائيّة التي تُنجز باسم: صاحبة الجلالة اللّغة العربيّة في كلّ من بيروت، ودُبَي . تأسيس المَجلس العالميّ للّغة العربيّة والمَجلس الدّوليّ للّغة العربيّة... وإنّها لجهود كان الأحرى أن يحصل بينها التّنسيق رِبْحًا

للوقتِ والمالِ والجهدِ، وهذا أحدُ العوامل التي تعمل على تشتيت القوى الفاعلة في المُجتمع العربيّ أما حانَ الوقتُ لتنظيم أنفسنا؟

3/11. للجهاز سلطة اقتراح وتوزيع المَشاريع الكبرى: نروم من هذا المَشروع التّقليل من كثرة المُؤسّسات التي أصبحت تتضايق منها اللّغة العربيّة، بل إنّ بعضها بلوى فيها، فلا تخدمها بقدر ما تستنزف أموالَ المُواطن دون نتيجة تُذكر فكفانا كثرة المُؤسّسات التي لا تُدير إلاّ الفراغ. فما أحوجَ هذا الجهاز إلى أجهزة فرعيّة فقط تعمل تحت إمْرة المَجامع.

4/11. توزيع المَهام الكبرى: نروم من هذا توزيع المَهام اللّغوية على المَجامع اللّغويّة؛ لتصبح مَجامع مُتخصّصة، ويكون لها صبغة التّشريع والعمل برأيها وبقراراتها.

5/11. تحديد الزّمان: لا يمكن للمَشاريع أن تنجح في ظلّ غياب الزّمن المحدّد لإنجازها، فلا بدّ أن يقع التّنصيص في بداية العمَل في المَشاريع أفق النّهاية منها، والتفرّغ لمَشاريع أخرى. ولا مانع أن تكون هناك مُراجعة.

6/11. الإغداق الماديّ: إنّ المَشروع في صورته الأولى يقدّم وثيقة تقنية بخصوص الجوانب المادية والطّلبيات المطلوبة، ولهذا نناشد الدّول الرّفع من المِيزانية التي ترصد للبحث العلميّ وتخصيص مِيزانيّة مُحترمة للمَشاريع الكبرى ومُتابعة المَصاريف المُطابقة.

الخلاصة: لا أدّعي أنّني أحطتُ بكلّ حيثيات مَشروع (النّهوض اللّغويّ) بقدر ما أعطيت الخطوط الكبرى، فأريد أن يكون المُواطن العربيّ على اطلاع به، وهو قابل للمُراجعة، ومُتفتّح على استقبال النّقد لمُراجعة مَواطن النّقص وإكمالها. ويمكن أن يُنصِبَّ المَجمعُ لجنةً لدراسته، واستخلاص مَواطن القوّة كما يمكن للمَجمع أن يجمَع بين نقاط القوّة في كلّ المُقترحات التي يُقدّمها الزّملاء أعضاء المَجمع.

الخاتمة: ليس المقامُ مقامَ إشادةٍ بالعربيّة ومَآثرها، والفخْرِ بعُلُوّ كعبها، وسُموّ شأنها، وإنّما المقامُ يتطلّبُ مِنّا أن ننظُرَ في قضاياها المُعاصرة، وأن نتدارسَ في ما

بيننا شؤونها وأحوالها. وعلينا جميعًا أن نشدّ على أيادي بعضنا لتجسيد الآمال المَعقودة، وأن نضع بين هذا الجيل برامجَ ومَشاريعَ كبيرة وعمَليّةً تُيسّرُ سُبُلَ استعمالها وتوظيفها والتّحدّث بها. ومن الضّروريّ أن نستفيد مِن كلّ ما هو جديدٌ في المَجال التّكنولوجيّ والرّقميّ لخِدمة هذه اللّغة. وعلينا فتح نوافذنا على البحوث الجاريّة عند الآخرين، ونستفيد من الأساليب العلميّة التي خدموا بها لغاتهم.

التّوصيات: هناك قضيّة أساسيّة لا بدّ من الانتباه إليها، وهي ضرورة رفع القابليّة للاستعمار اللّغويّ من ذواتنا، ومن ثمّ جعل الشّعوب العربيّة والإسلاميّة المُستعملة للحرف العربيّ تُمارس استعمالَ اللّسان العربيّ في الحياة اليوميّة على مُستويات نفسيّة وسلوكيّة فرديّة وجماعيّة، وندعو إلى:

أولًا: التّفعيل العمَلي في اتّجاه آلية بناء الوعيّ اللّغويّ وتأسيسه، وهو ما يعالجه فحص علاقة اللّسان العربيّ بالهويّة، وبناء التّصوّرات، ورؤية العالم، وعلاقة اللّغة بالأمن القوميّ من مَنظوره الواسع، وإشاعة حقائق هذا المَسار بين جموع الشّعوب العربيّة.

ثانيًا: الحركة في اتّجاه آلية الضّبط التّشريعيّ، وتفعيل المواد الدُّستوريّة الكاشفة عن وضع اللّغة العربيّة في سياق تصوّر الدُّول العربيّة عن نفسها ونظامها الأساسيّ، ومُقوّمات بنائها وتنقّيّة ما هو قائم من التّناقضات.

ثالثًا: الحركة في اتّجاه الضّبط المُؤسّسيّ، هو ما يُحقّق العمَل على المَسار الضّابط لأدوار المُؤسّسات المَعنيّة بالحفاظ على العربيّة، وتطويرها، وضبط عدم التّداخل في الاختصاصات بين: التّخطيط والتّنفيذ والمُتابعة.

رابعاَ: مُراجعة أدوار مُؤسّسات المَجامع اللّغويّة، والمَجامع العلميّة، والمَجالس الوطنيّة والعربيّة المُتخصّصة، والمُؤسّسات الثّقافيّة، ووزارات الثّقافة، ووزارات الأوقاف والشّؤون الدّينيّة.

خامسًا: الحركة في اتّجاه آلية التّخطيط اللّغويّ، في مراحله المُختلفة من: التفّكير والتقّرير والتّطبيق.

مُنَاسَبَةٌ وَكَلِمَةٌ

كلمــة في هــذا الملتقى: التّنوّع الثّقافي*

دأب المجلس الأعلى للّغة العربيّة على الاحتفاء بالأيّام القارّة التي اعتمدتها الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة واتّفق المجتمع الدّولي على عقد هذا اللقاء ببرنامج يكون فيه تسليط الضّوء على مختلف الجوانب المهمّة في حياة البشر من زاويّة العيش معًا في إطار التّنوّع الثّقافي والذي سنّت له يومًا موسومًا (العيش معًا بسلام). وإنّ اليّوم العالميّ للتّنوّع الثّقافيّ جاء من أجل الحوار والتّنميّة المستديمة وسدّ كلّ الفجوات بين الثّقافات، والعمل على تقارب الشّعوب؛ وصولًا إلى إحداث التّنميّة في كافة أشكالها.

وقد أبان تقرير الأمم المتّحدة حول التّنميّة البشريّة لعام 2021م، هناك ثلاثة أرباع من الصّراعات الكبرى في العالم لها أبعاد ثقافيّة فأصبح من الضّروري الاهتمام بهذا الموضوع الذي نروم أن تحصل (المثاقفة/Diversity) الحاملة للتّنوّع بمعانيها الإنسانيّة، وأنّ لكلّ شيء من حولنا له فِرادة تُشكّل مع بقيّة العناصر الأخرى التي من حولها تكاملًا تضيف صورة كبرى للصّورة الصّغرى التي كانت لثقافة آحاد. وبذا يحصل أن تتقوّى النّظرة الشّاملة لما حولنا ممّا يراه أو يعيشه الآخر في كرّة تجمعنا رغم تعدّد ثقافاتنا. فنحن الّشر بطبيعتنا متنوّعون ولنا لغات مختلفة، ولكلّ لغة ثقافة، ولنا ألوان مختلفة وأشكال متقاربة ومتباعدة، ولا بدّ من قبول هذا التّنوّع الذي يُسهم في تقدّمنا وتطوّرنا، والله سبحانه وتعالى خلقنا شعوبا وقبائل لنتعارف ونتواصل ونصبح أفضل، ونعيش أحسن ونتكامل في تنوّعنا، والجمال ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13].

---

* - ألقيت الكلمة في الملتقى الوطنيّ حول التّنوّع الثّقافيّ، بمناسبة اليوم العالميّ للتنوّع الثّقافيّ (21 مايو من كلّ سنة) في رحاب المجلس الأعلى للّغة العربيّة بتاريخ 22 مايو 2022م.

وبذا يمكن أن نقول: إنّ التّرجمة والثّقافة كلتاهما ظاهرتان أزليتان غارقتان في القِدم، وكلتاهما طبيعيّتان وواقعيّتان وفطريّتان، بحيث لا يمكن لأحداهما التّعايش بدون الأخرى، فالتّرجمة هي تلك الوسيلة الفاعلة والمؤثّرة في تحقيق التّواصل الثّقافيّ بين الشّعوب، وتعزيز الأواصر الفكريّة والثّقافيّة بينهما والكشف عن كثير من العلائق الثّقافيّة المشتركة، كما لا يخفى على أحد أنّ التّرجمة هي بيت الحضارة في تحقيق رسالتّها الثّقافيّة في العالم أجمع؛ لذلك أصبحت رفيقتها الدّائمة عبر الزّمان والمكان، وإنّها النّافذة التي تفتحها الشعوب المختلفة لتستنير بنور غيرها، لذلك فإنّ كل عصور الوعيّ والارتقاء في حياة الأمم إنّما تبدأ بالتّرجمات، وهذا الذي شهدناه في العصر الذّهبي الإسلاميّ بالتّحديد العصر الأموي والعبّاسيّ عندما كانت التّرجمة رسالة لبناء حضارة العالم منطلقها الحضارة الشّرقيّة التي أعطت أكثر ممّا أخذت.

إنّ المتأمّل في تاريخ التّرجمة سيكتشف مواقف وأحداثًا كثيرة نالتّ القبول العالمي وأصبح دون حقّ الملكيّة الفكريّة، رغم منطلقها الواضح، ولكن أضحى ذلك من الحضارة الكليّة التي أسهمت فيها المثاقفة بشكل أنّ كلّ حضارة لا تبدأ من العدم، بل تأخذ أفكار الحضارة السّابقة وتعمل على تعزيزها أو تكييفها بمرونة تكون فيها الإضافة، والإضافة هنا هي التّأسيس لحضارة جديدة.

ويمكن أن نعزّز ذلك بشاهدة أنّ ترجمة كتاب (كليلة ودمنة) الذي ترجمه (عبد الله بن المقفّع) ثمّ تُترجم عن طريق النّسخة العربيّة إلى باقي اللغات الأخرى، وكتاب (إقليدس) في الرّياضيّات عنوانه (العناصر) ترجمه العرب وحفظوه، ثم تُرجم مرّة أخرى إلى اللّغات اللاتينيّة، فعرفت أوروبا الرّياضيّات من خلال هذا الكتاب الذي انتقل من لغة إلى أخرى والذي تأسّست عليه الجامعات والعلماء اليّوم. وكان من نتائج ازدهار حركة التّرجمة في العصرين الأمويّ والعبّاسيّ حفظ التّراث الإسلاميّ من الضّياع، وذلك كلّه تمّ خلال مئة سنة أو أكثر، وهو يُعدّ إنجازًا حضاريًا رائعًا وضخمًا لا نظير له في حياة الأمم.

وهكذا إخواني، ونظرًا لأهميّة حركة التّرجمة التي كانت وراء أكبر انطلاقتين للنّهضة؛ الانطلاقة الأولى في عصر النّهضة الإسلاميّة والانطلاقة الثّانيّة مع عصر النّهضة الأوروبيّة، اخترنا الاحتفاء باليّوم العالمي للتّنوّع الثّقافيّ لسنة 2022 بموضوع (الدّراسات التّرجميّة في العالم العربيّ) لمعرفة مستجدّات هذا الميدان وعرض حال التّرجميّة العربيّة حاليًّا.

وللمجلس الأعلى للّغة العربيّة في هذا الموضوع أعمال يُسهِم بها للنّهوض في مجال التّرجمة في العالم العربيّ عامّة وفي الجزائر خاصّة ونذكر منها:

1- تنصيبه للّجنة متخصّصة في ترجمة الكتب العلميّة والتّقنيّة، وهي لجنة تتكوّن من خبراء ومترجمين متطوّعين انظمّوا إلى نظرة المجلس واهتمامه بترجمة العلوم والتّقانات إلى اللغة العربيّة؛ لغة كل العلوم. فقد ترجمت هذه اللجنة كتبًا نذكر منها:

- كتاب دليل التّمريض في جزئه الأوّل؛
- كتاب إسعاف الطّوارئ؛
- كتاب معلومات هامّة عن الإصابات الرّياضيّة.

كما سيصدر للمجلس كتابان آخران تمّت ترجمتهما من اللغة الفرنسيّة إلى اللّغة العربيّة للأستاذ (مصطفى خياطي) هما: (الأطفال عبر التّاريخ+ حقوق الطّفل في الإسلام) وذلك بمناسبة اليوم العالميّ للطّفل في 01 جوان 2022. وكان اختيارُ اللجنة لهذه الكتب راجعًا لأهميّتهما في التّكوين الجامعي للطّالب الجزائريّ في التّخصّص الطّبيّ والشبه طبيّ، كونهما يشكّلان مرجعًا أساسًا بقيمة علميّة تُساعد الطّالب، وتوفّر له مادّة علميّة غنيّة بلغة قريبة منه ومن ثقافته. وتعدّ هذه الكتب الأولى من سلسلة من الكتب العلميّة التي يروم المجلس ترجمتها وجعلها مصدرًا ضمن مصادر المعرفة اللغويّة العلميّة والتّقنيّة والطّبيّة. كما عمل المجلس ولا يزال يعمل بالشّراكة مع مختلف الوزارات والمؤسّسات الوطنيّة لتقديم مادّة علميّة في التّخصّص بلغة عربيّة فصيحة، ونذكر منها على سبيل المثال:

2-دليل البيئة بالشّراكة مع وزارة البيئة والطّاقات المتجدّدة ومع المحافظة السّاميّة للأمازيغيّة وهو دليل ثلاثيّ اللغات (عربيّ، فرنسيّ، مازيغيّ).

- الدّليل السّياحي؛
- قاموس مصطلحات الفلاحة؛
- دليل الإدارة والمحاسبة وغيرها من الأدّلة والإصدارات التي أسهم في إنجازها نُخبة من أكفياء الوطن الذين يُكرّسون عملهم في تطوير اللغة العربيّة.

3-مجلّة معالم للتّرجمة؛ وهي مجلّة مصنّفة بالصّنف (ج) من المجلات العلميّة المصنّفة، والتي نعمل على ترقيتها للصّنف (ب) في المستقبل القريب. وإنّ (مجلّة معالم) هي مجلّة تُعنى بترجمة مستجدّات الفكر العالميّ، يصدُر لها عدد خاصّ بمناسبة هذا اليوم العالميّ للتنوّع الثّقافيّ يوم 21 مايو 2022.

4-ومن بين احتفائيات المجلس لهذه السّنة أيضًا، نذكر اليوم العالميّ للتّرجمة يوم 30 سبتمبر 2022 حيث قمنا ببرمجة ملتقى وطنيّ يُعَالَجُ من خلاله إشكاليّة: (التّرجمة والهويّة أيّ علاقة؟ وأيّ تأثير؟)، ونشير في هذا المقام لمشروع البطاقيّة الوطنيّة للمُترجمين الجزائريّين: وهي مِنصّة شابكيّة تشتمل على قواعد بيانات تضمّ كلّ المترجمين الجزائريين القدامى والمحدثين داخل الوطن وخارجه. وتُسلّط هذه المنصّة الإلكترونيّة الضّوء على النّخبة الجزائريّة المشتغلة في حقل التّرجمة، وترصد إبداعاتها في التّرجمة من العربيّة وإليها، وتقترح مشاريع ترجميّة في مختلف المجالات المعرفيّة من خلال:

- ❖ مسح آليّ منتظم لما تعرضه المتاجر الشّابكيّة من مؤلّفات في مختلف العلوم والتّخصّصات، للرّقيّ بالعمل التّرجميّ الجزائريّ خصوصًا، والعربيّ عمومًا.
- ❖ الرّبط بين الجهات الدّاعمة للأعمال التّرجميّة والمترجمين؛ لتغطيّة تكاليف حقوق دور النّشر والمؤلّفين، وكذا أعباء المترجمين.
- ❖ الرّبط بين الجهات المهتمة بالتّرجمة والمترجمين.

6-مشروع المجلّة الأفريقيّة (Revue Africaine) التي كانت تصدرها الجمعيّة التّاريخيّة الجزائريّة، وقد تضمّنت أزيد من ألفين وثلاثمئة مقالة، نشرت ما بين 1856 إلى 1962، في مجالات معرفيّة مختلفة، ونظرًا للأهميّة التي تكتسيها تلك المقالات، يعمل المجلس على جمع هذه المقالات والعمل على ترجمتها.

7-منبر مجلّة معالم الافتراضيّ وهو منبرٌ معرفيّ فكريّ يهتّم بقضايا التّرجمة تنظيرًا وممارسةً ونعمل على تطويره وإثرائه بمداخلات قيّمة من أساتذة ودكاترة ونأمل أن يكون مميّزًا بحيث سيفتح المجال أمام المترجمين والطّلبة للاستفادة من مواد مختلفة ومتعدّدة لتطوير علم التّرجمة، وخلق مساحة افتراضيّة تُسهم في إغناء الإنتاج المعرفيّ بشكل عامّ واسترجاع مكانة التّرجمة الضّروريّة والبّناءة للحضارات على غرار ما كانت عليه سابقًا لبناء حضارة لا نظير لها في حياة الأمم بشكل خاصّ. وكلّ هذه الأعمال تدخل ضمن استراتيجيّة المجلس الأعلى في تعميم استعمال اللغة العربيّة في الميادين العلميّة والتّكنولوجيّة والتّشجيع على التّرجمة.

ونروم من هذا اللّقاء أن يُسفر على جملة مقترحات بخصوص موضوعه المهمّ (الدّراسات التّرجميّة في العالم العربيّ)، ونشكر للحضور حضورهم الوجاهي والافتراضي، ونأمل أن يعود بنا الزّمن لوصفة بيت الحكمة؛ وصفة كانت لها بصمات تاريخيّة لا تمحى كما كانت فاتحة تطوير تاريخيّ عظيم للّغة العربيّة، وفيها تزامن القرار والفكر والعمل والمال، وأنتج حضارة كبرى هي الحضارة الشّرقيّة بميسم اللغة العربيّة، وكان لها وقع في كلّ القارات، ونالتّ فيها العربيّة كلّ المقامات، وتداخلت كما تعاركت مع كلّ اللغات، وانتصرت بمرونتها ووفرة إنتاجها، وخدمتها من قبل فطريها ومن غير النّاطقين بغيرها، فهل يمكن أن نعتبر، ونعمل على وصفة معاصرة للإفادة من خميرة التّرجمة؛ وهي أفق فكّ الصّراع، وهي كتاب العيش معًا، وهي المثاقفة والأمن والسّلام.

وبذا أختم كلمتي، وأعلن افتتاح بداية أشغال هذا الملتقى الوطنيّ الموسوم (الدّراسات التّرجميّة في العالم العربيّ) وبورِكت خطواتكم ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ التّوبة (105).

مُناسَبَةٌ وكَلِمَةٌ

استخدام اللغة العربيّة في المؤسّسات العموميّة والتّعاملات الإداريّة*

الدّيباجة: إنّ موضوع اللقاء الذي يجمعنا اليوم في رحاب المكتبة العموميّة يُشكِّل قيمةً وطنيّةً كبيرةً في ترسيخ العربيّة في مُدوّنات المؤسّسات العموميّة وفي كلّ تعاملات الإدارة في المجتمع الجزائريّ ويدخل هذا العمل في مَهام المجلس الأعلى للّغة العربيّة، وهي مَهام عاملة على دعم العربيّة وتعميم استخدامها في مختلف المجالات. ونقصد هنا العربيّة الفصحى المشتركة؛ وهي اللغة الرّسميّة التي تنصّ عليها كلّ المواثيق والدّساتير والمرجعيّات الوطنيّة والتّاريخيّة والحضاريّة من عصر الفتوحات الإسلاميّة لشمال أفريقيا إلى الدّولة الوطنيّة في العهد العثمانيّ، ثمّ بيان نوفمبر 1954، وإلى دستور 2020م.

ولهذا من الأهمّيّة بمكان أن يقع تبادل المعلومات الإداريّة بلغة الدّولة الجزائريّة عبر ما عرفته من دولات، وما نصّت عليه المواثيق والقوانين. ويقع التّركيز في هذه الكلمة على ما عرفته اللغة العربيّة من تجاذبات من سنة 1962م بعد ذلك التّدمير الهُويّاتي الذي فرضه الفرنسيّون خلال قرن واثنين وثلاثين (132) سنة من الاستخراب الذي نالته الذّاكرة الوطنيّة من مسْخ ومسْح وقهْر وإلغاء. وليس سهلًا أن تعود الهويّة إلى أصالتها في ظرف سريع إلاّ بمحو كلّ آثار القهر والفشل والوهن.

لقد عرفت العربيّة بعد الاستقلال مختلف التّجاذب بين تعريب التّعليم القاعديّ بصورة مرحليّة في ستّينيّات القرن الماضيّ، ثمّ تلتها إصلاحات 1971م، وأمرية 1976م، ودخول المدرسة الأساسيّة مرحلة التّطبيق ثمّ تتالت إصلاحات جزئيّة بداية التّسعينيّات، وجاء النّص القانونيّ 91-05 المتضمّن تعميم استعمال

* - الكلمة التي ألقيت في رحاب المكتبة العموميّة بباتنة بتاريخ: 24 مايو 2022.

اللغة العربيّة، ثمّ تأسيس المجلس الأعلى للتّربية نوفمبر 1997م، ومن ثمّ تأسيس المجمع الجزائريّ للّغة العربيّة عام 1986 فالمجلس الأعلى للّغة العربيّة سبتمبر 1998م، مع ما صاحبهما من نصوص مُحدّدة لآجال تعميم العربيّة في الإدارة بتاريخ 5 جويليّة 1998، وقطاع التّدريس بأجل 5 جويلية 2000م، وما له علاقة بالتّعامل اللغويّ مع الأجانب...

وتعرف الجزائر متغيّرًا سياسيًا خطيرًا يأتي بتجميد لقانون تعميم استعمال العربيّة غير معلن عنه، بحلّ المجلس الأعلى للتّربيّة وتأسيس اللجنة الوطنيّة لإصلاح المنظومة التّربويّة، وقد أعدّت سنة 2003-2004 تقريرًا غير معلن عنه أسفر عن نظام إصلاحيّ مدرسيّ جديد، أعدّته ذاتُ اللجنةِ الوطنيّة والمعروفة بلجنة (بن زاغو) ودخلت المدرسة/المنظومة التّربويّة إثرها في تراجع كبير، وانحطاط المستوى الذي لم تعرفه المدرسة الجزائريّة في سابق عهدها، وجاءت وقت التّراجعات والتّشكيكات وطرح قضايا الهويّة من جديد، وكانت مرحلة صعبة وقعت فيها الكثير من التّجاوزات في المواطنة اللغويّة وكادت تنفلت الموازين.

وكلّ ذلك أثّر في تجميد عمليّات تعميم استعمال اللغة العربيّة التي حدثت في سنوات الجَمْر وبقيت العربيّة مجمّدة دون قرار، رغم رفع الحظر عنها سنة 1996م بأمر رقم 96-30. وبالفعل أصبحت العربيّة تعيش القهقرى، بالإضافة إلى الجَزر والمدّ، وعاشت بعضًا من التّراجع إلى سنة 2019 وبدأت بوادر الانفراج على العديد من المستويات؛ وبخاصّة مع اهتمام (الجزائر الجديدة) بالهُويّة الوطنيّة، ودسترة الثّامن (8) من مايو من كلّ سنة يومًا للذّاكرة وما صاحبها من فتح قناتين إعلاميتين: (الثّامنة) والسّابعة (المعرفة) وتداعت جُملة النّتائج إلى الأفضل؛ مصحوبة بخطاب سياسيّ وطنيّ جيّد يجمع ويلمّ ولا يقدح في العربيّة بل يُمجّدها ويعمل على تعميمها. وكان ذلك مكسبًا كبيرًا للمواطنة اللغويّة، وأصبحت العربيّة تعود للواجهة، وتترى الوزارات في دعوة المواطنين لعدم استعمال اللغة الأجنبيّة في المراسلات، وما صاحب ذلك من نشاط المجلس الأعلى للّغة العربيّة في اقتراحات

القوّة النّاعمة في تحبيب العربيّة والعمل على التّرغيب فيها، وبناء العلميّة فيها بمنتوجه العلميّ ذي الذّكاء الصّناعي.

وسبق للمجلس الأعلى للّغة العربيّة أن عقد شراكة بخصوص تعميم استعمال العربيّة في أجهزة الوزارة، ولكن لم تصل إلى المرغوب، بينما الآن هناك نوايا حسنة لإعطاء العربيّة مقامها في المعاملات الإداريّة وفي التّدريس، وتأتي الأصداء جيّدة في تلك الخطط العلميّة التي ينجزها المجلس على الآماد الثّلاثة التي تعطي البُعد الاستعمالي والعلمي للّغة العربيّة، باعتبارها لغة الكون، ولغة أمميّة في نافذتها الخامسة في مقرّ الأمم المتحدّة وفي وكالاتها العالميّة. وها نحن نعيش الفخر اللغويّ بأنّ العربيّة لها بُعد وطنيٌّ كبير في المجتمع الجزائريّ باعتبارها لغةً جامعةً مانعةً تحتاج إلى حِماية قانونيّة، وإلى حِماية مُواطنيّة بالاستعمال، وحِماية علميّة من المؤسّسات التّربويّة والعلميّة ومخابر اللغات ومراكز البحوث.

1. استخدام العربيّة في المؤسّسات العموميّة: يمكن أن نتحدّث في هذه النّقطة بأنّ قطاعات قاعديّة ثلاثة جدّ مُهمّة تحتاج أن تتمكّن فيها العربيّة بصورة جيّدة، وإذا تجذّرت فيها العربيّة فهي الوئام والانسجام الجمعي الذي يعمل على اختلاف المنهجيات لكن الوصول إلى هدف مشترك مضمون. وأمّا باقي القطاعات ليست صعبة إذا تأسّست القاعدة على أرض صلبة. ولهذا نجد الأمم الرّاقيّة تستثمر بقوّة في: **التّعليم في كلّ مراحله+ الإدارة+ الإعلام**.

وإذا أردنا التّفصيل، فنقول بأنّ قطاعات التّربيّة مجزّأة كما يلي: التّربيّة الوطنيّة+ التّعليم والتّكوين المِهْنِيَيْن+ التّعليم العالي والبحث العلمي، وهي قطاعات قاعديّة تستقبل التّلاميذ/ المُمْتهنين/ الطّلبة. وقطاع التّربيّة الوطنيّة تَعرِف فيه العربيّةُ الحضورَ القاعدي والفقهيّ والعلميّ، ونالت فيه العربيّةُ مكانةً جيّدة في التّعليم والبحث التّربويّ.

والقطاع الثّاني التّعليم والتّكوين المهنيين بين الدّارجة والفرنسيّة، وهو يستقبل المُمتهنين الذين هم في الأصل يتقنون العربيّة، ثمّ إنّه يحتاج إلى لغة المِهَن والحِرَف، أو ما يسمّى باللغات الوظيفيّة التي لا تستدعي ذلك العمق اللساني. ومع

الجزائر الجديدة/ العهد الجديد هناك توجّه ممتاز في تفعيل قانون تعميم استعمال العربيّة حسب تعليمة الوزارة التي اتّخذت القرار تكريسًا للمبادئ العامّة التي تحكم المجتمع الجزائريّ مثلما هو منصوص عليه في الباب الأوّل من الدّستور. وللمجلس الأعلى أدلّة كثيرة في هذا المجال وقد قدّمنا لهم كلّ ما يحتاجون.

وأمّا قطاع التّعليم العالي والبحث العلمي؛ فنعرف بأنّ العلوم الإنسانيّة عرفت العربيّة فيها الانتشار، بينما المعضلة في العلوم والهندسة والتّقانة، وهي لبّ المشكلة. وهذا ما يجب أن نستثمر فيه في مشاريع الوزارة وبخاصّة هذا المشروع الذي رفعته جامعة الدّول العربيّة ممثّلة في الألكسو/ (ALECSO)وعن طريق وزراء التّعليم العالي والبحث العلميّ 2022-2030. ما هي آفاق البحث العلميّ بالعربيّة في الثّماني سنوات القادمة، وما موقع العربيّة في هذا القطاع.

وأمّا قطاع الإعلام، فهو مُعرّب وله فتوحات إعلاميّة في اللغة الفرنسيّة وبخاصّة المكتوب منها، ويحتاج فقط إلى مرافقة على غرار ما يقوم به المجلس الأعلى للّغة العربيّة شراكة مع ذات القطاع في إجراء دورات تكوينيّة، أثمرت عن حسن أداء القطاع لتطوير العربيّة.

وأمّا القطاعات الأخرى فنعلم بأنّ الدّفاع الوطني/ مجموعات ممثّلة في الدّرك الوطني+ الشّرطة+ الحماية المدنيّة+ مصلحة الغابات+ العقّار... ويضاف إليها قطاع العدل+ الثّقافة+ الاتّصال+ الشّؤون الدّينيّة+ المجاهدين... لا شكّ أنّ موقع تعميم استعمال العربيّة لا مشكلة فيها، وتحتاج فقط إلى بعض الجودة في مهارات التّواصل والكتابة ونمطيّة توظيف العربيّة بصفر خطأ، وتأسيس البنيّة الرّقميّة في هذه القطاعات، وبعضها نالت رقيًّا جيّدًا باجتهادات مُسيّريها.

وهناك بعض القطاعات/ الوزارات تعرف نسبة معتبرة من استعمال العربيّة مثل وزارة البريد والمواصلات السّلكيّة واللاسلكية التي فتحنا معها مشروع (معلمة المخطوطات الجزائريّة) بمرافقه المجلس الإسلاميّ الأعلى+ وزارة البيئة وأنتجنا قاموس البيئة ثلاثيّ اللغات، ولنا تعاون في تصديق الوثائق المترجمة+ وزارة النّقل، ومعنا مشروع لغة النّقل، وأشرف على النّهاية+ وزارة الصّيد البحري وتربيّة

المائيّات ولنا مشروع يقرب إلى الإنتهاء بخصوص مدوّنات الصّيد البحري+ وزارة العمل والشّؤون الاجتماعيّة+ وزارة التّضامن+ وزارة الدّاخليّة والجماعات المحليّة.

وفي كلّ هذا تعرف العربيّة المخاض العسير في عمليات الإشهار والإعلان وعلامات التّسعير، والتّرقيم، والعلامات التّجارية، وبراءات الاختراع... ومع ذلك نلاحظ أنّ وزارة التّجاريّة لها نوايا حسنة في تعميم استعمال العربيّة، وهناك شراكة بينها والمجلس الأعلى للّغة العربيّة في إعداد مدوّنات ذات العلاقة بحسن استعمال العربيّة في أروقة الإدارة وما له علاقة بمصالح المواطنين في التّجارة الدّاخليّة/ الخارجيّة. إضافة إلى قطاع الصّناعة الذي لا يزال يعيش على اللغة الأجنبيّة والمجلس الأعلى حاليًّا في شراكة جديدة بخصوص وضع مُدوّنات لغة المصطلحات الصّناعيّة.

وهناك قطاع السّياحة الذي يحتاج إلى تعميم استعمال العربيّة؛ وهو قطاع حَيَوِيٌّ مناصر للثّقافة الوطنيّة ومُدرّ للماليّة وإدخال العملة الصّعبة. وهناك قطاعات لا تزال الفرنسيّة تتحكّم في الوضع، مثل: قطاع الطّب وفيه تناقض كبير؛ حيث يُعامَل الجمهورُ العريض بلغة لا يفهمها، والتّناقض في أنّ الوصفات بالعربيّة+ وثائق استعمال الدّواء بالعربيّة+ الجوّ العفويّ في التّواصل بين المريض والممرّض والطّبيب بالعربيّة+ المعاملات اليوميّة بالعربيّة... إلاّ التّدريس بقي حكرًا على لغة آحاد (الفرنسيّة).

وذات الشّيء ينطبق على قطاع التّشغيل والضّمان الاجتماعي، وكذلك قطاع الشّباب والرّياضة فلغته اليوميّة العربيّة، إلاّ أنّ المعاملات الإدارية لا تزال تعرف التّذبذب وعرفنا مؤخّرًا حركة جيّدة في تجنّد القطاع وراء استعمال العربيّة بصورة التزام وإلزام. وكانت الوزارة قد نشرت تعليمة موجّهة للمديرين العامين والمركزيّين ومديري الشّباب والرّياضة عبر الولايات ومديريّ المؤسّسات العموميّة التّابعة للقطاع، طالبت فيها بضرورة تعميم استعمال اللغة الوطنيّة في كلّ المراسلات الدّاخلية للقطاع، وألحّت الجهات التي أرسلت إليها باتّخاذ كلّ الإجراءات

الضّروريّة مع المصالح التّابعة لها لتنفيذ التّعليمة ابتداء من الفاتح من نوفمبر 2021م.

وأمّا قطاع الماليّة الذي لا نعذره في كثير من الحالات، رغم أنّه يحتاج إلى استعمال اللّغات الأجنبيّة (اللغات الأمميّة) ومشكلته أنّه غير متفتّح إلاّ على لغة عدوّ الأمس. وإذا عذرنا هذا القطاع يمكن أن نعذر وزارة التّجارة في معاملاتها الإداريّة الدّوليّة، وكذلك وزارة الخارجيّة التي تحتاج إلى التّواصل بالعديد من اللغات، ومع السّفارات والقنصليّات الأجنبيّة. وأمّا بخصوص القطاع الخاصّ فهو لا يخضع لكثير من المرجعيّات الوطنيّة، وتتحكّم فيه الفرنسيّة، وبخاصّة ما له علاقة بالصّناعات الإلكترونيّة والميكانيكيّة، والتّصدير والاستيراد، وما يتبع ذلك من مُعاملات إدارية بحتة، دون أن نتحدّث عن المَعامل والمَصانع الخاصّة وعن المُستثمرين الوطنيّين والأجانب فلا تكاد العربيّة يكون لها المَحلّ الأوفر في الإدارة بتاتًا.

2. **التّعاملات الإداريّة**: قياسًا على تلك القطاعات التي نالت فيها العربيّةُ الانتشارَ، تستعمل العربيّة بشكل عامّ، اللهمّ بعض المراسلات خارج إطار الوزارة أو ما له علاقة بالخارج. وأمّا الوزارات التي لم تعمل على تعميم العربيّة؛ فسيادة اللغة للفرنسيّة في كلّ التّعاملات الإداريّة ظاهرة، وللأسف أنّ لوبيات لا تزال تُبعِد العربيّةَ عن الوظيفة الإداريّة رغم أنّ عمليّة تعميم استعمال العربيّة في الإدارة سهلة جدًا. ومع ذلك تحتاج هذه القطاعات مع القطاع الخاصّ إلى وعيٍ لغويّ بطريقة القوّة النّاعمة. وعيٌ مصحوبٌ بما للعربيّة من مكان في الذّاكرة الوطنيّة وما لها من قوّة علميّة ومنطق وفلسفة، ولا يذهب بنا الذّاهبون لمنطق الأبواق المعارضة، وحججهم الواهية، وتلك الأفكار التي لا تستند إلى مَنطق. وإنّ العربيّة لا تعيش التّخلّف في ذاتها بقدر ما تعرف إيديولوجيّة بين النّخبة الوطنيّة التي تريد العربيّة في كلّ مواقع الاستعمال، وبين من يرون أنّها لغة التّخلّف لا يمكن لها أن تُسيِّر أو تكون لغة العصر.

هو صراع حضاريّ وفكريّ بين أتباع (غنيمة حرب) وبين الغيورين الذين يرون بأنّ الاستقلال الحقيقي يحتاج إلى لغة الوطن ولم يثبت أنّ أمّة في العالم تقدّمت باللغة الأجنبيّة. ولهذا من الضّروري رفع الهيمنة الفرنكفونيّة عن الجزائر المستقلّة، وما نعيشه صراع وطنيّ فكريّ. ولهذا علينا أن نتداعى لجانب الانتصار للمشروع اللغويّ الوطنيّ في الأساس، والتّمكين للعربيّة الفصحى التي أجمع الشّعب على ضرورة إيلائها المكانة السّياديّة في مختلف المجالات والقطاعات، ورفع الوصاية التي فرضتها الأقليّة التي تريد التّدجين اللغويّ للجزائر.

وإنّ العربيّة الآن بما لها من خصوصيّات مجتمعة فيها دون غيرها من اللغات هبة الله للعرب وللمسلمين، فهي لغة الكوْن والحضارة الإنسانيّة، ولغة العلم والماضيّ والحاضر والمستقبل. لغة قادت العالم وأخرجته من الظّلمات، ولغة أمّ ولغة الأمّة، ولغة يتواصل ماضيها في حاضرها، ولغة الاتّساع الزّماني والامتداد المكاني... كلّ هذه لا تتوفّر إلاّ في العربيّة، فكيف نتنكّر لها أيّها النّابهون، ولا بدّ أن تعود إلى محالها وإلى استعمالها في الإدارة وفي تدريس العلوم بها وفتح مجالات البحث فيها، وتمكينها من فتح آفاق المعرفة، ولا تكون إلاّ بوضعها في محكّ الاستعمال في مختلف مرافق الحياة اليوميّة. إنّ العربيّة لغة العلوم القديمة والحديثة، لغة الآفاق التي سادت أيّام الظّلمات، لغة صالحة لكلّ زمان ومكان وأنّ استعمالها سهلٌ في كلّ القطاعات، ونحن بحاجة إلى إيمان حَمْلِ رسالة التّعميم من قبل الشّباب المعاصر، فيقع عليهم العِوَلُ لرفع المُضايقات التّقانيّة التي تفتقر إليها العربيّة في الوقت المعاصر، والإجابة العلميّة عن رهانات العربيّة والتّحدّيات التي تعمل على الرّفع من سويّتها، وبخاصّة أنّ الإرادة السّياسيّة متوفّرة وجادة فهي نعمة كبيرة، والعربيّة بذلك نراها بخير.

3 . **صلاحيّات المجلس الأعلى للّغة العربيّة**: مجلس دستوريّ استشاريّ؛ وضع تحت رئاسة الجمهوريّة، يقوم بمهام ازدهار العربيّة وتعميم استعمالها في العلوم وفي التّكنولوجيّة، والتّرجمة لهذه الغاية. ويحتاج إلى صور قانونيّة للقيام بعمله في تنسيق الجهود التي تقوم بها أجهزة الدّولة والمؤسّسات العموميّة والخاصّة الرّامية

إلى ضمان ترسيخ اللغة العربيّة ودعمها وتعميم استخدامها، وإلى متابعة كلّ الوسائل المتعلّقة بتطبيق أحكام القوانين ذات العلاقة بتعميم استعمال اللغة العربيّة. بالإضافة إلى تكليفه بصلاحيّات أوسع على غرار اعتماد المصطلحات العلميّة والفنيّة التي تنجزها الوزارات، ومراقبة ما له علاقة بالجهاز السّمعيّ البصريّ والرّقميّ في ضرورة توظيف العربيّة في أعلى تجلّياتها، وما يصحب ذلك من ملصّقات وإشهارات ولافتات وأسماء تجاريّة وتظاهرات ووثائق مصاحبة للأجهزة، ويُلزِم المخالفين بأحكام القانون.

والآن يقوم المجلس بعمله حسب النّصوص، بوضع أرضيّات معرفيّة لازدهار العربيّة على مختلف الصُّعد، ويجتهد مع مختلف القطاعات في اقتراح بدائل علميّة نوعيّة لمقام العربيّة ذات الجودة العاليّة، عن طريق التّعامل البيني مع مختلف الشّركاء، أو تقديم مدوّنات مَعرفيّة أو إجراء دورات تكوينيّة لأهل القطاع في حسن استعمال العربيّة وصولًا إلى تحقيق المَنفعة اللغويّة التي تنصّ عليها قواعد اللغة العربيّة.

علمًا بأنّ المَجلس عضو في اتّحاد المَجامع اللغويّة العربيّة والمَجالس العُليا، ويعمل بالشّراكة العلمِيّة مع: الألكسو+ الإسيسكو+ اليونسكو، ويُسهمُ في إنجاز مَشروع القرن وهو (المُعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة) مع ما يُنجزه من آليات وضع المُصطلحات العلميّة العربيّة مع كلّ المُنظّمات ذات الصّلة، ويُدعّم عمليّاتِ تعميم استعمال العربيّة عبر نشاطه ومنشوراته ومَجلاته الثّلاث المُعتمدة في كلّ الشّبكات العالميّة: اللغة العربيّة+ مَعالم للتّرجمة+ العلوم والتّكنولوجيّة، إضافة إلى تعامُلاته الحضاريّة باقتصاد الورق، من خلال الاستناد إلى تسييره باقتصاد المَعرفة التي تضفيها مُعاملاته الآليّة بوضع البرمَجيّات والخوارزمِيّات والتّشجيرات وما له علاقة بالمُختصرات العلميّة التي تتطلّبها مُختلف المنصّات، والتّواصل عن بُعد في إنجاز مُختلف المُجلّدات باعتماد نظام ورقة (Excel) في مُختلف مَشاريعه، وبرمَجيّة (UMEKA) في مَعْلَمَة المخطوطات الجزائريّة، والاستفادة من مُختلف التّطبيقات في اللغات الأوروبيّة.

4. مُرافقة المَجلس للقطاعات وللمُؤسّسات: إنّ المَجلس الأعلى للّغة العربيّة مُؤسّسة غير ربحيّة يعمل على تعميم استعمال العربيّة في مُختلف المَجالات ويُرافق مُختلفَ القطاعات في إنتاج الأفكار دون صُنْع القرار. وقد أمَّد المجلس الأعلى للّغة العربيّة مُختلف القطاعات والوزارات بمُنجزاته اللغويّة والعلميّة **بصفر خطأ**، وهي على مَوقع المجلس www.hcla.dz ويمكن تحميلُ كلِّ مَنتوجِه بالمجّان، وتتوفّر هذه المَصادر في نُسَخٍ شبكية+ ورقيّة+ QR وعلى حوامِل إلكترونيّة.

ويمكن أن نشير إلى منجزات المجلس التي تخدم الوزارات. وهناك نوعان من هذه المنجزات، وفي معظمها من منشورات المجلس، وقليلها بالشّراكة:

1/4. بالشّراكة وهي:

1-قاموس البيئة: المجلس الأعلى+ وزارة البيئة+ المحافظة السّاميّة للأمازيغيّة.

2-القرآن واللغة العربيّة: المجلس الأعلى+ وزارة الشّؤون الدّينيّة والأوقاف.

3-قاموس الصّيد البحريّ وتربيّة المائيّات: المجلس الأعلى+ وزارة الصّيد البحريّ وتربيّة المائيّات.

4-لغة التّجارة: المجلس الأعلى+ وزارة التّجارة وترقيّة الصّادرات.

5-قاموس الصّناعة: المجلس الأعلى+ وزارة الصّناعة.

6-معلمة المخطوطات الجزائريّة+ المجلس الإسلاميّ الأعلى+ وزارة البريد والمواصلات السّلكيّة واللاسلكيّة.

2/4-منجزات دون شراكة، وهي:

1-وزارة التّربيّة الوطنيّة: الألعاب اللغويّة+

2-والتّعليم والتّكوين المِهْنِيَيْن: الاتّفاق على قاعدة ترجمة شاملة للمصطلحات ذات العلاقة بالتّعليم والتّكوين المهنيّين.

3-والتّعليم العاليّ والبحث العلميّ: التّطوّع اللغويّ+ عبد الرّحمن الحاج صالح+

4-والدّاخليّة والجماعات المحليّة: خوارزميّة وثائق الحالة المدنيّة+ الدّليل الوظيفي للمراسلات الإداريّة+

5-والصّحة وإصلاح المستشفيات: لغة المحادثة الطّبيّة+ قاموس الطّب+

6-والاتّصال: حسن استعمال اللغة العربيّة في الإعلام+ العدد+

7-والثّقافة: الموسوعة الجزائريّة (4مجلّدات) + معجم الثّقافة الجزائريّة+ قاموس الأمثال الشّعبيّة+

8-والخارجيّة والجالية الجزائريّة في الخارج:

9-والبريد والمواصلات السّلكيّة واللاسلكيّة: تكوين مستخدمي بريد الجزائر.

10-والنّقل: الدّليل الوظيفيّ للّغة النقل (النّقل المدنيّ) + مشاريع في الآفاق تشمل (النّقل الحضريّ+ النّقل البريّ+ النّقل بالسّكة الحديديّة+ النّقل بسكّة الهواء).

11-والسّياحة: المعجم السّياحيّ+ دليل السّياحة في: الدّيبلوماسية+ الفندقة+ النّقل+ السّياحة. ويمكن إجمال ذلك في هذه التّرسيمة:

الأدلّة الوظيفيّة، القواميس، المعاجم

الأدلّة الوظيفيّة في الإدارة	
01	دليل المصطلحات الإداريّة.
02	دليل وظيفيّ في إدارة الموارد البشريّة.
03	دليل وظيفيّ في التّسيير الماليّ والمحاسبة.
04	دليل وظيفيّ في تسيير الوسائل العامّة.
05	دليل وظيفيّ في المعلوميّات.
06	دليل الكتابة الوظيفيّة باللغة العربيّة للأسلاك الأمنيّة.
07	دليل وظيفيّ في الدّيبلوماسيّة، النّقل، الفندقة والسّياحة.

08	دليل وظيفيّ لسجلاّت الحالة المدنيّة: م ا ل ع+ وزارة الدّاخليّة.
09	دليل وظيفيّ في مجال النّقل: م ا ل ع+ الخطوط الجويّة الجزائريّة.
10	دليل وظيفيّ للوثائق والمراسلات الإداريّة.
الأدلّة الوظيفيّة الأكاديميّة	
11	دليل مدرسيّ في العلوم الفيزيائيّة.
12	دليل مدرسيّ في علوم الطّبيعة والحياة.
13	دليل المُحادثة الطّبيّة: م ا ل ع+ وزارة الصّحة وإصلاح المُستشفيات.
14	دليل المُحادثة الطّبيّة نسخة مُنقّحة ومَزيدة.
15	دليل التّمريض.
16	دليل الألعاب اللغويّة: م ا ل ع+ وزارة التّربيّة.
17	المكمّل في القواعد والبلاغة.
18	دليل وظيفي في حسن استعمال العدد.
19	دليل البيئة: م ا ل ع+ وزارة البيئة+ المحافظة السّاميّة للأمازيغيّة.
الأدلّة الوظيفيّة في الإعلام	
20	حسن استعمال اللغة العربيّة في وسائل الاعلام.
21	مهارات حسن استعمال اللغة العربيّة.
22	مدخل إلى المحادثة بالعربيّة.
23	استعمال اللغة العربيّة في التّلفزيون الجزائريّ.
24	الدّليل النّحويّ للإعلاميّين.
25	مدوّنة الإشهار والمصطلحات: م ا ل ع+ وزارة البريد والمواصلات.
26	القاموس السّياحيّ: م ا ل ع+ وزارة السّياحة.
27	القاموس الفلاحيّ: م ا ل ع+ وزارة الفلاحة.
28	المبرق.
29	قاموس الأمثال الشّعبيّة.
المعاجم الثّقافيّة	

30	معلمة المخطوطات الجزائريّة + و. البريد والمواصلات السّلكيّة واللاّسلكيّة+ المجلس الإسلاميّ الأعلى.
31	معجم ألفاظ الحياة العامّة الجزء 1.
32	معجم ألفاظ الحياة العامّة الجزء 2.
33	المعجم الطّوبونيميّ الجزائريّ ج.1،2،3: م ا ل ع+ المعهد الوطنيّ للخرائط والكشف عن بُعد.
36	معجم الثّقافة الجزائريّة: م ا ل ع+ وزارة الثّقافة والفنّون.
37	الموسوعة الجزائريّة الجزء 1.
38	الموسوعة الجزائريّة الجزء 2.
39	موسوعة اللّهجات الجزائريّة.
40	معجم التّطوّع اللغويّ + و. التّعليم العاليّ+ عبد الرّحمن حاج صالح.
41	الكشّاف التّفصيلي لمقالات المجلّة الأفريقيّة (1856-1962).
	المعاجم الإداريّة
42	معجم مصطلحات الصّيد البحري: م ا ل ع+ وزارة الصّيد البحريّ وتربيّة المائيّات.
43	معجم المصطلحات الصّناعيّة: م ا ل ع+ وزارة الصّناعة.
44	معجم المصطلحات البنكيّة: م ا ل ع+ البنك المركزيّ+بنك البركة الجزائري.
45	معجم المصطلحات العقاريّة.
38	معجم المصطلحات الأمنيّة: م ا ل ع+ الدّرك الوطنيّ.
39	معجم مصطلحات التّجارة: م ا ل ع+ وزارة التّجارة وترقيّة الصّادرات.
40	معجم مصطلحات الغابات والنّباتات: م ا ل ع+ مديريّة الغابات.
41	معجم مصطلحات الأرشفة والتّوثيق.
42	المعجم الشّابكي السّمعيّ البصريّ.
43	البطاقة الوطنيّة للمترجمين الجزائريّين.

مُنَاسَبَةٌ وَكَلِمَةٌ

تعليميّة اللغة العربيّة للنّاطقين بغيرها عند أهلها*

الدّيباجة: يسعد المجلسُ الأعلى أن يكون حاضرًا عن بُعد في هذا المحفل الافتراضي الذي تُنظّمه (أكاديميّة بيت اللسانيّات الدّوليّة) بالجمهوريّة التّركيّة وبمعيّة مخبر الممارسات اللغويّة في الجزائر، بجامعة تيزي-وزّو. ويشكر المجلسُ المنظّمين على هذا الاختيار الذي ينصبّ في اختصاص (اللغات الوظيفيّة+ لغات التّخصّص) والتي تحتاج إلى رعاية علميّة ليكون لها المختصّون والمدوّنات المكتوبة والرّقميّة والمناهج للمستويات الأربعة، وأن يتوسّع مجالها في كلّ البلاد العربيّة ليمسّ مختلف الفئات الأجنبيّة العاملة في البلاد العربيّة؛ حيث يشهد العصر الحاضر انتقال الأفراد عبر البلدان بحكم الدّيبلوماسيّة/ التّجارة/ السّياحة/ الزّيارات الدّينيّة/ قضاء المصالح... وأهميّة هذا الموضوع تكمن في حصره في تعليميّة العربيّة لغير أهلها، وهذا موضوع معروف ومطروح بكثرة، ونال الكثير من الدّراسات. وأمّا خصّيصة هذا الملتقى في تعليميّة العربيّة للآخر (الأجنبيّ) وهو ليس من الفِطريّين، ليتعامل بالعربيّة عند الفِطريّين.

ونرى الموضوع ينشد الوصول بالمتعلّم الأجنبيّ إلى الوصول للرّصيد المعرفيّ العامّ ليكون ناطقًا مثاليًّا مثل أهل تلك اللغة، وهو في محيط عربيّ يعيش الإشباع اللغويّ في مختلف المقامات والأحوال والسّياقات. ومن هنا تأتي أهميّةُ وضرورةُ تعليم العربيّة لغير العرب بعد انتشارها على نطاق واسع، وبعد الطلب والإقبال المتزايد عليها من المفكّرين والمستشرقين من مختلف الدّول، حيث قامت بعض الدّول العربيّة بإنشاء المعاهد والمراكز المختصّة في تعليم اللغة العربية لغير النّاطقين بها على غرار معهد تعليم العربيّة لغير النّاطقين بها في الخرطوم، ومعاهد

* - كلمة رئيس المجلس التي ألقاها عن بُعد، لصالح (أكاديميّة بيت اللسانيّات الدّوليّة) تركيا بتاريخ 21 جوان 2022م.

كثيرة في السّعوديّة والإمارات والأردن وعُمان؛ وبخاصّة مع تزايد سنوي للعمالة الأجنبيّة في دول الخليج.

1. اللغة استعمال: من الأشياء التي درسناها قديمًا أنّ اللغة وَضْعٌ واستعمالٌ فإذا تعارضَ الوضعُ مع الاستعمال، فالاستعمالُ أولى، وهكذا لا يمكننا أن نتحكّم جيدًا في أيّة لغة إلاّ باستعمالها في مختلف مواقعها وسياقاتها وأحوالها، ويستحيل تعلّمُها بسرعة في قاعات الدّرس، بل تتطلّب جهودًا واستعمالًا خارج قاعات الدّروس، ولكن هل يمكن للعربيّة أن تُتعلّم خارج الجدران؟ يصعب ذلك لوجود الشّرخ الكبير بين المشافهة والكتابة، وبين لغة المدرسة والشّارع، ولهذا فأفضل المواقف هي المواقف الصّناعيّة سواء داخل القسم أم خارجه، أم مع الشّريك اللغويّ الثّاني: متحدّث مثالي/ أسرة مثقّفة/ محيط متخصّص... وإنّ الاستعمال الاصطناعيّ الذي يؤدّي إلى العفويّ بعد تنامي المعلومات وكثرة القراءة يؤدّي إلى حسن التّمكّن من اللغة العربيّة ومعرفة أنظمتها وأوجه التّشابه بينها وبين لغة المتعلّم الأجنبيّ، وذلك ما يُسهّل له الكثير من الفهم.

2. أهميّة تعليم العربيّة لغير النّاطقين بها ولغير أهلها: إنّ العربيّة ليست لغةَ قوْم العرب ولا لغةَ المسلمين، وإنّما هي لغةُ الكوْن، لغةُ الإنسانيّة، فهي للنّاس كافة، وشرّف الله العربَ بهذه اللغة التي أنزل بها كَلِمَه، فدعا ضمنيًا إلى تمكينها لكافة البشر؛ لمعرفة دينهم، وما لا يُفهم به الواجب فهو واجب، وجعل التّعارف ضرورة بين مختلف البشر في قوله ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]. ولا يكون التّعارف إلاّ بوسيلة الاتّصال وهي اللغة. واللغة مادة خامٌ تُشكّل دورًا في الحوار وفي التّواصل وقضاء المصالح. وهنا تكون العربيّةُ وسيلةً أساسًا تَعْمَل على تقديم الحضارة الإسلاميّة للآخر تقديمًا موضوعيًّا مقبولًا، من خلال تعليمه خصائص هذه اللغة وأسلوبها الفريد، حيث القرآن الكريم والحديث النّبويّ الشّريف أنموذجًا، ومعينهما الذي لا ينضب، أضف إلى ما يحمله مكنزها من الشّعر والنّثر والأمثال والمسكوكات...

وكلّها تعمل على تبليغ العربيّة الفصحى للآخر، وفي ذات الوقت تقوم على رَدْمِ الهوّة بين ثقافات الشّعوب، فمن شأن تعليم اللغة العربيّة لتلك الشّعوب أن يُتيح لها فرصًا أكبر من التّواصل والتّلاقح الفكريّ، وبخاصّة أنّ العربيّة لها مواصفة خاصّة في لغة التّعبّد، فيكثر عليها الطّلب من كلّ الأجناس.

3. الفطرة اللغويّة: يستدعي الموضوع الحديث عن الفطرة اللغويّة نظرًا أنّ الأجنبيَّ الوافد لبلاد العرب يروم أن يتعلّم في وسط فطريّ، فعليه أن يتعرّف على مواطن دقيقة في العربيّة عند أهلها ليتمثّلها في خطاباته وتواصله؛ وهذه عمليّة ليست سهلةً. ولذا فإنّ تعليم الأجنبيّ يحتاج إلى التّعرّف الدّقيق على إتقان التّراكيب الأساسيّة للّغة الفصحى، وتحقيق المستوى العالي من التّعلّم الذّاتي استماعًا وتحدّثًا وقراءة وكتابة بشكل كامل، وتأصيل حبّ القراءة، وسرعة الكتابة وإتقان فنّون الكلام الذي يحسن السّكوت عليه من خلال قواعد اللغة صرْفًا ونحْوًا.

وإنّ الفطرة التي ينشدها المتعلّمُ الأجنبيُّ تحتاج إلى إتقان أفضل للمهارات الفنيّة والحركيّة، وترسيخ التّفكير باللّغة العربيّة التي هي لغة الكتاب والمعرفة، وجَعْلها هي فضاء المعرفة لدى أمثال هؤلاء المتعلّمين الأجانب، وتبليغها سليمة فصيحة دون عامّياتها، لتحصل الفطرة المطلوبة، وليتخلّص الأجنبيّ من فوضى التّلهيج وكلام العموم غير الثّابت، وهذا ما يساعده على التّفكير الإبداعيّ، ولا يجد عائقًا في الفهم ولا في التّواصل، لدرجة أنّ المجتهد الفذّ يمكن ألاّ تفرّق بينه وبين صاحب الفطرة.

4. تعليم العربيّة لغير النّاطقين بها بين الثّابت والمتغيّر: ما يمكن الإشارة إليه أنّ عمليّات تعليم اللغات عامّة لغير أهلها تَعرِف ما هو من المشترك (الثّابت) وهو السّمة المشتركة من القواعد/ النّصوص التي تصلح لكلّ أجنبيٍّ وما هو من المتغيّر، ويدخل في الخصوصيات، ويُراعى فيها جملة الخصائص من المتغيّرات التي تصلح في بيئة ولا تصلح في بيئة أخرى مثلًا، أو تصلح لجماعة لها أعرافها وثقافتها ودينها ولا تصلح لجماعة أخرى. وهذا ما نحاول التّلميح له في ما يلي:

1/4. الثّابت: هناك ما هو من المتّفق عليه بخصوص الانطلاق من عمليّة تعليم العربيّة لغير النّاطقين بها من تفعيل المهارات اللغويّة: السّماع+ الحوار+ القراءة+ الكتابة. وهي سمة عامّة تتطلّبها كلّ اللغات بما فيها تعليم لغات الأمّ لأهلها. وفي تعليم اللغات الأجنبيّة يراعى فيها المستويات الأربعة عالميًا: A1+ A2+ B1+ B2، مع البرنامج الذي يوضع من قبل هيأة التّدريس وما يُرافقه من وسائل التّطبيق المناسبة: سبورة+ آلات+ حوامل إلكترونيّة+ برمجيّات... وهنا تطرح صعوبة نطق أصوات الإطباق+ العين+ الحاء+ الخاء+ الهاء+ صعوبة التّركيب اللغويّ للجمل العربيّة+ اتّجاه الكتابة من اليمين إلى اليسار+ وجود المترادفات+ تضارب المناهج وتداخل المستويات+ التّعامل الدّائم بنظام التّقابل اللغويّ...

2/4 . المُتغيّر: وهو ما يخضع لمُعطيات وخُصوصيّات الفئات المُستهدفة أو الدّوافع التي تجعل الطّالب يقبل على تعلّم العربيّة وهو غير ناطق بها من مثل: الحاجة لها في الدّراسات الدّينيّة/ التّعرّف على الحضارة العربيّة الإسلاميّة/ الحاجة لهذه اللغة في مجال التّجارة والاقتصاد... كما يدخل في المُتغيّر دوافع المُتعلّم للعربيّة هل يتّخذها لغة أجنبيّة ثانيّة/ لغة أجنبيّة فقط/ لغة تواصل مُؤقّت.

إضافة إلى مُتغيّرات أخرى من مثل: اختلاف تعليم العربيّة باختلاف الموقف منها/ اختلاف تعليم العربيّة باختلاف صلّتها باللغة الأمّ للمتعلّم/ اختلاف تعليم العربيّة باختلاف درجات التّحصيل القاعديّ/ عامل السّن/ خصوصيّات المنهاج تعليم العربيّة للنّاطقين بغيرها عند أهلها... ويدخل في هذا المُتغيّر انتقاء المعلّم؛ حيث تشمل العمليّة التّعليميّة: المُعلّم والمُتعلّم والمِنهاج.

وأهمّ ركيزة فيها هو **المُعلّم**، ويحتاج إلى سلاح في المَهارات اللغويّة والمِهنيّة والتّربويّة والتّواصليّة والتّقنيّة، وإدارة المُتعلّمين في حوارات متنوّعة، وطرح أسئلة، وبناء الاختبارات وجذب الاهتمام، فضلًا عن أدائه اللغويّ الثّابت والمُتغيّر. والمعلّم النّاجح من كان على اطلاع بعلم اللغة التّطبيقيّ؛ حيث يتيح التّحليل التّقابليّ، وتحليل الأخطاء، وأسس تعليم اللغات، وتصميم الاختبارات.

ويمكن للمُعلّم النّاجح أن يُحقّق جملة الإيجابيات: حسن التّديّن+ تحبيب العربيّة+ الرّد العلمي على مواطن الطّعن فيها+ إثبات قوّتها وعلميتها وعالميتها+ الدّعوة إلى الإبداع فيها. وإنّ أهمّ ما ينشده المتعلّم الأجنبيّ للّغة العربيّة هو ما يدخل في الثّابت في تعلّم أيّة لغة هو الهدف اللغويّ والثّقافي والاتّصالي؛ حيث قراءة العربيّة جيدًا والوصول إلى المستوى العالي لفهم بلاغتها وثقافتها، وقراءة مكتوبها، ومعرفة التّحدّث بها والقدرة على التّخصّص في فقهها، والتّحدّث بها مع الأصدقاء، والتّواصل بها عبر مختلف وسائل التّواصل أداءً وكتابة. وهناك من يطلب أكثر من هذا ويدخل في باب الخاصّ من مثل فهم الدّين الإسلامي جيّدًا، أو حفظ ما تيسّر منه، والإلمام بتفسير القرآن الكريم، وفهم الحديث الشّريف وسيرة الرّسول، وفهم التّاريخ الإسلاميّ.

5. **التّعرّف على العيّنة:** عندما يتمّ تسجيل المُتعلّمين، من الضّروري التّعرف على العيّنة/ المجموعة المتعلّمة من أجل تسطير برنامج يلبّي –قدر الإمكان-أغلب المتعلّمين، وتسطير جملة أهداف التّعلم من حيث العمل على تمكين المدرّسين تحقيق الممارسة اللغويّة ممارسة أهلها الفِطريّين، وهذا في ضوء المهارات اللغويّة الأربع؛ بتنميّة قدرة المتعلّم على فهم اللغة العربيّة عندما يستمع إليها، والنّطق الصّحيح، وقراءة الكتابات العربيّة بدقّة وفهم، والكتابة بطلاقة. والنّقطة المهمّة في هذا هو ترقيّة مهارة الاستماع وما يرتبط بها من تنغيم ورفع الصّوت، والعمل على تمرين الحبال الصّوتيّة على النّطق السّليم لكلّ حرف في لغة الحياة اليوميّة الفصيحة في سياقات متنوّعة. وهذا ما يُحقّق مهارة الكلام بأداء تعابير وصيغ نحويّة مناسبة، والتّحدّث بشكل متّصل، باستخدام عبارات التّواصل بسلامة في ضوء الثّقافة العربيّة.

وفي كلّ ذلك يعمل المُعلّم النّاجح على إعداد المُتعلّمين على تحقيق مهارة القراءة؛ بدءًا من قراءة النّص من اليمين إلى اليسار وربط الرّموز الصّوتيّة بسهولة، والتزام علامات الوقف، وإدراك تحليل المكتوب إلى أفكار وفروع، وضرورة الوصول إلى القراءة السّريعة. وهذا بدوره يقود إلى حسن توجيه مهارة الكتابة،

بالتّعرّف على طريقة كتابة الحروف في أشكالها ومواضعها المختلفة، وتعوّد الكتابة من اليمين إلى اليسار بسهولة، ومُراعاة علامات التّرقيم، وما يتبع ذلك من استيفاء العناصر الأساس عند كتابة أيّ نصّ وصولًا إلى سرعة الكتابة.

6. اللغة الوظيفيّة: إنّ أهمّ هدف ينشده المتعلّم للّغة الأجنبيّة في غير بلاده هو تمكّنه اللغويّ في حدّه الأدنى للّغة الأجنبيّة في صورتها الوظيفيّة التي يقضي بها مصالحه المرسلة في العمل أو في الشّارع بيسر وسهولة، وهذا يحتاج إلى مقاربات تعليميّة تواصليّة ومَنهج الإغماس حسب ما تدعو إليه المُقاربات التّواصليّة؛ ويعني هذا العمل على وضع المُتعلّم في مُحيط لغويّ تعليميّ اصطناعيّ يماثل المُحيط اللغويّ الطّبيعيّ للّغة المُتعلّمة، ولذا يحتاج إلى المُقرّر اللغويّ الذي يركز على استخدام اللغة وَفْقَ المواقف بهدف إكساب الطّلاقة في الأداء اللغويّ للمتعلِّمين بصورة متدرّجة على شكل مستويات، مع تحديد أهداف ومهارات يستلزم إكسابها للمتعلّمين في كلّ المُستويات الأربعة.

وهذا لا يكون إلاّ عبر مقرّر عامّ لتعليم اللغة العربيّة الذي يستهدف تزويد المتعلِّمين بالمعرفة الأوسع الواعيّة والمُدرّبة لهم في المَوضوعات المُتَّصلة بتعلُّم ثقافة اللغة العربيّة وتعليمها، والعلاقة بينها وبين أنشطتها، وبينها وبين اللغات والثّقافات الأخرى. ويتبعه المُقرّر الثّقافيّ الذي يجعل المتعلّمَ الأجنبيَّ يعي الثّقافةَ العربيّةَ والتّمتّعَ بإجادتها، إلى جانب الإجادة اللغويّة، وهي ضرورة قصوى. وأخيرًا هناك المُقرّر الاتّصالي الذي يوفّر مَواقف طبيعيّة/ سياقات تخصّ التّواصل الجيّد مع الغير في حدّه الأدني على غرار ما ينشده مُوظّفُو الطّيران+ مُوظّفُو البنوك+ مُوظّفُو الفنادق والمطاعم+ مُضيفُو الطّائرات+ الأدلاءُ السّياحيون+ العَمالةُ الأجنبيّة البسيطة+ السّائحُ+ بائعُو المتاجر... وهذا من الثّابت كذلك.

7. وسائل التّعليم: هناك ما هو من المتغيّر وهو وسائل التّعليم، فالمعطى الحضاريّ يستوجب على مُعلّميّ العربيّة لأهلها ولغير أهلها التّعامل مع: التّسجيلات الصّوتيّة+ الوسائل التّقليديّة+ الكتاب+ الحاسوب+ المواقع الإلكترونيّة+ النّشرات الخاصّة+ كتيّبات الجيب+ مختلف المَطْوِيات+ الدّورات القصيرة+ الفصول

الطّبيعيّة والافتراضيّة+ المواقف الطّبيعيّة في الحياة... وهذا لا يكفي، ويستوجب حوامل أخرى جديدة من أجل تفضيل العربيّة على اللغة الأمّ والدّفع بها للقبول والتّحبيب ونشدان ثقافتها التي تستوجب استعمال مختلف وسائل التّلقين الحديث، وهذا من أجل تشرّبها جيّدًا، والإلمام بالمستوى الأدنى في اللهجات التي تظهر في الشّارع، ومعرفة بعض تجلّياتها لوثوق صلتها بالفصحى ولها بعض المزايا في تعلّم العربيّة في المدرسة، وهذا ما يمكن أن يدركه المُعلّم المتخصّص الذي يعي هذه المسائل ويتفاعل مع المُتغيّرات بسهولة. وما يجب تأكيده في هذه المسألة هو تأكيد السّماع العفويّ والتّواصل الشّفاهيّ، ثمّ القراءة والكتابة، ولا يمكن تحقيقها إلاّ **بالغطس اللغويّ الصّناعيّ للمتعلّم**، وهو وسيلة مُثلى لتعلّم العربيّة في مَقامات مُتنوّعة؛ باستحداث لغة التّواصل الصّناعيّة. وهنا يأتي دور المُعلّم النّاجح الذي يعمل على إيجاد سياقات كلاميّة في مَواقف تواصليّة غطسية تُمكنّ المُتعلّمَ استعمالَ العربيّةِ بصورة عفويّة. وهنا أؤكّد على ضرورةَ التّغطيس الكامل للمُتعلّم في مُحيط ناطقٍ بالعربيّة مدّة طويلة ما أمكن/ الحمام اللسانيّ العربيّ من خلال دروس تُنجز في ساعات محدودة في القاعة، مع الاستخدام المُكثّف المُتدرّج في النّحو الصّريح وفق دوائر النّحو العالميّ التّقابلي أحيانًا في بعض الأبواب، ثمّ ربط الكفايات الثّلاث ربطًا مُتوازنًا: المُشافهة+ القِراءة+ الكِتابة.

وفي الأخير، يسعى المجلسُ الأعلى للّغة العربيّة في الجزائر إلى إقامة شراكات علميّة مع مُختلف الشّركاء الاجتماعيّين سواء في تركيا أم في غيرها من بلاد العالم؛ للإشراف على فئات طلابيّة تسعى إلى تعلّم العربيّة وتشرّب ثقافتها من خلال مثل هذه النّدوات الافتراضيّة/ اللقاءات الوجاهيّة؛ بغرض الانتفاع بقاعدة رابح رابح، على أن يكون ذلك قاعدة للمجلس الأعلى في تقديم مَنهج تعليميّ تعلّميّ لغير النّاطقين بالعربيّة في مُحيط عربيّ، وتكون قاعدة ينافح من أجلها لتعميم استعمالها، ويمكن أن تُفيد المؤسّسات العربيّة التي أُوجدت لهذا الغرض بغيّة تمكين الجيوش الكبيرة التي تروم التّعرّف على اللغة العربيّة بما لها من ماضٍ مُغدق، وحاضر مُقلق، ومُستقبل مُشرق.

مُناسَبَةٌ وكَلِمَةٌ

كلمـة للطّلبـة الأحــرار*

الدّيباجة: تغمرني السّعادة وأنا بينكم أستاذٌ وطالبُ علمٍ، وجئتكم لحضور ملتقاكم هذا بمناسبة خالدة على كلّ الجزائريّين. ستون سنة مرّت على استعادة السّيادة الوطنيّة، فأنْعِمْ بها من سيادة! سيادة حقيقيّة أتت أُكُلَها في إنجازات عَظَمَة هذا البلد الذي يعرف خطوات جديدة في إعادة الاعتبار للذّاكرة الوطنيّة والحفاظ على أمانة الشّهداء، والعمل على ترسيخها في المنظومة التّربويّة، والعمل على الوعي الوطنيّ من مكتسبات ثورة التّحرير، وعودة الوعي في أن نكون كما كان السّلف كائنين، نكون **بالجزائر الجديدة** التي تعرف لملمةَ مشاعر الجزائر، ولمّ الصّفوف، وجمْع المُتفرّق في القاسم المُشترك: الجزائر+ اللغة العربيّة+ الدّين الإسلاميّ. ثلاثيّ جامع يُعيد لنا مَجدَنا التّليد الذي تركه شهداؤنا الأموات رمسًا وشهداؤنا الأحياء فعلًا، والذين تناسلوا في هذا الحضور أنتم. ستون سنة من الإنجازات، ونُحيي عيد الشّباب، وأنتم كلّكم شباب، والشّباب زَنْدُ الأمّة وسدنتُها فهم الحاضر والمستقبل، وهم بُناة الوطن. شباب طافح طامح يحضر في هذه القاعة مُستعدّ لمَعركة البناء والتّشييد، والانطلاق في مرحلة تجديد الصّرح الوطنيّ **بتاريخ مجيد وعهد جديد**. شباب وطلاّب المنظمّة الوطنيّة للطّلبة الأحرار في ملتقاهم الوطنيّ، وينالني الشّرف أن أكون معكم، ومع كلّ الطّلاب الذين نهدي لهم أمانة البحث في ضرورة البحث والتّقصي والتّحرّز والتّحرّج، فها هم وهاكم كنتم كما أردنا، فَنِعْمَ الطّلابُ أنتم! طلاب شباب أنعمَ الله عليهم شهادةَ الاحتفال بالاستقلال السّتيني وعيدهم السّنوي؛ عيد الفكر، ورفع المضايقات، وتذليل

---

* - الكلمة التي أُلقيت في الملتقى الوطنيّ للمنظّمة الوطنيّة للأحرار بتاريخ 14 جويليّة 2022م في المدرسة العُليا للفندقة بعين البنيان، الجزائر العاصمة.

التّحدّيات. هي أعياد الجزائر التي تشمخ بكم، وتكبر عندما يقول الخلف: **سنكونُ خيرَ خلفٍ لخيرِ سلفٍ.**

من هنا المنطلق: أيّها الطّلبة، ما أصغرَ الكلمات، وما أضيقَ العبارات؛ حين تتّسع الرّؤى، وتعلو المقامات، وترتفع عاليًا للعلم والبحث أمام طلاّب الهامات والصّولات والجولات، وأجدني تتعطّل لغتي في ما أقول. وفي هذا الملتقى الذي نروم أن نقول ونربط القول بالفعل، ونقول: نحبّ الجزائر لأنّنا أبناء الحياة ونريد أن نَحيا بآمالنا الكبيرة، وبمشاريعنا التي نحملها.

نريد أن نكون وننتصر بما لنا من أفكار من غير سوء؛ أفكار طلاب لا يغادرون الثّلاثين من العمر؛ أفكار طلاّب ليسوا وحدهم، بل مجموعات وطنيّة تحمل فكر النّهوض بالجزائر إلى ما هو أفضل؛ أفكار تقول: تعالِ نُبادر، وعلينا أن نبدأ، وعلينا أن نمشيَ ونقطعَ خطواتِ الوصول للهدف؛ أفكار تَقَمُّص الأشياء دون استسلام للصّعوبات، بل هي مَدعاة لرفع المُضايقات.

أيّها الطّلبة، كان علي إلقاء هذه الكلمة وأنا متحمّس لحضور ملتقاكم، وأزعم أنّها ليست من خطابات الوعظ، وأرى فيها خطاب الوعي، فنحن في حاجة إلى رجل رشيد فعّال، وهو موجود يُدير دفّةَ البلاد، ويمدّ لكم يده في لم الشّمل الوطنيّ الذي يعمل على استعادة الثّقة الغائبة، وتعزيز الوَحدة الوطنيّة، وتمتين اللحمة الاجتماعيّة، وكان علينا أن نُراود أنفسنا في تقديم المطلوب لمن يحمي الجزائر ننشد من يقول في تعهّداته الأربعة والخمسين (54) "نحن لها قادرون" "وانهضي يا جزائر نحن في طريق البناء، وتشييد المصانع، وبناء الجامعات وفي ذات الوقت لا مفرّ من المراجعات، لكن لا التّراجعات".

ونكون في مستوى نقدَ الواقع بالواقع مع اقتراح الحلول، ولَسْنا من دُعاة ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ المائدة (24). نشدّ على عضُد من أنجز يومًا للذّاكرة، وتخصيص قناتيّ المعرفة والثّامنة لمجال المواطنة، واستعادة جماجم الشّهداء، واستكمال بناء المؤسّسات وكان آخرها تنصيب المجلس الأعلى للشّباب، وتحقيق المنجزات الحُلْم التي تحقّقت في ظرف عامَيْن، وما سوف يكون

من اجتماع جامعة الدّول العربيّة في أيام خالدة 1 و 2 نوفمبر 2022م لهذا البلد الذي يُعدّ نموذجًا في التّحرّر...

وأراكم أيّها الطّلاب من أصحاب الفِطنة والذّكاء، ومن الذين يُسقطون القناع للوصول إلى لبّ المشاكل، وعهدي في طلاب المنظمّة الوطنيّة للطّلبة الأحرار أنّهم أحرار في أن يكونوا بالمُنجزات لا بالخيال والأوهام. طلاب يكونون مع الآخرين في حاضرة الحاضر؛ وهي تعرف الطّريق الصّحيح، وليست عَصِيّةً عليهم، فهم من سلالة المُشْبَعين بخصوبة الشّهداء الذين لا يموتون.

ولهذا أقول لكم: كونوا أقمارًا لعهدِهم، وواصِلوا جهادَهم الأصغر بجهادِكم الأكبر. وعليكم أن تحلُموا وتنشُدوا المثال، ولا يكون ذلك إلاّ بالعمل والاقتدار، وتسطير الهدف في عدم الإدبار والبلاد على أُهبة الرّخاء، فلا تتركوها وترحلوا، وعليكم دفعَ ضريبةِ تقسيم الرّغيف القديم لنيل الرّخاء العميم، فهل لا تستطيعون؟ بلى؛ تستطيعون بجدارة؛ فأنتم الشّهيد في مَعناه المُعاصر، والشّهيد يحاصرُنا، وسوف يعود ليحاسبَنا، فماذا نقول له في تلك الأمانة التي استودعها فينا، ومن الضّروري إخواني ألاّ نجامل، بل نكون في مستوى الجزائر أولًا، والجزائر ثانيًا، والجزائر أبدًا.

نحن لا نطلب منكم الصّدارة، فأنتم بمشاريعكم وأفكاركم لَكُمُ الصّدارة، ولكن نريد منكم التّميّزَ، ولا يكون إلاّ بإنتاج الأفكار؛ وأنتم لها، وسوف تكونون من صانعي القرار، وأنشدوا الأمل المقرون بالعمل، فلا بدّ أن تكونوا أيقونات هذا البلد إذا ما كنتم صورة الجزائر المُثيرة للعجب.

إنّ الجزائـرَ في أحوالهـا عَجَـــبُ ❁ ولا يـــدومُ بهـــا للنّـــاسِ مَكْـــروهُ
ما حلَّ عُسْـرٌ بها أو ضاقَ مُتّسـعٌ ❁ إلّا ويُسْـــرُ الـــرّحْمَنِ يتلـــــوهُ

أيّها الطّالب، أيّتها الطّالبة، عليكَ أن تصنعَ مُستقبلَك بصناعة حاضرِك والشّهداءُ يحاسبونك، فكنْ مثلَ الشّهيدِ طَلْقَ المُحيّا على رأي (محمود درويش) كنْ

وفيًّا مُضيفًا، واخترق ثمّ اخترِقْ من أجل إضاءة الآخرين؛ فإذا لم تكن كذلك لستَ من الخلف الصّالح، فلا تنكسر بل انتصر.

إنّها الجزائرُ بلادُنا، وهي بلادُنا ونريد أن نكون بلادَها، نُريدها جنّةَ اللهِ في أرضه، أفتتعبون في خدمتها؟ فأنتم من الحاضر الذي لا يتْعب، ولكن كلّما أمعنتم النّظر في الماضي، أحسنتم النّظر إلى المستقبل، ولهذا لا ترحَلوا ولا تترجَلوا، وكونوا الماضي المُمتدّ، والحاضر المُتجدّد، والمستقبل غير المُتردّد. ونعلم أنّكم جئتم من الحاضر غيرِ المُتعب فَعَلامَ تتأسّفون، كونوا الصّقور التي تبني القصور، وآنَ لكم أن تُرمّموا الذّاكرة فأنتم لستم من المارين، أنتم الماضي في نماذجكم، وأنتم الحاضر في أفكاركم وأنتم المستقبل في أعمالكم، ولكم الدّنيا والآخرة، كونوا كالغيث أينما نزل نفع شفع دفع، وحيثما زُرِعتم أثمرتم، وفي كلّ مرّة كنتم. وبذا سوف يُعَلِّق الجيلُ القادمُ لكم نياشين الصّدارة والتّميز، فكونوا وإلاّ لا تكونوا.

أيّها الطّلاّب الأماجد، كونوا جيلَ التّحدّي، جيلَ البناء والتّصدّي، كونوا الأملَ وازرعوا العملَ، وعلى العهد تبقون، وللشّهداء تُمجّدون، ولولاهم ما كنّا وما كنتم. إذًا أنْ تكونوا أو لا تكونوا يا طلاب الجزائر كما قالها (ابن باديس) وابنُ باديس وصحبُه مرّوا من هنا، وتركوا الأثر، فهلاّ يمكن أن يُقال عنكم: كانوا شبابًا بعظمة شباب 19 مايو 1956 الذين رمَوْا المحافظَ وقالوا: الجزائر أولًا، وكان ذلك المثال والنّموذج للفداء. وأختم لأقول: السّلام على الطّلاب الشّباب الحاضرين؛ وهم من الأوفياء الصّالحين، وأنتم من المُخْلِصين، فبخٍ بخٍّ عليكم، وبوركتم في ملتقاكم هذا، ونتمنّى له النّجاح مهادا، وزيدونا تألّقًا زِيدونا. والسّلام عليكم يا طلاّب الحاضر والمستقبل جماعةً وفُرادى.

مُناسَبَةٌ وكَلِمَةٌ

كيف نُنتَــج الأفكــارُ؟*

الدّيباجة: سعيد أن أكون مع هذه النّخبة العالمَة من الشّباب الطّافح الطّامِح ومَع من يُنتج الأفكار ولا يصنع الإدبار، وينقل المَجهول إلى المَعلوم، ويُبسّط العلومَ في مُقاولات وشركات وأَسْهُم ومُمارسات عينيّة تضمَن حقّ الامْتياز وتصون المِلكيّةَ الفكريّة باحترازَ، وتعمل على التّطوير في جماعات تخدم ذات المَوضوع من أوجه بإحراز؛ سعيًا إلى التّصدّر والامتياز. وأزداد سعادة عندما أستكنه شعار هذه المنظّمة الطّلابيّة في ثلاثي مُتراكب: **علم+ نضال+ حريّة**؛ هي شعارات الانفتاح على العلوم، ولا يكون العلم إلاّ بشقّ الأنفس وبذل مزيد من النّضال، ولا يحصل كلّ ذلك إلاّ من خلالكم أيّها الألمعيين العبقريين النُهلوليّين الزّوليّين، وهي صفات النّجاح التي نريدها أن تكون بكم، ولا يأتي هذا كذلك إلاّ في إطار حريّة الفكر والإبداع وملاحقة الحركة المتغيّرة ضمن وسائلنا المعاصرة في التّواصل الرّقميّ.

وإذْ أُبارك لكم جامعتكم الصّفيّة، ونريدها أن تجمع بين العلم والاستجمام والرّفاهيّة والاهتمام بالذّاكرة، ووعي ما يجب التّفكير فيه بخصوص صناعة الأفكار، أبارك لكم تنصيب **المجلس الأعلى للشّباب** من السّيد رئيس الجمهورية (عبد المجيد تبّون) راعي (**الجزائر الجديدة**) الذي أضفى شرعيّة حمْلِ المشعل ويعني هذا الجمع بين منتجي الأفكار وصانعي القرار، فأنْعِمْ به من تنصيب!

أيّتها الطّالبات أيّها الطّلبة، لا نريد من جامعتكم الصّيفيّة أن تُصاب بالهَذْدر؛ بقدر ما يقع فيها استغلال كلّ الفرص لتسيروا إلى الأمام تعارفًا وتبادلًا وتكاملًا وإضافةً بالتّحكّم في الوقت، ولا وقت للوقت. وأنا لكم شاكر على الدّعوة لإلقاء

---

* - أُعدّتِ الكلمةُ لتُلقى في الجامعة الصّيفيّة بجامعة أمحمّد بوگرة، بومرداس، بتاريخ 6 أوت 2022، أمام المنظّمة الطّلابيّة الجزائريّة الحرّة.

كلمتي تقرب إلى العنوان المختار لجامعتكم (الجامعة... رهان التّنميّة الشّاملة) وأعمل على تقديم القواسم المشتركة بين الجامعة كرهانٍ مَعْرفيٍّ، وكيف تَصنع هذه الجامعة الأفكار التي تعمل على التّغيير واللحاق.

1-الجامعة رهان المعرفة: أعلم أنّكم تعلمُون بأنّ الجامِعة تلعب دورًا مُهمًّا في العمليّة التّنمويّة، والجامِعة قاطرةُ التّنميّة المُستديمة والشّاملة؛ كونها الحقلَ الأساسَ في إنتاج الرّأسمال البشريّ المَعرفيّ للمجتمعات، وهي البنية في أيّ نسق مُجتمعيّ كان، نظرًا للدّور المَنُوط بها كفاعل يُنتج شروط التّحوّل والتّغيير المَعرفيّ والسّلوكيّ والقيميّ والماديّ والمجتمعيّ بصفة عامّة.

وعندما أقول الجامِعة يعني منتظر منها خلق أقطاب الامتياز في مختلف التّخصّصات، كونها خزّانًا لتوليد النّخب، وأنتم النّخبة فهل قدّمتم لصاحب القرار ما هو منشود في مجتمع المعرفة بما لكم من صناعة أفكار الغدّ، وبما تحمِلون من رُؤى مستقبليّة لتفعيل دور التّعليم في عمليّات التّنمية الشّاملة. فأنتم الرّأسمال البشريّ، والعنصر الجوهر في تنميّة مُجتمعكم. أنتم أسّ المال البشريّ كعنصر جوهريّ وفعّال في تحقيق التّنمية الشّاملة والمستديمة، وفي تنميّة المجتمع، ومن هنا تمْلكون الوسائل النّاجحة للتّغيير نحو نُشدان رأسمال مُرتبط بحاجات هذا المجتمع الذي أنشأكم، وتكونون أعضاءَ فاعلين نُخبويّين تُسهمون في ثورة البناء المؤدّية إلى رفع القيمة المضافة للبلد؛ بما تقترحون لصاحب القرار في أنّ رأسمال المال للبلد شبابُها، وشبابُها الآن كما في الماضي ليسوا مُكْتَهِلين في شبابهم، ويدركون أنّه لا يمكن لهم التّحكّم في مَسارات التّغيير الإيجابيّ إلاّ بوسيلة التّعليم، وما يحمله التّعليم من القيَم العلميّة والمَعرفيّة والدّينيّة والأخلاقيّة التي تعمل على أخلقة المُجتمع بصورة رأيي مع الجَماعة، والجَماعة لا تتّفق على ضلال، والجماعة هي تكاتف الأيدي على الصّناعة، وأنّ الفكر هو الإبداع، والمفتاح هي المنافسة. وكلّ هذا يتطلّب تطوير المَعرفة والبحث والتّجديد والتّدريس والتّدريب والتّربيّة المُستمرّة؛ تربيّة قيادة الفكر والسّياسة ورؤساء الشّركات القادرين على إثراء الثّقافة، وتطوير رؤية المجتمع نحو الإنسان والكوْن والحياة.

وفي كلّ هذا نَرُوم تعليمًا ذا جودةٍ وجامعات معياريّة، وخِدْمات راقيّة، ولا نريد استنساخ النّمط الغربيّ الذي أدّى إلى تدنّي مستوى الكفاءة والأداء في بلدنا نتيجة التّقليد، ولماذا لم يحصل هذا في ماليزيا وسنغافورة وإندونيسيا وكورية الجنوبيّة والڤيتنام... كما لا نسعى إلى لبوس نظريات ومَنهجيات غربيّة جاهزة دون العمل على تكييفها بما يتناسب وخصائصَنا ومَرجعيّاتِنا ولغاتِنا في إطار تكوين فكريّ فلسفيّ تنظيريّ تطبيقيّ يستوعب واقعنا العربيّ وخصائصه وآماله.

أيّها المُبدعون، لا نركض وحدنا، فقد علّمَتنا التّجربة والعصف الذّهني أنّ الباحث ينال، وأنّ العبقريّة ليست حَكِرًا على (فان جوخ) أو (بيتهوفن) أو (طه حسين) أو (ماري كوري) أو (دافنشي) أو (إينشتاين) بل هناك عند الكثير من الأفراد ومضات العبقريّة النّائمة؛ وتحتاج إلى من يوقظها فقط، يعني تحتاج إلى ماكينة توليد الأفكار، فتحصُل العبقرياتُ في كلّ جيل، وهناك استثناءاتٌ قادمةٌ وسيحصُل ما لم يكن في الحُسْبان. ولهذا كلّ شخص يمكنه خلق أشياءَ عظيمةٍ من داخل نفسه، فضلًا عن حقيقةِ أنّ الأشياء العظيمة عادةً ما تستغرق وقتًا.

لذلك توجد حاجة ملحّة إلى وجود نظامِ إنتاجِ أفكارٍ بأسلوب مُوجَّه، والنّبأ السارُّ هو أنَّ من السّهل نسبيًّا أنْ تُنتج أفكارًا بشكل منهجيّ؛ وعندما تستمرّ في التّفكير أو تشتدّ الأزمة التي تؤدّي إلى انفراج، وتوجد مَنهجيّة أو مَنهجيات تَضْمَن لك تطويرَ فكرةٍ جيّدة قابلة للتّنفيذ في الوقت المَطلوب. ويحتاج الأمْر إلى تنظيمُ عمليّة توليد الأفكار منهجيًّا، وهو أمْرٌ فعَّال، وربط ذلك بالإنتاج الصّناعيّ للأفكار، وتوليدها، وتكثيفها، واختيارها، وتحرّي الشّفافية في عمليّة اتّخاذ القرار.

وهنا نرى ضرورة الإنتاج الصّناعي للأفكار، ومن رَحْمِ الذّهن البشري طوّرت أدواتٌ وتقنياتٌ على مرّ السّنين. فكونوا حامِلي قُبّعات الإضافة لفِعْل جديد؛ لأنّ الأفكار هي حَجَر الأساس في كلّ جوانب حياتنا، نحن ننجح بفكرة، ونتفوّق عن غيرنا بفكرة، ونُواجه صُعوبات الحياة بفكرة، حتى تلك الاختراعات التي غيّرت حياتنا ما هي إلاّ نتاج أفكارنا.

أيّها الجمع الكريم، أجدُني أمام الرّأسمال البشريّ القادر على رَفْعِ المُستحيل وتحقيق التّنافس بالقوّة النّاعمة لتحقيق أهداف التّنميّة الشّاملة والمستديمة؛ التي يرتكز عليها التّعليم الجامعيّ، وأنتم أهلٌ لها بما لكم من إنتاج الأفكار التي تعمل على تعزيز كسب رهان تطبيق الجودة، ومُتطلّبات التّنميّة في مختلف أبعادها. فلا نريدكم أن تقولوا: سوف ننظر+ نُحاول+ سيكون بعد شهر+ نُجرّب+ هذا مستحيل+ الأمر يحتاج إلى وقت طويل...

هي مُثبطات الهِمَم، في الوقت الذي نحتاج من يقول: أغيّر+ أعمل في الحال+ لا مُستحيل في الحياة+ الأمرُ بسيطٌ+ أحقّقه حالًا... هي أفكار التّغيير التي نروم أن تكون بِرَفْع التّحدّي وكلّ المضايقات، فأنْ نوقدَ شمعةً أفضل من أن نلعنَ الظّلامَ، وأن نجمعَ العثرات والأحجار المعيقات لنبني بها سلّما في الأعالي، ونطلّ على الآخرين. إنّ الرّهانَ المطلوب تحمّلُه ورفعُه أيّها الجامعيّون ويا أصحاب المِهَن، ورجال المقاولاتيّة هو السّير ضمن النّمط العالميّ، وفي أرضيات المعرفة المُتكاملة بما يحفظ الخُصوصيّات.

كلّكم تلعبون دور المُخرج المُنفّذ والمُنقذ، في رفع واقع جودة التّعليم المُؤدّي إلى صفر سقوط العمارات+ صفر عدم نجاح العمليات الجراحيّة+ صفر انهيار القيَم+ صفر أمّيّة+ صفر سجن صغار السّن+ صفر مراقبة الأفعال الخاصّة+ صفر شرطة الرّدع... فهل يمكن العمل على رفع هذه المُضايقات التي تحول بيننا وقيَم المجتمع الذي يتحلّى بقيَم المسؤوليّة في الدّفع ببلده ليكون فاعلًا وعضوًا بوازع أخلاقيّ دون رقيب، وذلك ما يُسهم في التّنميّة الشّاملة المُستديمة في كلّ أبعادها.

أيّتها النّخبة العُضوة؛ وبما أنّنا في عصر العولمة وتدفّق المعلومات وتسارعها فإنّنا نحتاج الى تعليم عالٍ من نوع خاصّ؛ يُخرجنا إلى الاستقلال اللغويّ، ويجعلنا نسير مع العالم، ولا نكون نكرة بين الشّعوب. وهذا لا يتحقّق إلاّ بالتّوعيّة الجماهيريّة الصّادقة المؤمنة بجودة التّعليم المرتبطة بإنتاج الأفكار، وصناعة التّميّز، والإقدار على تلقّي المعلومات وحسن استخدامها في التّفكير والتّعبير والاتّصال والإنتاج وبناء علاقات، وتعليم ينقل الأمّة من الصّناعات التّقليديّة الى

صناعات جديدة متطوّرة، ومن العمالة العضليّة الى العَمالة العقليّة، ومن التّخصّص الضّيق الى المرونة والمعرفة الشّاملة، ومن المركزيّة الى اللامركزيّة ومن التّنظيم الصّراميّ الى التّنظيم الشّبكيّ، ومن القوّة الصّلدة إلى القوّة النّاعمة. فأنتم لها بما لكم من أفكار صناعة الحاضر والمستقبل، فأنتم الحاضر والمستقبل فلكم الدّنيا والآخرة، وكان عليكم أن تكونوا وإلاّ لا تكونوا.

2-كيف تُنتِج الأفكار وتَصنَع التّميّز؟ يكون عبر تكوين الرّأسمال البشريّ وتنميته، والبحث عن المعارف الجديدة في مجال تخصّصك، وتطوير الاتّجاهات الفكريّة والاجتماعيّة، ونشر المعرفة والثّقافة بين أبناء أترابك، وممّن تُشركهم أمرَ مقاولتك. ومن خلال ذلك ستتولّد لديك مهارةُ توليد الأفكار؛ والأفكار حلقات مُتشابكة مِثل السّلسلة، والفكرة تجرّ الفكرة وراءها. وهكذا دواليك وستنمو فيك مَوْهبةٌ خالصةٌ عن طريق المُمارسة واكتساب الخبرات، وما يصحبها من اطلاع وثراء مَعرفيّ ووجْدانيّ وتحصيل تعليميّ.

إنّ إنتاج الأفكار وتوليدها تأتي راكعة بل تأتي في طائفة كبيرة من الأفكار الأخرى عديمة الفائدة، حيث من كلّ مئة فكرة لا قيمة لها تأتي فكرة واحدة جيّدة، وهي الحلّ. وأمّا مسألة توليد الأفكار؛ فإنّها تحتاج إلى اطلاع وتعلّم دائم. وكان عليكم أيّها الطّلبة المُبدعون والمقاولاتيّون أن تعملوا على إنتاج الأفكار بشكل مُتواصل كما لو كنتَ **القبّعاتِ الستِّ حسب (إدوارد ديبونو/ EDWARD DEBOUNEAU)**: أن تلبسوا قبّعات التّفكير الستّ؛ وهي من أهمّ أساليب وطرائق تنمية الإبداع في تحسين التّفكير الإبداعيّ، وتساعد قبعات التّفكير الستّ على منح عمليّة التّفكير قدرها من الوقت والجَهد والجُهد، وهذه القبّعات هي: **القبّعة البيضاء**: أنت موضوعيّ؛ وترمز إلى التّفكير الحياديّ؛ وهذا التّفكير قائم على أساس التّساؤل من أجل الحصول على حقائق أو أرقام. **القبّعة الحمراء**: أنت عاطفيّ؛ وترمز إلى التّفكير العاطفيّ القائم على ما يكمن في العمق من عواطف ومشاعر. **القبّعة السّوداء**: أنت سلبيّ؛ وترمز إلى التّفكير السّلبيّ على أنّ أساس هذا التّفكير يقوم على المنطق والنّقد والتّشاؤم. **القبّعة الصّفراء**: أنت إيجابيّ؛ وترمز إلى التّفكير

الإيجابيّ، وهذا التّفكير معاكس تمامًا للتّفكير السّلبيّ، ويعتمد على التّقييم الإيجابيّ، إنّه خليط من التّفاؤل والرّغبة في رؤية الأشياء تتحقّق. **القبّعة الخضراء**: أنت مبدع، وترمز إلى التّفكير الإبداعيّ؛ ويتميّز مرتديها بالحرص على الجديد من الأفكار والآراء والمَفاهيم والتّجارب والوسائل والبحث عن البدائل لكلّ أمر والاستعداد لمُمارسة الجديد منها. **القبّعة الزّرقاء:** أنت مُدير؛ وترمز إلى التّفكير المُوجّه الشّموليّ، وصاحبُها يتميّز بالاهتمام بالبرمَجة والتّرتيب وخطوات التّنفيذ والإنجاز، وتوجيه الحوار والفكر والنّقاش؛ للخروج بأمُور عمليّة التّركيز على مِحور المَوضوع، وتجنّب الإطناب أو الخروج عن المَوضوع.

وهكذا يعمل المُنتج للأفكار على طرْح تسائيل على نفسه؛ وهو يبحث عن الفكرة بِطَرْح ماذا تعني هذه الفكرة؟ وإلى ماذا تقود؟ وما الشّيء المُشوَّق فيها؟ وما المُتميّز والجديد فيها؟ وما المَبادئ التي تستندّ عليها؟ هذه من الأشياء البَدْهِيّة التي يُعوّل عليها المُنتجُ للأفكار؛ كي ينالَ حقلُه الخصبُ الأخذَ والعطاء في مكانَه أثناء العصف الذّهني في اختيار الفكرة المُناسبة من بين سلسلة الأفكار المتجاذبة.

الخاتمَة: ومُحْصِلة القولِ أيّها المُبدعون، كان عليكم البحثَ عن مُخرجات مَضمونة في صالح المُقاولاتيّة التي تعملون على توليد المَطلوب؛ لتكون حصيلة فكرة كانت في البداية طائرة أو طائشة، واستطعتم تعقيلَها بجملة مَبادئ مَوضوعيّة حتى استوتْ على الواقع، ونراها مَحلّ إنتاج، وقد تكون نموذجًا لمن يرغب احتذاءَها، وحتى تقديمُها لصاحب صُنْع القرار.

وعليكم استغلالَ الواقع بثلاثة أشياء كان (مالك بن نبي) يُوصِينا بها من خلال كُتُبِهِ؛ وهي: استغلالُ الأرضِ كظاهرة تحتاج إلى استعمار، والإنسان كظاهرة بشريّة مُدبّر الكون، ويحتاج إلى سلاح الفكر، والزّمان كظاهرة مُلاحقة الجديد، وسرعة الإنجاز وعدم التّراخي. وهذه الأفكار هي التي جعلت (ماليزيا) تنال الصّدارة في الاقتصاد العالميّ، رغم أنّها أرخبيل مُتحرّك بكثافة بشريّة كبيرة، ولكن تعيش الرّفاهيّة الجماعيّة؛ باستغلال الفضاء والإنسان والزّمان والتّحكّم في القيَم. فهي

تعيش صِفْر فساد+ صِفْر غشّ+ صِفْر قلاقل داخليّة+ صِفْر حراسة في الامتحانات **فهل يمكن أن نكونَ كذلك أو أحسنَ؟**

يُمكن أن نكونَ إذا اسْطَعْنا تأسيسَ مدرسةِ القيَم؛ مدرسةَ مجتمعِ **المعرفة** الذي تنعدم فيه الأميّة، ويكون وازعنا أخلاقيًّا دون رقيب، **ويزع بالعالِم ما لا يزع بالحاكِم**، والرّقيب هو الضّمير، ولا حياة دون ضمير. وإنّ المدرسة هي مَشْتَلَة بناءِ مُجتمعنا على المُنافسة الشّريفة؛ مُنافسة الإضافة النّظيفة، منافسة تقديم البدائل المُضيفة. ولا أختم إلاّ بإهدائكم عبرة من علمائنا الكبار الذين خلّدهم التّاريخ فلم يموتوا رغم أنّهم رموس، فهذا الفذّ (الخوارزمي) عالم الرّياضيّات الذي قال: "إنّ الإنسان إذا كان ذا أخلاق فهو يساوي واحد (1). وإذا كان ذا جمال أضفْ إلى الواحد صفرًا يُصبح (10). وإذا كان ذا مالٍ أضفْ إليه صفرًا آخر يُصبح (100). وإذا كان ذا حَسَبٍ وَنَسَبٍ أضفْ إليه صفرًا آخر يُصبح (1000) وإذا زالت الأخلاقُ رقم (1) بقيت الأصفارُ بلا قيمة. فالأخلاق هي القيَم التي تعمل على تربيّة المجتمع أيّها الجمع الكريم، وهل يمكن أن نكون عندما تكونون أنتم في هذه الأرض بما يريده أسلافنا كيف تكونون، وهكذا تكونون أو لا تكونون. وبارك الله في جامعتكم الصّيفيّة، ومزيدًا من قطف النّجاحات وابتداع الأفكار.

مُنَاسَبَةٌ وَكَلِمَةٌ

في مملكة الشّعراء*

أيّها المُبدعون، يا أصحابَ القولِ والفنّون، اسمحوا لي أن أكون مَعكم، ولست بشاعر ولا تأتيني كلمات سجع الكّهّان، وأحسب نفسي من الغاوين الذي عشقوا الشّعر حدّ الثّمالة، وأصبحتُ مُحبًّا لمُجالسة حداديّ الكلام أنتم وأمثالكم ممّن ينسجون حروف جلالة الملكة اللّغة العربيّة نسجًا جامعًا للمبنى داخل المعنى. هي كلمات أريد قولها في خاتمة هذا اللقاء، وأزجي كلّ الشّكر لأصحاب الفضل الاتّحاديّة الجزائريّة للثّقافة والفنّون الذين جمعونا في هذا المحفل.

وخالص التّحايا للمُبدع الإعلاميّ (عبد العالي مزغيش) لهذه اللفتة الطّائرة في يوم عظيم؛ اليوم الوطنيّ للشّعر، الذي يُصادف وَفاة كبير شعراء الثّورة التّحريريّة (مفدي زكريا) وكلّ الشّكر لمُؤسّسة مُفدي زكريا على هذا الإسهام الوطنيّ الكبير، وهو تمجيد لصاحب (اللهب المقدّس) الذي ألهب الثّورة بنشيد:

قســـمًا بالنّـــازلات الماحقـــات ❁ والـــدّماء الزّاكيـــات الطّـــاهرات

ولا بدّ أن نقول كلامًا في حقّ الشّاعر (مفدي زكريا) الذي أسهم بقلمه الحامل للشّعر الوطنيّ بما دبّجه من كلمات في فداء الجزائر+ نحن طلاب الجزائر+ إلياذة الجزائر، وما حملته دواوينه الكبيرة من لآلئ صناعة الكلام الملهم والمثير والحماسيّ من خلال: في ظلال الزّيتون+ اللهب المقدّس+ من وحي الأطلس. وتبقى رائعتُه (الإلياذة) تُخلّده، فهو من المارين الذين تركوا الأثر، ويقول في مقطعها الأوّل:

جزائـــرُ يـــا مطلـــعَ المعجـــزات ❁ ويـــا حجّـــةَ الله فـــي الكائنـــات
ويـــا بســـمةَ الـــرّب فـــي أرضـــه ❁ ووجهـــهُ الضّـــاحك القســـمات

* - ألقيت الكلمة في نهاية اليوم الوطنيّ للشّعر، لصالح الاتّحاديّة الجزائريّة للثّقافة والفنّون بتاريخ 17 أوت 2022م.

إنّها (إلياذة الجزائر) التي يمكن اعتبارها ندًا لأيقونة (أبو القاسم سعد الله) في تُحفته (تاريخ الجزائر الثّقافيّ) وكذا الأمر بالنّسبة للإلياذة التي تُعدّ من تاريخ الجزائر الشّعريّ؛ بما حوته من تاريخ في امتداده من النّوميديّين إلى تاريخ مجيد وعهد جديد. فأنّعم بكلّ المخلصين الذين خدموا الوطن بأفكارهم وشعرهم وفنّهم! وأنتم منهم، فبوركت في الأولى والآخرة.

هي كلماتٌ من وحي المناسبة، أريد قولها أمامكم أيّها المبدعون، فلا أملك المُعلّقات، ولا كلماتي تُضاهي المُسمَّطات، ولكنّي جمعتُ بعض الطّاءات؛ أُلقيها عليكم في بضعٍ من النّتف الوسطى، وهي من إعصار زمن الشّعر الذي يشهد القحطا، ومع ذلك ما تراجع قيد الشّطا. وقد سمعنا شاعرًا يقول:

روى الإعصـارُ بُركانًـا عـن الطّـا ❁ بِزِلْـــزال مـــن العَليـــاء أحطَّـــا

في يوم الشّعر، تولَد الكلماتُ من دون شرْطا، وتُعطى لها دِلالةُ الخطّا، ويقع المَعْنى على المَبْنى بكلّ بَسْطا، ويحضر معنا صاحبُ (شغلنا الورى) بما قدّم وأعطى، و(بلغنا الدُّنا) بما فيه من الحوْطا، (بشعر نُردّده كالصّلاة) التي أخذت الموطا دون بُطْأ، (تسابيحه من حنايا الجزائر) هي مَلْزَمة السّبحة بلا خيْطا. مُفدي ويوم الشّعر سَفْطًا سَفْطًا، في كنَف الشّعراء إقْطًا إقْطًا، بما أحاطوه دون فُرْطًا، وقد أبدعوا في هذه الذّكرى دون شرْطًا، وحضر الشّعر فَسطًا وبُسطًا، وما رفعَ الشّعراءُ أقلامَهم إلاّ لمن تَخَطّى، وأعطَوْا ما لهم من دون سُعط ولا بُطْأ. يا صاحبَ:

جزائـــرُ أنـــتِ عـــروسُ الـــدُّنا ❁ ومنـــك اســـتمدّ الصّـــباحُ السّـــنا

فهل يجود شعراؤنا بشعر ينال الحوْطا، ويكون له عُمرًا مُمِطا، ونحن في حضرة معالي الشّعراء قبْطًا قبْطا، وأراكم سمْطًا قِسْطا، وعسى أنّ كلماتي لم تكن غلْطا، واسمحوا لي إذا فيها بعض الغمْطا، وأنتم أعلا منّي قولًا سُعْطا، وأنا في استعادة كلمات سُعاد الصُّباح التي قالت لنزار قبّاني:

يا سيّدَ الكلمات.. فإنّي بسيطة جدًّا، وأنت خبير..

إلى أن تقول:

مـن أيـن تـأتي بالفصـاحةِ كلِّهـا ❁ وأنـــا يتـــوهُ علـى فمـــي التّعبيـــرُ

ولهذا أيّها الشّعراء، خذوني ببساطة السّقْطا، ولا أزال في مُدوّنات البحث عن الشّوطا، أبحث عن كلمات تليق بما ليس من الكشْطا، وأنا في هَوَى الشّعر لا أملك إلاّ الكلمات الوسْطى، وأنّ المُحبّ لا حولَ له إلاّ الخوْطا.

وما قلته هي كلمات ذاتيّة دون شرْطا، جاءتني بهذه المناسبة الشّعريّة وهي تتمطّى، ونزلت من فمي إطا وعطا، وألزمتني أن أكون معكم من الرّهطا، ولو أنّني بعيد عن مَقامكم السُّلْطا، وأنا من الغاوين الذين أصابهم الخبْطا، وثملتُ بشعركم الحَطّا، وفي كلّ مكان أقول إنّني لا أريد للشّعر أن يكون من اللقطا، ولكنّي أريده أن يكون له وزنًا شطّا، بما يُضْفيه على المادي من سُلطا. هي كلمات تأسرني إلى مملكة الشّعراء وكم حفظتُ من الشّعر الذي ضاعت قوافيه في السّخطا، وبعضه لا يزال عالقًا على غرار رائعة الذي تأبّط الشّعر بدون مطّا:

حبيتبي أنتِ في الشّرق كأغنيةعلى ❁ ذراعـــي ولا تستوضـــحي السّبـــــبا
أنتِ النّساء جميعًامـــا من امرأةٍ ❁ أحببـتُ بعـدكِ إلاّ خِلتُهـا كَـــذبـا
كم مُبحرٍ وهمومُ البرّ تسكنـــــه ❁ وهـارب مـن قضـاء الحـبّ مـا هربـا

لا أستطيع الهروب من قفص الشّعر الذي امتدّ وتمطّى، هي كلمات أُهْديها لحضرة أصحابِ الهاماتِ الشّعراءِ النّطا، وللمنظّمين لهذا المَحْفل الذي تخطّى حدود الشّكر بما أبدعوا فيه من المُعطى، ونالوا به سبْق المُوطّا، ولهم كلّ الحبّ المُبطّا، ولات حينَ مناص أن أكون في مُستوى ردّ الأفضال لمن بسط لي بساطًا مُمِطا، واسمحوا لي إنْ أحدثتُ فيها بعضَ الغلطا، وقد أستند فيها إلى (يجوز للشّاعر ما لا يجوز لغيره من الخروج عن الخطّا) ويجوز لي أن أتخطّى بعضَ ما تطلّبه المقام من الغمْطا، ولكي لا تغتاض العربيّة من كثرة الغلْطا، أقف في هذه النّقطا.

والسّلام عليكم ورحمة الله.

مُنَاسَبَةٌ وَكَلِمَةٌ

كلمات في أيّام عنّابة الثّقافيّة*

الدّيباجة: يسعد المجلسُ الأعلى للّغة العربيّة أن يكون مَدْعوًّا من قبل مُديرة المكتبة الرّئيسيّة للمُطالعة العمُومِيّة؛ لحضور فعاليات الأيّام الثّقافيّة في مَدينة التّاريخ والمَجد التّليد. وفي إطار احتفاليّة السّتين سنة من الاستقلال وبمناسبة يوم المجاهد 20 أوت، وليلة الشّعر التي تُقام على شرف أدباء وكُتّاب عنّابة، وقد مرّ علينا اليوم الوطنّي للشّعر بمناسبة ذكرى وَفاة شاعر الثّورة الجزائريّة (مفدي زكريّاء) الشّاعر الذي أخذت بألبابه الثّورة الجزائريّة وخلّد تاريخ الجزائر مع صحبه بإلياذة الجزائر التي تضاهي تحفة (أبو القاسم سعد الله) في تاريخ الجزائر الثّقافيّ والإلياذة تاريخ الجزائر الشّعريّ، فمن دولة نوميديا إلى دولة الاستقلال. فأنْعِمْ به من يوم تليد للشّعر وتكرمة للشّعراء والأدباء والكتّاب! فيا أيّها الشّعراء والكتّاب بمدينة عنّابة نشكر لهم الإصدارات الجديدة، ونقول لكم زيدونا إنتاجًا زيدونا فأنْعِمْ بكم أيّها الكتّاب والمُبدعون!

هي جلسات ثقافيّة في مدينة الثّقافة، فأنْعِمْ بها من مَدينة! إنّها المَدينة الشّامِخة؛ مَدينة العُنّاب؛ منذ أن استوطنتْها القبائلُ العربيّة الهِلاليّة بدايات القرن السّادس الهجريّ، فقد أطلقوا عليها اسم (العُنّاب) لما وجدوه فيها من أشجار (النّبق) التي تنتشر فيها بكثرة، وصارت تُذْكَر في المَصادر العربيّة باسم عُنّاب/ عنّابة.

عنّابة أو بونة جوهرة الشّرق الجزائريّ، وهي فَرَس النّهر أو الكرسيّ المَلَكيّ. عنّابة مُرتفعات اسْرايدي، وبازيليكا القديس أوغسطينوس. مَعالم أثريّة تاريخيّة للعهد

* - أُلقيت الكلمة في المكتبة الرّئيسيّة للمُطالعة العموميّة (بركات سليمان) مدينة عنّابة؛ بمناسبة يوم المجاهد، بتاريخ 20 أوت 2022م.

الرّومانيّ، ومَعالم العهد اللاتينيّ، فيقول الرّحالة الأندلسيّ (البكري) "مدينة أوغستين العالم بدين النّصرانيّة".

ومَسجد أبي عبد المَلِك مَرْوان بن مُحمّد الأسديّ البونيّ. عنّابة مَدينة الثّقافة والفنّون؛ بطبوعها المالوف، وبالمُغنين والمَسْرحيين أمثال: حسان العنّابي+ حمْدي بنّاني+ حسن الخمّار+ عزّ الدّين مَجُّوبي+ امْبارك دخلة... وعنّابة التي أنجبت ألبير كامو/ ALBERT CAMUS. عنّابة المَجد ذات تاريخٍ دينيٍّ راسخٍ احتضنت دعوةَ القديس أوغسطين، وحركةَ الدّونانيّة، وقَبِلَتْ دعوةَ الفقيه أبي مَرْوان البونيّ الذي كان له الفضل في عودة المدينة وسكانها إلى المذهب المالكي.

عنّابة المُرجان والجسور على رأي (الإدريسي) ويقول "وعمارة أهلها على صيْد المُرجان، والمُرجان يوجد بها كثيرًا، وهو أجمل جميع المُرجان المَوجود بِسائر الأقطار مِثل ما يوجد مِنه بمَدينة سبْتة وصقليّة". عنّابة العلماء أمثال: أحمد ساسيّ البونيّ صاحب (الدّرة المصونة في علماء وصلحاء بونة)+ مُحمّد بن حسين المعروف (ابن العنّابي/ العنّابي) رائد التّجديد الإسلاميّ...

أيّها الحضور الكرام، ماذا عساني أقول في هذا اللقاء الثّقافيّ الماتِع والجزائر تحتفل هذه السّنة بشعار (تاريخ مَجيد وعهْد جديد) وهو احتفال كلّ الجزائريّين هو احتفال مَدينة عنابة من خلال هذه المكتبة، هو احتفال يجمع بين الفنّون؛ من القول إلى الشّعر والإبداع، وإلى الرّحلة والإمْتاع. هي أنشطة وفعاليّات ثقافيّة عامّة لمُختلف الأعمار والأذواق، وأُمْسيات مُوسيقيّة وشعريّة وندوات، وجلسات حواريّة، وأخرى تعريفيّة وترفيهيّة، وهذا ما يُظْهِره البرنامجُ الثّريُّ والمُتنوّعُ. هكذا أرادها أصحابُ الحكامة في المجال الثّقافيّ، بدءًا من السّيد والي الولايّة، ومن يرافقه في صناعة القرار، ومدير الثّقافة صاحب التّوجيه والتّنوير. وهكذا أرادتها المُبدعة صاحبة المكتبة الرّئيسيّة، بما لها من السّعيّ إلى تعزيز جهودها المُستمرّة لدعم الإبداع والمُبدعين، ونشر الثّقافة والفنّون.

هو تفاعلٌ نوعيٌّ جميلٌ، يأتي مع الأصوات الثّقافيّة التي تعرفُها هذه المَدينةُ السّياحيّة، التي لا نريدها أن تنام. فنراها من خلال هذا اللقاء تجمَعنا على طاولة

العلم والمَحبّة، وتبادل الأفكار؛ وهذا فخرٌ لنا أن نكون مع النّخبة في هذه المَدينة التي نشعر بالانتماء لهذا الوطن في جوهرة الشّرق الجزائريّ التي تشهد على الحدث ومُفردات الذّاكرة، وعلى مَوروثنا الثّقافيّ الحضاريّ الذي يزخر بمَجهودات وزارة الثّقافة من أجل الإشعاع الثّقافيّ، وتقديمُه للآخر بِأَلَقٍ وقيمةٍ مائزةٍ.

وإذ نحتفل اليوم في عنّابة المَدينة العريقة والثّمينة تاريخًا وفنًّا وأدبًا وفلسفةً وفكرًا وحضارةً، ونحتفي بها جميعًا كمَدينة تُجسّد روحَ الثّقافةِ العربيّة بجدارةٍ لا سيّما أنّها جمَعتنا ونحن عطشى لنهل شذرات الإبداع في تلاحمٍ وطنيٍّ أصيلٍ. نحتفي هذه الأيّام في شهر الاحتفالات المُخلّدة لتاريخنا الأصيل ونعيش أحداث عشرين (20) أوت 1955+ 1956، (يوم المجاهد) تاريخ مُفردات الذّاكرة التي لا تُنسى، وعشنا اليوم الوطنيّ للجيش الوطنيّ الشّعبيّ في الرّابع (4) من أوت.

وما يصحب في هذا الشّهر من اليوم العالميّ للشّباب= 12 أوت+ اليوم العالميّ لحِفْظ طبقةِ الأوزون= 16 أوت+ اليوم الوطني للشّعر= 17 أوت+ اليوم الدّوليّ للسّكان الأصليّين= 19 أوت+ اليوم العالميّ لمرض الزّهايمر= 21 أوت+ اليوم العالميّ لتذكُّر تِجارة الرّقيق وإلغائها= 23 أوت+ اليوم العالميّ للسّياحة= 27 أوت+ اليوم العالميّ للتّرجمة= 29 أوت؛ والذي تحوّل في ما بعد إلى 30 سبتمبر.

هي أيّامٌ نشهد فيها تنوّعًا ثقافيًّا وعلميًّا وسياسيًّا؛ والغرض من سرْد هذه الأيّام أيّها المُبدعون أن نتحاور في مَسألة تعزيز الإمْكانيات الثّقافيّة التي تُمَثّلها الثّقافةُ الجزائريّة بوصفْها وسيلةً لتحقيق التّنوّع الثّقافيّ، ولتحقيقِ الازدهار والتّنميّة المُستديمةِ والتّعايش السّلميّ واحتضان المُبادرات في مُختلف المَجالات، وما تحمِله من إمْكانات إبداعيّة كامِنة في ثقافتنا الجزائريّة المُتنوّعة، والانخراط في الحوار البينيّ من أجل ضَمان استفادة جميع أفراد المُجتمع من التّنميّة المُستديمة التي تجلبُها القوّةُ النّاعمةُ.

ما أحْوَجَنا اليوم إلى إبراز تنوّعنا الثّقافيّ المُتكامل، وهو عاملٌ فاعلٌ لتحقيقِ ودمْجِ التّغيير الإيجابيّ في مُجتمعنا، ونحن ننشُد **الجزائر الجديدة** التي تُلغي القوّة

الصّلدة، **جزائر جديدة** تسعى إلى تعزيز ثقافة لمّ الشّمل، وجمع المُتفرّق في صورة تآلف وطنيّ يُكمّل بعضُه البعضَ.

وعليكم أنتم أيّها المُبدعون أن تُبادروا بما لكم من إنتاج الأفكار كلّ في مَجاله، وتقديمها لصاحب القرار، ويُعوّل عليكم في الاحتفاء بكلّ أشكال التّآلف التي تُغذيها الثّقافة، والصّناعة الإبداعيّة، ومُختلف أشكال التّعبير الثّقافيّ، في أن تكونوا طَرَفًا مُهمًّا في تعزيز أواصر الوَحْدة الوطنيّة عن طريق الحِوار الثّقافيّ، من أجل تعزيز قيَم التّنوّع الثّقافيّ والحوار والتّنميّة والتّكامل الذي يلغي التّنافر، فأنتم لها بما لكم من أفكار.

أيّها الحُضور المُتخصّص، لا أُحدِّثكم عن مَجالكم الثّقافيّ، بقدر ما أُريد تذكير إخواني بضرورة غرسِ وعيّ مَفهوم ومَعنى الثّقافة ويجمعنا فيها المُشترك الماديّ والمَعنويّ، وهذا ما نريد زرعَه في النّاشئة؛ ليكونوا قيمةً مُضافةً لهُويّة الأمّة الجزائريّة وما لها مِن انتماء، والارتباط بالأرض واللغة المشتركة، وما يلحق بها من أعراف وسلوك المجتمَع في إطار تراتبيّة عَمِل بها السّلفُ؛ ونحن لها مُحافظون. وإنّه يُعوّل عليكم العمَل على تعزيز التّنوّع الثّقافيّ، والإقرار به عبر الاستعمال الابداعيّ للإعلام وتكنولوجيا المَعلومات والاتّصالات بشكل خاصّ؛ في خلْق الحوار بين الحضارات والثّقافات، وفي بلوغ تبادل الاحترام والتّفاهم.

وندعو إلى حَوْكَمَة الّثقافة؛ لتحقيق تبادلٍ مُتوازنٍ من الخِدْمات الثّقافيّة، وإسهام الفنّانين في برامج وسياسات تنميّة مَفهوم اللغات الوطنيّة في الثّقافة، والحفاظ على المَبادئ والقيَم والعادات والتّقاليد والمَعايير والسّلوكيات، وجميع الأمُور الماديّة وغير الماديّة المُشتركة والتي تنتقل عبر الأجيال.

وأنتم أدرى بأنّ الثّقافة الشّرقيّة التي ننتمي إليها هي التي تُشكلنا وتُحدّد هُويتَنا وسلوكَنا وأنماطَ حياتِنا بما لنا من تنوّع ومُشترك عالميّ. ونتيجة التّطوّر والتّكنولوجيا، أصبحنا نتفاعل ونتشارك مع أشخاص من خلفيات وبيئات ثقافيّة وجغرافيّة مُختلفة، وأصبح التّنوّع الثّقافيّ مُهمًّا للنّجاح والإبداع والابتكار، وهو الذي يعمل على التّغلّب على مُواجهة تحدّياتنا المُعاصرة، كما يعمل على زيادة

المَعرفة على نحو مُستمرّ، وخلقِ علاقاتٍ اجتماعيّة مُتنوّعة؛ تُسهم في رفع الكفاءات عن طريق تبادل المَعرفة والخِبْرات والمَهارات.

أيّها الحَوْكَمِيُّون، وأقصد أهلَ الحلِّ والعَقْدِ في المؤسّسات الثّقافيّة، نحمد الله على أنّنا خَرَجْنا من الجائحة بأقلّ الأضرار، ولذا نروم استدراك الضّائع بأن نُعطيَ المؤسّساتِ الثّقافيّة صورتَها الثّقافيّة، **مؤسّسات ثقافيّة لا إداريّة**، مؤسّسات ثقافيّة لا تنام، مؤسّسات ثقافيّة يقصدها النّاس بعد فترة العمل، مؤسّسات ثقافيّة تُضفي للعمل الثّقافيّ صورة التّلاقي، وتبادل الأفكار، والاستماع للمُحاضرات، أو لعرض شريط، أو عرض منتوج جديد... وما يتبع ذلك من صُوَر تبادل الأفكار، وربّما تناطحُها في إطار الحُجّة العلميّة التي نروم أن تزرعَها هذه المؤسّساتُ الثّقافيّة التي نريد **تغييرَ مواعيدِ عملِها** بما يخدم الثّقافة الجمعيّة بفعاليات دائمة لا تنقطع بانقطاع العمل الإداريّ.

ولا بدّ أن تعمل المكتبات العموميّة على الحقّ في الوصول إلى الثّقافة بيُسر ومَجانيّة كما تنصّ عليها النّصوص، وإتاحة المَجال للجمعيات في إقامة نشاطاتها الثّقافيّة في رحابها، وهي مُؤسّسات غير رِبْحِيّة فالأجدر بها أن تُكتسب لإحداث حركةٍ ثقافيّة تعمل على النّهوض بقطاع الثّقافة والسّياحة معًا. وكما يقول جون ملتون/ JEUN Melton "ليست المكتباتُ أجهزةً لا حياةَ فيها، بل هي وعاءٌ لقوّة حياةٍ كامنة، وأحقُّ بها أن تكون فاعلةً **ليل نهار** مثل الرّوح التي أنجبتها".

وإنّ المكتباتِ العموميّة تزدهر أحسن عندما ترتقي إلى ذُرى الثّقافة الرّفيعة، وعندما يكون صاحب الحوكمة ناجحًا في تحقيق القيادة بتوجيه من القائد، وفي عمليات الاتّصال ما بين القائد والأفراد، وفي حُسْن توجيه دُفّةِ الحوار والتّسيير ضمن التّخطيط الاستراتيجيّ، والتّفاعل مع الجمهور والعلاقات العامّة، واليقظة، والمُرونة، وسُرعة التّكيّف، وجدولة كلّ الأنشطة مُسبقًا، والبحث عن ايجاد الحلول والبدائل، وتقويم النّشاطات والبحث عن التّسويق لكلّ نشاط، وفي الأخير تقويم وتقييم الحصيلة للاستفادة من محاسنها، وتجنُّب أخطائِها.

أيّها المَعنيون، أيّها الكّتاب، أيّها الشّعراء، كمْ يَحُزُّ في أنفسنا أن نجدَ الهيكلَ كبيرًا، والفضاءَ ضخمًا، والحركةَ الثّقافيّة شحيحةً، وكم نَكْبُر ونفرح عندما نرى المكتبةَ خليّة نَحْلٍ مُتحرّكة، من نشاط لا ينقطع نهاره بليله، في فعاليات هادفة وبمهارات مُتميّزة، فهنا الأبواب المَفتوحةُ، والمُسابقاتُ مُدمجة، وعرضُ الكتب قائمة، والبيعُ بالإهداء ثابت، وساعةُ قصّة مُبرمجة، ومُلتقى الحوار والنّقاش كائن ونادي يشتغل، وأفراد وعوائل داخلة خارجة، والمكتبة تتنفّس ثقافةً وشعرًا وأدبًا وتحاورًا وإبداعًا وتنافسًا.

فأنعِمْ بها مِن مُبادرات تأتي في صالح التّغيير وفي إنجاح التّنشيط الثّقافيّ! وما يأتي من الفاعلين الثّقافيّين من مُؤلّفين وشخصيّات بارزة في المُجتمع، وهذا ما نلمسه في هذه المكتبة العامرة التي تنشط دون هوادة من أجل تبليغ رسالتها التّنويريّة الثّقافيّة بالقوّة النّاعمة، وذلك هو المُبتغى، فشكرًا لصاحبة الحوكمة السّيدة المُديرة.

ذلكم هو النّشاط النّاجح المُرام تحريكَ الفِعْلِ الثّقافيّ في مَكتباتنا المُتناثرة عبر الوطن، وكسبِ ودِّ الرُّواد بما يعمل صاحب الحَوْكَمَة مع الفريق بمهارة التّأثير على الآخرين، وكسْب الجمهور في سبيل تفعيلِ التّنشيط الثّقافيّ. وأنتم أكثرُ درايّة لما للمَكتبة من دور في تثقيف المُجتمع، فاليوم لم تَعُدِ المكتباتُ مُجرّدَ خزانةٍ للكتب، تقوم بإعارتها لمَن يطلبُها، بل هي مُطالبة بتحقيق العديد من الأهداف في المَجال الاجتماعيّ والاقتصاديّ والتّرفيهيّ والثّقافيّ والتّربويّ، وقد أُطْلق عليها في وثائق القمّة العالميّة لمُجتمع المَعلومات اسم (مُؤسّسات ذاكرة المُجتمعات) فهي تُعتبر مُستودعًا للمَعرفة المُتراكمة، ومُطالبةُ بتحمّل مَسؤوليّة اجتماعيّة؛ بالإسهام في تطوير المُجتمع وحياة الأفراد، من خلال تناول المُشْكِلات التي تمُسّ المُجتمع، ومُحاولة إيجاد الحلول لها؛ باعتبارها مَركزًا للذّاكرة الإنسانيّة والثّقافة وحضارة المُجتمع.

إخواني الحضور، لقد لمِسْتُ الحركةَ النّشيطةَ والدّؤوبةَ في هذه المكتبة الرّئيسيّة لما لاحظته من مِفتاح المَعرفة على المُستوى المَحليّ، وتجسّدت مَعالمُ

المُتابعةِ الإعلاميّة واضحة مع الإسهام في التّعريف بالإرث الثقافيّ، والحفاظ على التّقاليد والشّفاهيّة، وتشجيع الحوار ما بين الثّقافات، وحمايّة التّنوّع الثّقافيّ في مختلف النّشاطات

ونرى أنّ أهداف المَكتبة تحقّقت بما رفعته أفكارُ المُسيّرين من تحدٍّ كبيرٍ للتّغلّب على كلّ المُضايقات. وسعدتُ أيّما سعادة وأنا أُعاين هذه المكتبةَ التي تسعى لجذب أكبر قدر مِن المُستفيدين مِن خِدْماتها المُختلفة، وبخاصة وأنّها خادمَة لكلّ فئات المُجتمع دون استثناء، وكان تفتّحُها على الجامعيين خطوةً كبيرةً في هذا المَجال. كما عرفتِ العديدَ من التّغييرات الجذريّة التي مَسّت جوهرها بتسطير استراتيجيّة مُلائمة لضمان تطويرها حسب المِعيار العالميّ.

ويدخل المَجلسُ الأعلى في الخطّ بشراكة بينيّة نرومها **رابح رابح** في إطار تجسيد تنشيط الفعاليّات العالميّة والوطنيّة التي يحتفي بها المَجلس مَع مُختلف الفواعل الثّقافيّة والمكتبات العمُوميّة أولى في تنشيط هذه الفعاليّات.

هي خُطوة أولى، والمَطرُ أوّلُه قطرٌ ثمّ ينهمرُ، هي خُطوةٌ لمنْحِ الحياةِ وإحْياءِ حَرَكيّة المَكتبات بمُناسبة وبغير مُناسبة، وقد أوصى الاتّحادُ الدّوليُّ للمَكتبات ومُؤسّساتها IFLA أن تَفْتَح المكتباتُ أبوابَها للجميع **ليل نهار**، وضرورة احترام الحاجيات الثّقافيّة لكلّ شخص، وتكون المكتبات شريكًا لكلّ زبون، وهذا في إطار مُنظّم من خلال النّوادي التي تعمل على إطلاق العنان لمختلف المَواهب.

ومن هنا نروم أن تقع الشّراكات مع النّوادي، لتجسيد تظاهُرات الألعاب اللغويّة، وبناء شراكات مع مُديريات التّربيّة في إطار فعاليات (تحدّي القراءة) و(أقبيل) (جوائز عالميّة) وورشات القراءة والكتابة، وما يتبع ذلك من الغوص في عالم الحواسيب.

الخاتمة: تغمُرَني السّعادةُ، وأنا أُنجزُ هذه الشّراكةَ مع المَكتبة الرّئيسيّة للمُطالعة العمُوميّة (بركات سليمان) ونتركُ أثرًا يدلّ على التّواصل والقيمة والجودة، وهذا ما يثبت على تفاعل هاتين المؤسّستين من خلال أداء دورهما

التّثقيفيّ، ونشر الوعي والعِلْم والتّربيّة. هي فوائدُ وعوائدُ جدُّ مُهمّة نريدها أن تحترف السّير الحثيث نحو التّطوير والتّنميّة المستديمة للمجتمع؛ وهي وظيفة إجباريّة وضروريّة؛ وليس ثانويّة أو اختياريّة.

هو تكامل نشهده في هذه المكتبة الرّئيسيّة، ومَكسب كبير للمَجلس الأعلى للّغة العربيّة أن يكون طرفًا لاستقطاب كفاءات بونة الحضارة في التّعاون مَع المَجلس في مشاريعه الكبيرة والكثيرة والتي فتحها لكافة البحثة من أجل إنجاز البحوث المُشتركة ذات العلاقة بالثّقافة الجزائريّة.

ونحن نُنجز المَوسوعة الجزائريّة التي ينصّ قانونها الدّاخليّ على هذا المجال، كما نُنجز مُعجم الألفاظ الشّعبيّة الجزائريّة، ونُنجز مُعجم الألفاظ العامّة في الجزائر، والمُعجم الطّوپونيمي، ونُنجز أعمالًا كثيرة في إطار الحركة التي يعرفها المَجلس دون توقّف، ويُمْكِنُكُم زيارةَ موقعنا www.hcla.dz كما يُمْكِنُكُم متابعة أعمالِ المجلسِ بصورةٍ يوميّة عن طريق كتابة (المجلس الأعلى للّغة العربيّة) في الفَسْبَكَة والتَّوْتَرَة.

مُنَاسَبَةٌ وَكَلِمَةٌ

دور النّخب الجامعيّة في تعزيز التّنميّة المستديمة*

الدّيباجة: الزّميلات والزّملاء الأساتيذ؛ السّلام عليكم، وطاب صباحُكم في هذا المكان السّياحيّ الجميل، وأنتم في العطلة السّنويّة، وهو حقّ طبيعيّ جرّاء الجهد الذي قمتم به خلال السّنة في العطاء والتّوجيه وتنوير الآخر بما لكم من أفكار التّغيير. وبعد سنة دراسيّة من الأعمال وإعمال البصر والبصيرة، والجلسات التّربويّة، والمشاريع الجماعيّة، وتصحيح الأوراق المُكدّسة، فقد حان الوقت لاستراحة مُستحقّة، ولكن يبدو لي بأنّها استراحة مُحارب يَقِظٍ مستعدٍّ لكلّ الاحتمالات.

وأعلم أنّكم في هذا الموقف تشتاقون للنّهم العلميّ الذي تريدون كسْبه من أمثال هذه اللقاءات، باعتباركم لا تكتفون بما لكم، وليس لكم الإشباع العلميّ لأنكم من صُنّاع الرّؤيّة الحضاريّة، وأنتم من يقوم على التّغيير الإيجابيّ، ولا يُعقل أن يقوم بها عامّةُ النّاس، بل نخبة المجتمع، وهم أنتم. وأعلم أنّكم بحاجة إلى تعلّم مهارات جديدة تضيفونها لسيرتكم العلميّة، وإلى انغماس في الهِوايات الجديدة، ومراجعة الأهداف، وما يتبعها من الفصول الإضافيّة، والاستمرار في القراءة. وأريد أن أُحدّثكم عن هُموم وهي من همومكم لا شكّ، عن موضوع ذي صلة بهذه الجامعة الصّيفيّة التي تجمع النّخبةَ الوطنيّةَ، وأُبرِزُ بعضَ النّقاط في أسْطُر مَعدودات؛ لأنّ المَوضوع زئبقيٌّ وله مآلات، وأفكار متناطحات، في بعض المَقامات؛ لارتباطه بالرّأسمال الماديّ واللاماديّ، وحديثي يتناول دور الجامعيّين كنُخبة وطنيّة مَطْلوب منها إنتاج الأفكار لصاحب القرار، ومطلوب منها الإسهام في **خريطة التّنميّة المستديمة** التي لا تقف عند حدّ سنة أو سنتين، بل تتواصل على

---

* - أُلقيت الكلمة في الجامعة الصّيفيّة، أمام المجلس الوطنيّ لأساتذة التّعليم العاليّ/ CNES، وجرت أعمال هذه الجامعة في جامعة تيبّازة، بتاريخ 22 أوت 2022م.

مدى الزّمن في التّفعيل الإيجابيّ الذي لا يكون إلاّ مِن مُتصدّر أو مُتميّز أو نُخبة عالية عالمة أمثالكم. ونحن نشهد مُتغيّراتٍ جذريّةً في بناء **(الجزائر الجديدة)** جزائرُ العهد الجديد لتاريخ مجيد، جزائرُ المنافسة، وردّ الاعتبار لأصحاب الفضل، وتكريم المُستحقّين، والاهتمام بالنّخبة، جزائرُ الوجه المُشرق لتاريخنا القديم والحديث والقادم أيضًا. جزائرُ المآلات الكبرى التي نُريدها أن تكون واعدةً في حُسْنِ صناعةِ المَطلوبِ من التّغيير المَنشود. وأرى أنّ هذا الموضوع ينقسم إلى هذه المُحدّدات الكبرى، وهي:

1-معنى التّنميّة المستديمة: إنّ التّنميّة المستديمة كما حدّتها (الأونسترال) تقوم على "... "تحقيق التّنمية الشّاملة للجميع والمستديمة والمنصفة والنّمو الاقتصاديّ والتّوظيف، وجلب الاستثمارات وتيسير مباشرة الأعمال الحرّة والسّلام والاستقرار والرّفاهية لجميع الشّعوب، والتّعاون الاقتصاديّ العالميّ بين جميع الدّول على أساس المساواة والإنصاف والمصلحة المشتركة واحترام سيادة القانون والنّهوض بالحوكمة الرّشيدة والتّنمية الاقتصاديّة المستديمة، والقضاء على الفقر والجوع، وتُشجّع الجمعية العامّة الدّول على استخدام معايير (الأونسيترال) في إصلاح القانون التّجاريّ..." هي معايير عالميّة تقوم بها الدّول من أجل تصنيفها داخل الدّول المتقدّمة، أو من طبقة دُنيا. ولهذا تجتهد كلّ الدّول عن طريق نُخبها لضمان تطبيق المعايير في التّشريعات وفي التّخطيط والأجرأة العامّة عن طريق المجالس الاستشاريّة أو الدّستوريّة، من أجل تجسيد "الاهتمام بالعمل للقضاء على الفقر بجميع أشكاله، والعمل على ضمان التّعليم الجيّد المُنصف والشّامل وتعزيز فُرَص التّعلّم مدى الحياة للجميع وتحقيق المُساواة بين الجنسين، وتمكين كلّ النّساء والفتيات من فُرَص العمل، وتعزيز النّمو الاقتصاديّ المُطّرد والشّامل للجميع والمُستديم، والاهتمام بالعمالة الكاملة والمنتجة، وتوفير العمل اللائق للجميع وإقامة بُنى تحتيّة قادرة على الصّمود، وتحفيز التّصنيع الشّامل للجميع والمُستديم، وتشجيع الابتكار والحدّ من انعدام المساواة داخل البلدان وفيما بينها وضمان وجود أنماط استهلاك وإنتاج مُستديمة والتّشجيع على إقامة مُجتمعات

مُسالمة لا يُهمش فيها أحد من أجل تحقيق التّنميّة المُستديمة، وإتاحة إمكانيّة وصول الجميع إلى العدالة، وبناء مُؤسّسات فعّالة وخاضعة للمُساءلة، وشاملة للجميع على جميع المُستويات، وتعزيز وسائل التّنفيذ، وتنشيط الشّراكة العالميّة من أجل التّنميّة المُستديمة.

هي أفكار كبيرة، تتعلّق بالتّطوير العامّ لبنية المُجتمع وهو يُحاول النّهوض من أجل التّأسيس والتّرصيص لبناء مجتمع القوّة النّاعمة بدل القوّة الصّلدة، وتتربّى هذه القوّة من خلال المُجتمع الذي تكون فيه التّربيّة والتّعليم هي عُمدة الاستثمار في المَوارد البشريّة، وإنّ الجامعيين لهم الدّور المؤثّر في هذا التّكوين اللاماديّ من أجل مُجتمع ينشد العيش معًا بسلام.

2-النّخبة والأفكار: تعني كلمة (Elite) في النّظريّات السّياسيّة والاجتماعيّة؛ مجموعةً صغيرةً من الأشخاص الأكثر قُدرة من غيرهم في المواهب والذّكاء وحسن التّحرّك والفعاليّة والمردود والتّصدّر والتّميّز والقيادة، والنّخبة هم قادة الرّأيّ العامّ والمؤثّرين فيه، ويشكّلون اتّجاهات الرّأي العامّ وتوجّهات المُجتمع. كما تدلّ كلمة (نُخْبَة) في اللغة العربيّة على الصّفوة أو الخلاصة الجيّدة في المُجتمع فيقال: اصطفاه أيْ اختاره، والصّفوة من الماء ونحوه، تعني القليل النّقي، وانتخبَ الشّيءَ اختاره، والنُّخبة ما اختار منه، ونُخبة القوم خيارُهُم، والانتخاب هو الاختيارُ والانتقاءُ، ومنه النُّخبة؛ وهم جماعة تُختار من الرّجال والنّساء لمواصفات لا توجد في عموم النّاس، ولا يصل إلى نيلها العامّة. وإذا اسْتَقْرَأْنا التّاريخ نراه يقول لنا: هناك مجموعة ضيّقة تقوم بِحَمْل لواء التّغيير، وتتبنّى الأفكار والمشاريع والبرامج التي تُسوّغ وفقها إنتاجَ أنماطٍ جديدةٍ للتّفكير، وصورةٍ حديثةٍ عن العالم، وتبنّي العلاقات والمستقبليات، وهذا يتمثّل في الشّخص الماديّ الذي يملك الدّليل العلميّ؛ فهو لا يرفع صوته ولو غلطا، والذي يملك الدّليل العقليّ لا يرفع قبضته ولو كان قبطا، والذي يملك الدّليل المنطقيّ لا يرفع سلاحه قطا؛ وحده من لا دليل له يحتاج إلى رفع الصّوت والقبضة والسّلاح سُلطا، وهذا ليس نُخبة، بل من الدّهماء والغوغاء سِفطا، وأحيانًا رُفِعَ عنه القلمُ خطا.

وترتبط كلمة (النُّخبة) في المَقام الأوّل بما يُقدّمه (النّاخب) لوطنه من رفع الهموم، بدءًا من تبنّي فكرة المواطنة والمجتمع المدنيّ، وتفعيل قيَم المواطنة ومحاولة بناء تصوّر واضح للمعنى الحقيقيّ لها. وهذا يتأطّر ضمن فعاليّة الجامعات بالخصوص، فمن خلال نُخبِها العضوةِ تعمل الجامعة على زرع القيَم الوطنيّة والسّياسيّة، وتعزيز فكرة الانتماء للمجتمع، وتسعى الى تعظيم السّلوكات الايجابيّة التي تُسهم في ترقية الوعي الجمعيّ، وتكريس الهُوية الوطنيّة وصولا الى الاستقرار الاجتماعيّ، وتعزيز الانتماء والولاء للوطن كسلوك ممارس، وتكوين مواطن صالح يستطيع المشاركة بفعاليّة في المجتمع، وفي تنمية التّفاعل الإيجابيّ مع الآخر، ورصّ صفّ الوحدة الوطنيّة.

3. الجامعة الجزائريّة والنّخبة: وعندما نقول الجامعة نعني الأساتذة العاملين على صناعة مَلْمَح الطّالب نُخبة المستقبل؛ حيث تُعدّ الجامعةُ أهمّ المؤسّسات الاجتماعيّة في صناعة الموارد البشريّة؛ فهي تمثّل قمّة الهرم التّعليميّ في المجتمع، وتنبع أهميتها من أهميّة إنتاج الإطارات التي تُسهم في تنميّة المجتمع وتطويره؛ إطارات يُراد لها أن تحمل القيَم في ضمير المتخرّج، فهل يمكن لنا أن نصنع هذا المتخرّج الذي يحمل هموم العمل على صِفر فساد، صِفر غشّ، صِفر خيانة الأمّة، صِفر سقوط العمارات، صِفر صناعة الخراب، صِفر قلاقل داخليّة هو المطلوب تحقيقه لصناعة جيل يحمل هموم الأمّة نحو برّ الأمان، والرّفاهيّة الجمعيّة، وهنا علينا طرح هذا السّؤال، هل تُنتج جامعاتنا الجزائريّة النُّخب القياديّة المثقّفة التي يُعوّل عليها في لاحقٍ من الزّمان لتجسيد أصفار الأمل؟

ربّما تكون الإجابة سلبيّة، ولكن يبدو لي بأنّ الجامعات الجزائريّة تُنتج نُخبًا، ولكن هناك مُضايقات اجتماعيّة لهذه النّخب والتي لم تُفرّخ في مجتمعها، ولكنّها تَبرُزُ في الخارج، وتكون لها الرّيادة والتّميّز، فما هو سبيل العلاج؟ سؤال يجرّ سؤالًا آخر وهل الجامعة وُفّرت لها شروط النّجاح؟ وإنّ المعضلة أنّ الجامعة الجزائريّة تَعْتَوِرُها بعضُ المُعيقات، وتحتاج إلى تواصلها مع المُجتمع، وإلى اللامَرْكزيةّ في التّسيير، وإلى وسائط التّثقيف البشريّة والماديّة في تأدية مَهامها، كما تحتاج إلى

نظام تعليميّ يتجاوز نظام التّلقي المُحدّد والسّلبيّ، والانتقال من مَنْطِق التّدريس الآليّ الكابح للعقل والتّفكير والمنحصر في تعلّم معارف، واختبار الطّالب في المعطى له فقط، إلى مَنْطِق التّكوين العلميّ والمهنيّ والتّأطير القياديّ، وإلى تحرير العقل الذي يُنمي الطّاقة الذّاتية. وكان على الجامعة الجزائريّة أن تكون مَرْصَدًا للتّقدّم العلميّ والتّقنيّ، وقِبلةً للباحثين من كلّ اللغات، ومَختبرًا للاكتشاف والإبداع العلميّ على غرار جامعات العالم، بلهَ الحديث عن الجامعات المِعْياريّة التي ذهبت بعيدًا في نيل المراتب والتّصنيفات، ونيل الجوائز، وشهادات براءة بامتياز.

وفي الحقيقة لا يمكن أن نتحدّث في التّنظير بقدر ما نريد التّطبيق الذي ينعكس إيجابًا وناجحًا لمستقبل الفرد الجزائريّ؛ والذي تُصنع ملامحُه من الرّوضة وما يليها من مراحل التّعليم، وما يُسهم به العموم في الاهتمام بالبحوث العلميّة بما فيها الشّركات الوطنيّة التي تستفيد من تلك البحوث. هي سلسلة مُتكاملة من آليات النّهوض التي تحتاجها الجامعة، وبذلك نريد من النّخبة الجامعيّة أن تصنع حسن التّدبير؛ باعتبارها القلب النّابض للدّولة في آليات التّنوير.

وإنّ قطاع التّربيّة والتّعليم عامّة من بين أولى القطاعات الحيويّة والمنتجة التي يجب أن تُولى لها الأهميّة المَطلوبة؛ لتحقيق الغاية المَرجوّة وصناعة النّخبة التي تصنع التّنميّة المُستديمة. ولهذا علينا كجامعيّين الاهتمام بالعلوم عامّة وبالخصوص العلوم الإنسانيّة التي تخلق لنا شخصًا له من الحوار ما له، ويملك آليات الإنسان المُستمدّ من الجانب اللامادي، وقد يساوي 1+1= ثلاثة (3) من منطق اللامادي، والسّتة (6) التي أمامك هي التّسعة (9) التي هي أمامي، وهناك حالات لا نكون آلة بكماء لا تنظر إلاّ لصناعة منتوج الحساب، دون خطأ يُراد. نريد جامعة تكوين وصناعة أُطُرٍ وطنيّةٍ مثقّفةٍ قادرةٍ على مواجهة مُتطلّبات المُجتمع، وتُعلّم النّقد والتّدرّب على استعمال العقل استعمالًا نقديًّا يهدف إلى التّحرّر العقليّ والفكر المنير بآليات المَرجعيات والقدوة.

ونريد من جامعيينا أن يرفعوا شعار **نحن نصنع النّخب، نحن نرفع التّنميّة المستديمة**، فهناك جهاتٌ كثيرة تصنع النّخب؛ ملاعبُ الكرّة تصنع النّخبة،

السّجادةُ الحمراء في مهرجانات السّينما تصنع النّخبة، الإعلام يصنع النّخبة، ولكن نريد نخبة تُسهم في التّنميّة المستديمة، وفي التّغيير الاجتماعيّ الإيجابيّ، وفي تطوير المجتمع إلى الأفضل وهذه لا يصنعها إلاّ نخبة التّعليم والثّقافة وأصحاب المبادرات، فهم أنتم. نريد صناعة شباب الغدّ، شباب النّقد والإثراء، وهو منهج الأقوياء، نريد تأهيل من يصلح من المُنتسبين للبحث العلميّ في أن يكونوا أو لا يكونون، رجال النّخبة يبنون الذّوات ولا ينتظرون الحلول من الخارج. نريد جامعات مِعْياريّة تؤدّي مَهامها العلميّة والتّأطيريّة ضمن التّسلسل الطّبيعيّ للتّغيير الإيجابيّ لنخبة مُتخصّصة تُعالج الواقعَ الذي تعيشه، وتُفرز قيادةً واعيّةً تلتفّ حولها النّخبة والأمّة دَعْمًا وضَبْطًا.

4-المطلوب جامعة النّخبة: وهي جامعة وطنيّة ذات تكوين عالٍ، تُعطي الشّهادات للمُستحقّين وتوفّر الفرصَ الجيّدة لتحقيق الجودة، كما تعمل على تحقيق الوصول إلى حيّز التّنفيذ والواقع. جامعة بمواصفات مِعياريّة، ذات تصنيف عالميّ، ولها مَوقع في البحوث العلميّة الجادة، وفي النّشر الإلكتروني، وهذا ما يُحقّق لنا جامعة النّخبة التي تتوفّر على المكانة والجدارة الأكاديميّة، وإرضاء الطّلاّب والخريجين، مع جاذبيّة الحرَم الجامعيّ المرتبط بالفوائد الإضافيّة كبرامج الألعاب الرّياضيّة والتّميّز العلميّ، ومستوى التّعليم، ووُجود نخب حاصلة على الجوائز العالميّة.

قد تبدو لنا هذه المسائل مِن المُعجزات، ولكن أرى أنّ التّغيير الإيجابيّ سهل، ولا يحتاج لكثير من الوقت، وعلينا فقط أن نَسير في الاتّجاه الصّحيح: اتّجاه نخبة مُتخصّصة لا تتأطّر بأطر حزبيّة؛ بل تعمل لهدف عامّ هو التّمكين لرفع مُستوى البحث العلميّ. اتّجاه نحو تفعيل النّخبة الجامعيّة للخروج من خوفها وتعمل على سكّة النّهضة وتحقيق الازدهار. ولنا العبرة في الجامعات الرّاقيات، هذه الجامعات ارتقت بنخبتها العالِمَة، فجامعة هارفارد وهي المعيار الرّئيس الذي يُستخدم لقياس الجامعات البحثيّة، وقامت بتخريج تسعة وأربعين (49) فائزًا بنوبل واثنين وثلاثين (32) رئيس دولة، وجامعة كولومبيا، وهي من أقدم الجامعات الأمريكيّة الحافلة

بالتّاريخ العريق، وفيها مكتبة تتضمّن ثلاثة عشر مليون (13) كتاب وأخرجت ستّة وتسعين (96) فائزًا بنوبل، و29 رئيس دولة، وجامعة السّوربون؛ ويعود تاريخ تأسيسها إلى القرن 12، حيث تعتبر شبكة من الجامعات التي تنتشر في مدينة الأضواء التّاريخية، وقد قامت بتخريج عشرين (20) فائزًا بجائزة نوبل، و 120 فائزًا بميدالية عالميّة كبيرة، وجامعة تورنتو في كندا تتميّز بحجمها الضّخم حيث تضمّ أكثر من 80000 طالب من 150 دولة على مستوى العالم، و20000 عضو من الموظّفين وأعضاء هيأة التّدريس، كما تتضمّن 44 مكتبةً تحتوي على 21 مليون مجلد أو أكثر، وقد قامت بتخريج عشرة (10) من الفائزين بجائزة نوبل.

5-لا مستحيل في الحياة: إنّ مسألة التّخلّف عقدة حضاريّة أسبغت علينا السّخط، وقبلناها رهطًا رهطا، وغطّينا صوابها بالغبط، وكنا فيها من أهل الشّمطا مسلمون رضينا بها المعطى، وهي غلط في كلّ أبعادها غمطًا وخبطًا. لقد قبلناها بسهولة وقلنا هناك صعوبة اللحاق؛ وهي أكذوبة كبرى أمام حضارتنا العربيّة الإسلاميّة التي أنارت العالم، ووسمنا ضعفَ العربيّة حقيقة، وهي خرافة لا محلّ لها من الوجود الحقيقيّ، فهناك تاريخ ومعطيات النّهوض قائمة في تأثيرها على غيرها أيّام النّوم الأوروبي في العصور المظلمة على الغرب، وهي عصور التّنوير عندنا بما لنا من دين ولغة عالميّة، لها موقع في كلّ العالم.

صدّقنا كلامًا مُغلّفًا بالتّخلّف، وأغفلنا المشكلات الحقيقيّة التي هدرت طاقات الأمّة، وتركناها في آخر المشكلات، وكما يقول (مالك بن نبي) إنّ العالم الإسلاميّ راح يهدر طاقته في حلّ مُشكلات جزئيّة مُتغاضيًا عن المُشكلة الكليّة التي تحتوي كلّ تلك المشكلات ألا وهي مشكلة الحضارة. لا مستحيل أمام حضارتنا العربيّة الإسلاميّة، ونحتاج فقط إلى رؤية واضحة لما نريده أو ما نريده مِن مُؤسّساتنا، وهنا نحتاج إلى صياغة مشروع النّهضة للخروج من التّخلّف واللحاق سهل باستكناه وصفةِ الأجداد أيّام كان لهم وجود في صناعة الحضارة العربيّة الإسلاميّة التي أعطت أكثر ممّا أخذت، بل كان لها الوجود العالميّ في وقت كان السّبات يُطبّق على الغربيّين.

6-النّخبة الوطنيّة وصناعة التّنميّة المستديمة: هي مآلات منتظرة، وفي واقعنا مآلات بين الأمل والواقع؛ لأنّ المعضلة تتعلّق بنمط القيادة التي تقود عمليّة التّغيير الحضاريّ، ومدى وعيها واستيعابها للمُعطيات المُختلفة للواقع المعاصر ولما يتطلّبه القيام بمشروع بناء الحضارة من جديد من وضوح للرّؤية، وتوفّر منهج شموليّ متكامل للتّغيير. والحديث عن التّنميّة هنا يتّجه أساسًا إلى الجامعيّين والعلماء والمُجتهدين والمُثّقفين، وإلى النّخبة التي تقود المجتمعات نظريًّا وتطبيقيًّا مرتبطًا بين التّصوّر الذّهنيّ وقابليّة التّحقيق. وعلينا أن نزرع الأمل في واقع به أشواك، وهذا ما هو منتظر منّا، برفع اتّهامات التّيئيس في أن نكون في واقع مهترئ.

أمل يخرجنا من النّفق؛ لأنّ المستقبل كفيل بالتّغيير الإيجابيّ، أليس في وسعنا أن نبادر بِفِعْل المُعجزات التي تحوّل مسار التّاريخ في لحظاته المدلهمة وتنير الدّرب بفعل تجاوزها ليوميات الأحداث، من خلال قدرتها على استشراف المُستقبل، ورسم مَسارات العمل المُستقبليّ، والحدّ من الخسائر، وحفْظ المحتوى العقائدي لما تحمله من أفكار، حتى لا يفرّغ من محتواه أو يُحوّر أو يُبدل. كلّ هذا مُمْكن تحقيقُه عبر مسارات الصّبر والمصابرة والمرابطة وعبر رباطات البحث العلميّ الحامل للأنوار، وما سوف تحمله النّخبة في وعيها من آمال الجماهير وما سوف تُقدّمه المؤسّسات بكلّ أنواعها من مُواكبة نمَط التّحوّلات السّريعة والهائلة التي تحدث بفعل عصر العولمة الذي نعيشه. ولذلك فالنّخبة قادرة على صناعة تنميّة مستديمة، بصياغة المجتمع وفق التّطلّعات التي تؤمن بها، وحريّ بها وبمختلف طبقاتها أن تحمل في وعيها آمال الجماهير، بل من المفترض أن تكون المُعَبِّر عن آمال وتطلّعات النّاس من جهة، وأن تكون مِجسّات الوعي من جهة أخرى، وتكون قد أغلقت على نفسها كلّ نقيصة تُسجّل إذا لم تكن عُضْوة أو انكفأت على نفسها بعيدة عن الواقع. ومن هنا نرى المُثقّف أو العالم أو المُفكّر أو الباحث، عونًا لمجتمعه للخروج من تخلّفه أو أزماته، فإنّه يعمّق الشّرخ، ويدخل في زيادة التّأخير للمجتمع، ويبعده عن كلّ تقدّم.

ونحن في رسالتنا الاجتماعيّة كنُخبة نحتاج إلى وعيٍّ رساليٍّ حقيقيّ يكون حملًا لهموم الآخرين. ولهذا إخواني إنّ النّخبة مَدْعَوَّة لمُراجعات جوهريّة في الذّات العُضْوة، وفي ترتيب الأولويات ووضْع حدّ فاصل بين القيَم المَبدئيّة التي لا يمكن أن تتغيّر، وبين المواقف والخطوات الإجرائيّة التي يمكن التّراجع عنها أو تغييرها أو تطويرها أو تجاوزها إلى ما هو أكثر نضْجًا ونجاحًا وقابليةً لتحقيق مَقاصد القيَم الأصليّة المَبدئيّة وتحقيق مَصالح الأمّة.

الخاتمة: نُؤكّد أنّ التّنميّة المستديمة مشروع حضاريّ لا بدّ أن يكون للحاق ولا يأتي إلاّ من نخبة أمثالكم، وأنّه من الضّروريّ العمل على بعث الحضارة العربيّة الإسلاميّة من جديد، عبر النّخبة المثّقفة التي تُعيد ترميم بناء رؤيّة واضحة تستطيع من خلالها تحديد القيَم والمبادئ الكُليّة، وتحديد المنهج ذي الإجراءات العمليّة لتحقيق مَقاصد هذه القيَم في دُنيا النّاس. وأنّ كلّ تغيير يبدأ من فرد له رُؤية مُختلفة، ومن ثمّ يلتفّ حوله المُريديون، ويتحوّلون إلى مُؤسّسة تُنتج خريطة عمل في تفاصيل التّغيير، فخريطة التّغيير تحتاج إلى نُخبة مُتخصّصة لصياغتها.

أيّها الزّملاء قد أُشْغِلكم بهذه الهموم، ولكن وجدتُ هذه الفرصة سانحة ولأكون معكم عبر هذه المحاضرة، وأنقل لكم الأمانة التي نريد تبلغها للجيل القادم في أن يكونوا خير خلف لخير سلف. وأمّا أنا وبعض منكم نردّد قول الشّاعر:

صُرمتْ حِبالُك بعد وصْلِك زينبُ ❁ والــدّهرُ فيــه تَصَــرُّمٌ وتقلّــــــبُ
ذهبَ الشّبابُ فما لـه من عَـوْدَةٍ ❁ وأتــى المَشــيبُ فــأينَ منــهُ المَهْــرَبُ

هي كلمات تَخطّى فيها القلمُ قسْطا، وأخذ فيها مداه بما خطَّ، ويكشف ما تغطَّى، بِعَرْضِ أفكارٍ سَمْطًا، ونأمل أن تنالَ موقعَها وسْطًا، ودون طأطأة الرّاس وبلا خلْطًا، ولا يغمط فيها الشّرطا، فمن قَدِرَ على أن يكون مُعطَى، فلا حرج إذا حصل الغمْطًا، ولكن نريدها أن تكون نطًّا مُمِطّا، تصل دون فُرطا، وقد تواطأنا عليها سعْطا وشرْطا، ونروم أن تُحقّق المطلوب دون غلطًا، واسمحوا لي إخواني إذا وقفت في هذه النّقطة.

مُنَاسَبَةٌ وَكَلِمَةٌ

في اليوم العالميّ لمَحْو الأميّةِ

وحديث عن تضييقِ الفجوةِ الرّقميّةِ*

الدّيباجة: إنّ هذا اليوم العالميّ لمَحو الأمِيّة وتعليم الكبار، فُرصة للتّحدّي والتّصدّي والمُطالبة بحقّ التّعلّم للخروج من التّردّي، هو يوم يُعدّ مُحرّكًا للتّنميّة المُستديمة، فضْلًا عن كوْنه جزءًا مُتأصّلًا في التّعليم، وشكلًا من أشكال التّعلّم مَدى الحياة، تنميّة مستديمة مَبنيّة على أساس الإنسانيّة كما هو مَنصوص عليه في الهدف الرّابع (4) من أهدافها. ومِنْ يطّلع على برنامج مَحْو الأمِيّة يلمس أهميّة مَركزيّة التّعليم كشكل من أشكال مِحورُه خروجُ الإنسان من آفة النّسيان؛ باعتباره لبنةً أساسيّة من لبنات المجتمع، وحقّه في نيل التّعليم الذي يجعله سويًّا، نظرًا لدوره في نقل المجتمع من اللاشيء إلى الشّيء، وأنّ الاهتمام بالموارد البشريّة هي عماد الحضارة والتّقدّم، وهذا ما يُجْلِبه الفردُ من خلال تمكينه من المعارف في الجانب الفكريّ، وما يلحقه من تحسين ظروف حياته مِن خلال توسيع إمْكانياته العلميّة؛ كي يعيشَ الحياةَ التي يراها جديرًا بها، ولا يكون ذلك إلاّ بملاحقة عصره، وهو ما يجعله إنسانًا سويًّا بكامل معارفه.

وهكذا تسعى الدّولة الجزائريّة لمَحْو الأمِيّة بشتّى أشكالها، وتبذل وزارة التّربيّة الوطنيّة جهودًا لتخفيض نسبة الأميّة كلّ سنة، بما لها من برامج تدريبيّة وأنشطة قرائيّة، وحلّ المشكلات الكتابيّة، وتشفير الأجهزة العصريّة، ونرى تَعافِيًا مَلْحوظًا في ذلك من خلال البرامج التي تُطبّق في مَراكز مَحو الأميّة لضمان استمرار التّعلّم الوجاهي، وكذلك ما ظهر خلال الجائحة من التّعلّم عن بُعْد، والتّعلّم عبر المُراسلة وكلّ تلك التّعلُّمات أدّت إلى تعلّم فئات من صغار السّن، وكذلك الكبارَ الذين لم يُسْعفهم

---

* - الكلمة التي أُعِدّت لليوم العالميّ لمحو الأميّة. تنشيط جمعيّة (اقرأ) في مكتبة قَصْر الثّقافة (مُفْدي زكريا) 8 سبتمبر 2022م.

الحظّ في الجلوس على مقاعد الدّراسة، وكذلك بعض أصحاب العاهات. ولا نجحد القول بأنّ تعاقب الزّمان حصل خلاله انفراجٌ نسبيٌّ في انخفاض الأميّة كلّ سنة وهو انخفاض ملموس، بفضل جهود الدّولة من خلال الإصرار على رفع الآفة الخطيرة التي تعلق بالمجتمع، واستطاعت تلك البرامج المختصّة أن تُنجز بعض المَهَمّات الصّعبة والتي أدّت إلى حلحلة نسبيّة في أزمة القراءة والكتابة، ومن ثمّ في الوقت الحاضر بدأ يحصل فكّ بعض ألغاز الفجوة الرّقميّة، فضلًا عن القُدرة على استخدام التّكنولوجيًّا ولا تزال آفاق تطوير هذا الميدان التّعليميّ قيد التّحسين، ولم تنس الوزارة مهامها في ملاحقة الجديد، ومنها جديد عالم العولمة في نشاط التّعليم المبرمج عن طريق وسائل التّواصل الاجتماعيّ.

وفي هذا المُقام نُنوّه بِمَجْهودات جمعيّة (اقرأ) التي استثمرت في ثاني ملتقى عن المَعلوميّات، وتختار هذه السّنة موضوعَ (**تحدّيات أمْن المَعلومات في إطار مَحْو الأمِيّةِ الرّقميّةِ**). ونِعْم الاختيارُ. وعلينا أن نَشدّ على عضُدَها، ونُثمّنَ ما تقوم به من انتشار وطنيٍّ، وما تقوم به من مُنجزات، وشراكات، ومُبادرات، ولذا علينا جميعًا أن نُبادرَ ونُبادر لردْم كلّ فجوات الأمِيّة، وهذا يستدعي منّا التّكاتف الجمعيّ من وزارات ومجتمع مدنيّ، ومبادرات الأفراد، وفي ذات نحتاج إلى التّحليّ بالصّبر والمُثابرة والمُرابطة؛ تحقيقًا لما هو أفضل، والطّريق تصنعه الأقدام. وليس المُهمّ أن ننجحَ أوّل مرّة، ولكنّ المُهمّ أن يُفتَح هذا المِلَفّ الذي يخلّ بالمَنظومة الاجتماعيّة لعمُوم الجزائريّين، وسننجحُ لاحقًا وبخاصّة أنّ النّوايا صادقة، والعزيمة ثابتة، وَلِمَ لا نصل في القريب إلى صِفر أميّة على غرار دُول لها الإشباع اللغويّ في لغاتها، وقد وصلت إلى الرّفاه الاجتماعيّ في كلّ شيء.

أيّها الحضور، إنّ الأميّة آفة خطيرة، والأميّة المعلوماتيّة آفة مُضاعفة، باعتبارها تفرض نفسها في وسائل التّواصل والتّراسل، وفي أجهزة البيت، وفي وسائل النّقل وفي الإدارات، وفي كلّ المُرافقات، وفي ألفاظ الارتفاق اليوميّة. فما العمل في هذا المَجال؟ أنترك الأمرَ للزّمان يفعل فعله، ولعلّه كفيل بردم آفة الأمِيّة، هذا ليس حلًا، والحلّ في التّخطيط التّربويّ، وفي والإعداد العلميّ والبشريّ والتّربويّ بكلّ مُستلزمات هذه الأميّة لمَعرفة مَواطن الخلل، لأنّ المَوضوع ليس بسيطًا، بل عبارة عن مُجتمع نصفه صحّي

ونصفه يتعافى بِبطْء، أو عبارة عن قطار جديد، وضع على سكّة قديمة، فهنا لا يحصل المَطلوب بين الطّموح وبين الاستعدادات، وعلينا أن نكون فقط، وليس المَطلوب منّا الانتظار ليفعل الزّمان فعلَه القديمِ في زيادة التّأخير.

1-حديث عن موضوع هذا اللقاء: يجب الوعيُ بمسألة تجانس المُجتمع عندما يكون المُستوى اللغويّ والثّقافيّ مُتقاربًا، والتّفكير يكون مُختلفًا في المَنهجيّة، وهذا طبيعيّ جدًا، ولكن الهدف واحد، وبذا يفيد المُجتمع بعضه بعضًا، ويعمل في بناء أساس وطيد لتعافٍ وطنيّ مِحورُه الإنسان الذي تدور عليه الدّوائر في الحاضر وفي المستقبل. إنسان مُواطن مُسلَّح ببعض المَهارات التي تكفل له القراءةَ والكتابةَ باستخدام التّكنولوجيا، وهذا ما يُعطي لليوم العالميّ لمَحو الأمِيّة بُعدَه الحديث بعدم العيش في تخلّف الماضي، ويكون فرصةً للتّدريس والتّعلّم لأغراض مَحو الأمِيّة في كلّ مَناحيها وبخاصّة المَنْحى الحديث، أُمِيّة الإغفال عن توظيف التّقانات الرّقميّة الحديثة، لكن بمِنظار ومَنظوم جديد؛ مِنظار يُحقّق الاهتمامَ بالإنسان المُتعلّم على أنّه جدير بالعيش ضمْن التّحوّل الرّقميّ في صُوَرِه الدّنيا، ويكون ابنَ عَصْره ومَصْره، بفتح النّوافذ لا قلع السّقوف. وهذا لا يُمكن أن يَتَحَقَّقَ إلاّ بضمان إتاحة تعليم شامل مَجانيّ وجيّد للجميع ولكلّ أنساق المجتمع، ومن خلال ذلك يحصل تشجيع التّعلّم مدى الحياة.

وترانا اليوم بتدبير جمعيّة (اقرأ) نحتفي باليوم العالميّ لمَحْو الأمِيّة وتعليم الكبار وهي فُرْصتنا للتّعبير عن انشغال مُنظّمات المُجتمع المَدنيّ، وأصحاب المَصلحة؛ لإبراز التّحسينات التي طرأت على مُعدّلات الإلمام بالقراءة والكتابة، والتّفكير في بقيّة تحدّيات مَحو الأمِيّة في وطننا، ويحدونا الأمل بِمَعيّة وزارة التّربيّة الوطنيّة أن يُولَى مَوضوعي (القرائيّة) و(الكتابيّة) كلّ الأهميّة، فهما مِفتاح كلّ مَعرفةٍ، وباب استخدامِ التّقانة، وأن تُتيح النّظم التّعليميّة التّدريب التّعليميّ لتلبية حاجات الأجيال الشّابّة التي لم تدخل مُعترك الحياة بعدُ، وأجيال البالغين الذين لم يَستفيدوا من الحدّ الأدنى الأساسيّ من التّعليم القاعديّ. وينبغي في هذا المقام أن تشتمل خُطط التّعليم الوطنيّة على مَفاهيم التّعليم للأطفال بكلّ فئاتهم، وعلى مَشمولات تعليم الكبار بحسب مِهَنه، والعمل على تدريب مَحو الأمِيّة للطّرفين باعتبارهما عُنصريْن مُتوازنيْن.

وبخصوص هذه المناسبة نروم أن تشملها الفعاليات العلميّة، وتوزيع الجزائر والإشادة بالعاملين في الميدان، وبأصحاب الهِمم الذين تَحَدّوا المُضايقات الجسديّة وبِكبار السّن الذين لم يوقفهم العمْر لتحقيق تعليم مَدى الحياة، ومَحو الأمِيّة في كلّ الأزمان والأوقات، وما يتبعها من خُطط تربويّة بِمَدى أهميّة مَحْو الأمِيّة؛ كوْن مسألة الأمِيّة قضيّة خطيرة ومهمّة في المُجتمع، وخللًا يجب سدّه في السّريع؛ لإحداث الانسجام المَطلوب في التّنميّة المُستديمة، أضف إلى ذلك أنّ مَحو الأمِيّة من كرامة وحقوق الإنسان. ولذا فهي من التّحدّيات التي يجب أن يقع لها تخطيط في السّياسة التّربويّة؛ لتحقيق استدامة التّعليم، بما في ذلك التّعليم عن بُعد أو بالمراسلة أو عن طريق الفيديوهات التّطبيقيّة. ولا بدّ من العيش ضمن هذا التّحوّل الرّقميّ السّريع للقضاء على الفجْوَة الرّقميّة بين الأجيال، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، علينا استلهام آليات اليوم العالميّ لهذه السّنة ضمن:

- **تبرع بالكتب للفصول الدّراسيّة المَحليّة؛**
- **تقديم هديّة كتاب أو مُعجم؛**
- **تأسيس مَكتبة القراءة في كلّ حيّ؛**
- **تأسيس نوادٍ بمُسمّى (خذ كتابًا، وأعدْ كتابًا).**

وفي كلّ هذا نحتاج إلى أفكار مُبتكرة لفعاليات مُبتكرة، نحتاج إلى ربط القَوْل بالفِعْل، ليتمّ ظهور النّتائج من خلال جَهد سنة في الاستثمار في تعليم مَحْوِ الأمِيّة وتعليم الكبار، فهل أينعتْ هذه السّنةُ عن قيمة مُضافة يُمكن تثمينُها والاعتزازُ بها. وعليه، كُلّما يكون الحافزُ والتّشجيعُ والمشيخةُ المُستقيمةُ، والقُدوةُ المِثاليّةُ، والتّواصلُ التّوجيهيُّ جادًّا؛ ستزول المُثَبِّطات، وتكبر الهِمَم، وتنهال المُبادرات؛ وتأخذ مجاريها في الماجريات؛ وبذلك تنال المآلات.

تِلْكُم أشياءَ بصُرنا بها، ونحن نُسهم في تكوين أركان للكتاب في مختلف التّجمّعات، ونحضر مُنوّعات مِن مَنتوج مَحْو الأمِيّة، ومِن إبداعات ذوي الهِمَم ومن اجتهادات السّيدات المُتعلّمات اللائي يَحضرن دروس مَحو الأميّة كلّ يوم ثلاثاء،

وهنّ في كلّ الأقاصي من الجبال والصّحاري يتحديْن كلّ المُضايقات وقد أفلحن في حِفْظ القرآنِ والشِّعْر والأناشيد، فهنا العظمة التي كَبُرَتْ بها جمعيّةُ (اقرأ) لما تحمله من مُبادرات. وهمُّها ربْحُ المَعركة على الأميّة دون التّنازل عن حرب مَعركة الأمِيّة التي تحتاج إلى جهود الجميع، ولا نملك إلاّ أن نعضد هذه الأفكار بالجُهود الفكريّة والتّشجيع والإغداق، ونقول لأصحابها في جمعيّة (اقرأ): إنّ حُسْن الكلام يعطي النّتيجة بالسّلام، ونَحُثُّكُم على الاستثمار في مَحو الأمِيّة؛ باعتبارها جِسْرًا للعُبور من البُؤْس إلى الأمَل، وهذا ما يجب أن يكون شعارَكم لإعطاء الأمَل لكلّ الذين يريدون أن يكونوا أسْوِياء مثل غيرهم في القراءة والكتابة وتشفير الإعلام الآلي، وأن تكونوا أنتم أقْوِياء بسلاح العِلْم؛ وهو الوسيلةُ المُثلى الذي يُمكن أن يقع من خلاله التّغيير نحو الأفضل، وهو تغيير العالم.

فدعونا نُبادر لنقول لكم: إنّ كتابًا واحدًا، وقلمًا واحدًا، ومُتعلّمًا واحدًا، ومُعلّمًا واحدًا يُمكنهم أن يُغيروا العالم، نُعلّم الصّغير والكبير، نُعلّم البنت والمرأة، فنحن نُعلّم الجيل الحاضر والقادم. فهل هذا من المِعْجِزات، أو من ماء البحر الذي لا يُشرب؟ بلى؛ إنّه القدر الذي يمكن رفعه، وما ضاع حقٌّ وراءه طالب، وما دامت المبادرات لها الدّيمومة، أبشر فإنّ نتائجها مَضمونة، وعلينا وعليكم أخذ المُبادرات بالقوّة النّاعمة، وبالسّلاح الحديث؛ سلاح رفْع كلِّ الفجواتِ التي تُعيق تنميّةَ المُجتمعِ كَكُلٍّ.

2-ضرورةُ تغييرِ نمطِ النّظرةِ لآفةِ الأمِيّةِ: ما يجب علمه بأنّ المُجتمع الذي فيه فئات مُتعلّمة، وفئات ناقصة التّعليم، وفئات غير مُتعلّمة، هو مُجتمع أعرج يسير برِجْلٍ واحدةٍ، فلا يُمكنه اللِّحاقُ. ولذا علينا سلوكَ نظرةٍ جديدةٍ للقضاء على آفة الأمِيّة، والعمل على تدبير جديد في تغيير النّمط القديم الذي علقت به بعض التّرقيعات، ولحقته مختلف التّطبيقات دون رجْع الصّدى، ونحن نعيش التّاريخ المجيد في العهد الجديد بمُسمّى **(الجزائر الجديدة)** يمكن أن يكون الجديد، بعد ستين (60) سنة وآفة الأمِيّة تُلاحقنا، ألا يمكن أن نكون على غرار كوريا الجنوبيّة+ إيسلندا+ كوبا+ الدّانمارك+ السّويد+ المجر... وكلّها تعيش بصفر أُمِيّة. يمكن ذلك

إذا أعدْنا النّظر في منَظومة التّربيّة والتّعليم وفق بُنى حديثة وهذا يستدعي المَلْمَح الجديد الذي يُلغي كلّية المَنهج القديم، باعتماد نمَطين هما:

1/2-نمط مَحْو الأمِيّة لا يكون إلاّ باللغة الوطنيّة المشتركة: وهذا ما تقوم به كلّ الشّعوب في مَنظوماتها التّربويّة والعِلميّة، وإنّه ما ارتقت أمّة في العالم بغير لغاتها، والمَثَل الكبير في هذه الشّعوب المُتقدّمة، ونقصد الكبار الثّمانيّة/ G8 والكبار الاثنين والعشرين/ G22، بعضهم قضى على الأميّة في الاستثمار في لغته فقط. لماذا التّركيز على اللغات الوطنيّة؟ لكي لا نخلق في مُجتمع واحد فئتين: فئة عالمة لها لغة أجنبيّة (نخبة غير عضويّة) وهي من أصحاب التّعالي وفئة من أصحاب اللغات الوطنيّة (فئة عضوة) دون أصحاب الفئة الأولى ويعدّون من الدّهماء والغوغاء؛ بسبب عدم تحكّمهم في اللغة الأجنبيّة.

ومَحْو الأميّة باللغات الوطنيّة مَنظور وطنيّ بامتياز، إن لم نقل إنّه نوع من التّفكير المشترك في لاحقٍ من الانسجام الجمعي الذي تخلقه اللغة المشتركة، وكي لا يكون في المجتمع مجموعات من المنفيّين في لغتهم، وقد استقطبتهم اللغة الأجنبيّة التي أصبحوا جزءًا منها، فقد نُقلوا إليها طوعًا أو كرهًا، فأصبحوا زيادة فيها، ونقصًا في اللغات الوطنيّة، ذلك هو المنفى اللغويّ الذي يعطّل التّنميّة المجتمعيّة؛ لاختلاف المنهجيات، وبالطّبيعيّ يكون الخلاف في المآلات. وهي المعضلة التي وقعنا فيها، ولم نستطع الخروج من شرنقة اللغة الأجنبيّة التي لم تقدّمنا، وقد قدّمت بلدها فقط.

2/2نمط التّخلي عن المَنهج والطّريقة التي لم تؤتِ أُكُلَها: ونقصد هنا ضرورة الابتعاد عن إعادة رسكلة المنهج القديم الذي لم يأتِ بنتيجة، ونُحاول ترقيعه ببعض الأفكار الحَيْنيّة، دون الذّهاب إلى استئصال المُشكلة، ومَثله في ذلك مثل تجربة إطلاق مَشروع القِطار الجديد TGV بعدما رأتْ الدّول المُتقدّمة أنّ القِطاراتِ القديمةَ لم تَعُدْ تُواكبُ العصرَ والتّكنولوجيا الجديدة، وأنّ كُلْفَتَها لا تتوازي مَردوديتها، وأنّ عليها أن تقومَ بإنشاءِ نظامٍ مُوازٍ يُمْكِنُه مَعَ الأيّام أن يكون بَديلًا جِذْريًّا لمَنظومة النّقل القديمة. وأنّها كانت في مَخابرها ومَصانعها قد بدأت في

تصنيع قاطرات فائقة السّرعة، جديدة الدّفع، دقيقة التّحكّم، تعتمد في إدارة شؤونها على الذّكاء الاصطناعيّ، وتختصر الزّمان، وتطوي المكان، وتجعل الرّحلة أكثر رَفاهيّةً وأمْنًا. لم تُفكّر الشّركةُ المصنّعة للقطار السّريع يومها في وضع هذا القِطار الجديد على السّكة القديمة، لأنّها تَعْلَمُ يقينًا أنّها لا تُناسبه وأنّها سَتُفْسِده، وأنّها ستحدُّ من سُرعتِهِ، وتُقلّلُ من قدراته، بل تَشلُّه وتُعطِّلُه. فكان أمامَها من الضّرورات أن تُنشئ أرضيّةً قاعديّةً جديدةً، بمَعايير خاصّة يُمليها عليها القِطارُ الجديدُ بما يحمله من خصائص وإمْكانات، بل وتتخطّاه الأرضيّةُ الجديدةُ إلى نَماذج أخرى أكثر تَطوّرًا ستتوالى بعده لعشرات السّنين القادمة. لم يُطلَقِ القِطارُ الجديدُ على السّكة القديمة، ولا على نظام السّير المُخصّص عليها، ولا بمَنظومتها الإشاريّة المَعروفة، وإنّما أُطلِق على سكّة جديدة لها تمهيدها الخاصّ الذي يناسب القِطار الجديد وإمْكانياته، وتتسع لأجيال أخرى من بعده. لقد عملوا بالتّوازي مع صناعته وتهيئة الأرضيّة له، على استنان مَنظومته الإشاريّة، وتكوين أطْقُمِه العاملة. ولمَّا انطلق القِطارُ الجديدُ في أوّل تجربة كانت كلّ المُرافقات المُتّصِلة به تنطلق هي الأخرى في اللّحظة نفسها وبالقوّة نفسها، وأرباح القِطار اليوم وعائداته خياليّة بسبب تلك التّهيئة، وذلك التّجانس الدّقيق.

والعِبْرَة من هذا ألاّ يخرج التّفكير في **مَشروع المَنظومة التّربويّة العِلميّة** التي من واجباتها وضع مَحْو الأمِيّة على المَحَكّ؛ لأنّنا إذا عملنا بمبدأ الإصلاح التّربويّ القديم؛ فإنّنا سنعمل بفكرة التّرقيع المَوضعيّ للمَشاكلّ؛ وأنّنا كلّما خِطْنَا مَوْضعًا وأصلحناه، اهترأ المَوْضعُ الآخر، وتداعَى لعدم الصّلاحيّة جرّاء التّقادمِ والفسادِ. ومن ثمّ كان من الأجدر حِفْظًا للجهد واختزالاً للزّمن، أن نبدأ من الأساسات الأولى، بمعنى: التّخطيط، وإعداد الهياكلّ، وإطلاق المَشْروع. وهي حركات مُتزامنة تسير مَعَ بعضها البعض حتى لا يعترضها طارئ يُخرجها عن حقيقتها.

3تحدّيات أمْن المَعلومات: لا يمكن الاستفاضة في هذا المَوضوع، ولكنّه يحتاج إلى توجيه وترشيد وحُسْن تدبير؛ لأنّ الإنسان ليس آلة، فالمفروض هو الذي يُروّض الآلة التي أَبْدَعَها، ولا يكون عبدًا لها، فيصبح تابعًا مُتبلّدًا لاهِيًا أضِفْ إلى

هذا أنّ المُتعلّمين في مَرحلة مَحو الأمِيّة ليسوا ضمن الصّغار كي يُراقَبوا أثناء استعمالهم الوسائل التّقانيّة، والأحقّ أن يَعْرِفوا أبجديّات الولوج إليها بسهولة، كي يضْمَنوا التّعليم المُختصّ بالكفاءة التّقنيّة والمِهْنِية، والتّعليم المُختصّ بالرّعاية الاجتماعيّة والحياة الأسريّة والصّحة، والتّعليم المُختصّ بالمَجالات السّياسيّة، والتّعليم المُختصّ بتحقيق الذات، والتّعليم التّعويضي؛ وهو أهمّ نوع من برامج تعليم الكبار. والغرض من كلّ هذا القضاء على الأمِيّة المَعلوماتيّة ليس إلاّ، وفي ذات الوقت العمل على تحقيق التّعليم القاعديّ في صوره المَهاراتيّة: السّماع+ القراءة+ الحوار+ التّحليل+ الكتابة لجميع الأعمار.

والذي يمكن الاعتماد فيه على التّقانات الحديثة، وكيف السّبيل للتّعايش مع المَحمول أو الحاسوب أو وسائل الشّابكة. هي مُدركات ومن ضروريات العصر، بما تُقدّم من فوائد يمكن أن تحصل مع الإصرار وطول الاستعمال. وعلينا اتّخاذ المَحاذير مِن الانقلاب من التّعليم المُضيف إلى التّضليل الكفيف، أو إلى تلبيّة الشّهوات بما لا يُنيف. ولهذا لا بدّ من أمْنٍ مَعلوماتيٍّ يكون عن طريق تطبيقات تعليميّة واضحة؛ تُقدِّم المادةَ العلميّةَ ببساطة مع صُور غير مُخدشة للحياء، ولا تخرج عن المألوف والعُرف، ويُحسن بنا من البداية توضيح رؤيّة هذا التّعليم التّقانيّ ببنية قاعديّة، وبتنسيق مع المُعلّم والمُتعلّم وصاحب البرنامج؛ لأخذ تدابير الوقاية من كلّ الأخطاء والأخطار، ولا يحسن أن يكون التّعليم التّقانيّ الفرديّ عن طريق السّيبيرانيّين، فهو مَضيَعَة للوقت فقط.

وفي كلّ هذا، يبدو لي بأنّ الضّرورة المُعاصرة تتطلّب التّسلّح بالأخلاق والقِيَم كما تتطلّب تحمّل المَسؤوليّة لينحسر الفشلُ، فعلينا التّماهي في تحدّيات أمْن المَعلومات بمَعرفة الإيجابيّات والسّلبيّات، وهو لأمْر جلل تُواجِهُهُ المُؤسّسات في سبيل تحقيق هدف أمْن المَعلومات؛ وهو حماية البيانات من التّلف أو السّرقة أو التّدمير أو الوصول لما هو غير مَشروع، وتنطبق نفس الأهداف على الأنظمة المَوجودة لدى الأفراد على حدّ سواء.

وهنا لا بدّ من وازع أخلاقيٍّ وثقافيٍّ واجتماعيٍّ، ويكون مُنطلقُه أنّنا نريد العيش ضِمْن المُعاصرة، ونريد التّغيير، وهو مِنْ أهمّ عوامل القوّة النّاعمة، والقدرة على التّصدّي للهجمات، إضافة إلى زرع الوعي الدّائم لدى المُتعلّمين؛ وهو القُدرة على الإحساس والمُراقبة والمُتابعة والوعي بما يحصل له من تغييرات ومَخاطر تحيط به، وهو في الأساس مُصطلح عسكريّ تمّ تطبيقه على مَجال أمْن المَعلومات. وإنّ الوعي بأمْن المعلومات أمْرٌ مَطلوبٌ وعاملٌ رئيسٌ مِنْ عوامل النّجاح في كلّ المَجالات ولا سيّما أمْن المَعلومات ذات العلاقة بالوطن أو بالخصوصيّات. ولهذا علينا الوعيَ ونقل الوعي للغير بالمَخاطر التي تُهدّد أمْن المَعلومات، بالمُلاحظات الدّوريّة والمُراجعات الدّائمة ورسم الحدود ومَعرفة الإمْكانيات والمَوارد، وبناء مَعايير السّلوك والاستخدام والعمل الطّبيعيّ التّطبيقيّ، والقدرة على كشف أيّ انحراف والقدرة على التّمييز بين الاستخدام الطّبيعيّ وبين الضّار.

وفي كلّ هذا علينا تحقيق الوصول إلى استخدام الشّابكة، ومن ثمّ تأتي المَوثوقيّة والنّزاهة والتّكامليّة والتّوافريّة، وهي مُحدّدات يوصي بها الغوّاصون الذين لهم شأن في الهُجومات الشّبكيّة، وكذلك لا ننسى السّريّة؛ ونعني بها عدم السّماح للأشخاص الذين لا يحقّ لهم الاطلاع على المَعلومات. ومن الضّروري أن يكون هناك وازعُ الرّدعِ في حالة الإخلال بمُدوّنة أخلاق المُستعمل للأجهزة؛ بالتّنبيه إلى الكُلفة الماديّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة التي تصل إلى حدود الإجرام، مع ما يتلوها من تبعات ردعيّة تصل إلى السّجن.

ونرى كم تخسر بعضُ الدّول نتيجة الهجمات السّيبرانيّة وانتهاكات البيانات، وتستنزف الشّركات والدّول بشكل فاقَ تأثيرَ الصّراعات والحروب حول العالم، بحيث بلغت التّكلفة التّقديريّة للجرائم الإلكترونيّة على الاقتصاد العالميّ نحو 600 مليار دولار أو ما يعادل 1% من النّاتج المَحليّ الإجماليّ العالميّ مقابل 450 مليار دولار عامّ 2016. ولم "تعد الحسابات المَصرفيّة الشّخصيّة فقط هدفًا لعمليات القرصنة، وإنّما امتدّت إلى البورصات العالميّة. لذا تسْعى الدّولُ والحُكوماتُ للحدّ من الجَرائم الإلكترونيّة عبر وضع قوانين وتشْريعات وفرْض

عُقوبات على مُرتكبي هذه الجرائم، بالإضافة إلى تفعيل أحدث التّقنيّات والوسائل للكشْف عن هُويّة مُرتكِبي الجرائم، ونشر التّوْعيّة حول الجرائم الإلكترونيّة ومَخاطِرها، وتعريف الأفْراد بكيفيّة الحِفاظ على مَعلوماتهم وخُصوصيّاتهم، كحِساباتِهِم المَصْرفيّة وبطاقاتِهم الائتمانيّة".

وفي الختام، أرجو أنّني أحطتُ المَوضوع ببعض الأفكار التي بصُرتُ بها وأنا في هذه الاحتفائيّة العالميّة الخاصّة، وأسعد أن تكون في مُستوى خدمة الثّقافة الوطنيّة، والثّقافة جزء من مَحْو الأمِيّة، وهي مِلْكٌ للمُستعمِل، مِلْك لكلّ الفئات العُمْرِيّة، ولكلّ فئات المُجتمع، وأخصّ أصحابَ الهِمَمِ الذين أُجزلُ لهم آياتِ التّقدير على رفع التّحدّيات وهم في وضْعهم يقولون: نحنُ جبهةُ التّحدّي، وعليكم أن تكونوا جبهةَ التّصدّي، والنّجاح صناعة جماعيّة. وهكذا أيّها الحضور، أقول: دامت جمعيّةُ (اقرأ) في الصّدارة، ودُمتم أيّها العامِلون من أجل الشّأن العامّ، فأنتم من الخالدين الذين لا يمُوتون، وإنّما يتناسلون في الأغيار، وعلينا أن نَغِيرَ على بلدنا، ونتسابق في من يُقدّم الأفضل، وإلى لقاء قادم، ببرنامج جديد غير قاتم وبمشروع جديدٍ مُضيف، وفي ذات الوقت مُنيف.

مُناسَبَةٌ وكَلِمَةٌ

من أجل أن نكون، وإلاّ لا نكون*

الدّيباجة: "يا شباب الجزائر إمّا أن تكونوا أو لا تكونوا" مَقولة أثريّة لذلك الشّخص الخالد (ابن باديس) الذي تناسلَ في هؤلاء الشّباب المُتفوّقين، شباب في عمْر الزّهور وهمْ أمَل الحاضر والمُستقبل، وهم صنّاع الفخر والمَجد عندما يُعلوْن المُقام، ويرفعون التّجلي في ما مَلكوا ويمْلكون مِن الطُّموح الذي دَفَعَهُم نحو النّجاح، وصِناعة المُستقبل. ولا قيمة لوجود الإنسان إن لم يكن طمُوحًا، وسرّ النّجاح يُحقّقه الذين يُواصلون المُحاولة بنظرة إيجابيّة للأشياء؛ ويعني التّحلّي بالإصرار، وامْتلاك مَدارج الإقلاع إلى النّجاح، وإن كنت مِمّنَ لا يمْلكون هذه المَدارج عليك أن تُشيّدها بنفسك دون النّظر إلى الفَشَل أو الانسحاب مِن عدمِ المُحاولة.

وهنا أدعو بناتي وأولادي الحضور إلى التّصرّف دون النّظر إلى الوراء، حيث الغزالةُ تجري ثلاث أضعاف أسرع من الأسد، ولكنّها دائمًا هي الفريسة؛ لكثرة نظرها للخلْف، وعليكم أن تصنعوا النّجاح مِن رؤيتكم أبعدَ مِمّا يراه الآخرون. وافهموا شيئًا أنّه لا تُحقّقون الأماني بالتّواكل، ولكن بالإرادة تصنعون المُعجزات ولا تتردّدوا؛ فهو عقبة في طريق النّجاح. ومِن خلال هذا المَوقع أُبارك لكم تفوّقَكم الذي يعود لحِرْصِكُم على النّجاح، وكذلك لما أعطاكم المُعلّمون من مَفاتيح المَغاليق، وسَهر ذويكم من أجل قطف الاستثناء والتّميّز. وأنْصحكم أن تمْحوا من مُخْيالكم كلمةَ (**مُسْتَحيلٌ**) فكلّ شيء مُمْكن، وافتحوا طمُوحَكم دون حدود، ولا تنظروا للفَشَل، فإذا لمْ تَفْشَلُوا فلن تعملوا بجدّ، ولكي تنجحوا عليكم أن يكون في مَقدوركم تحقيق النّجاح.

---

* - الكلمة التي أُلقيَت في المكتبة العموميّة (أمحمّد يزيد) بلديّة الخروب بقسنطينة، لصالح مُؤسّسة كيلالي لتشجيع طلاب العلم والمعرفة، بتاريخ 17 سبتمبر 2022م.

وأمّا شيخنا المِغوار، صاحب المُبادرات المِنْوار، فهُو مِن المُستثمرين في الشّباب النّوّار، فبخٍ بخٍّ عليه فهو مِن الأخيار، وحَسُنَ استثمارُه المُختار، ونُعدّه من صُحب (ابن باديس) الكُبّار، وينطبق عليه المثلُ الجزائريّ **"خادم النّاس سيّدهم"**. مَثَلٌ عُرْفِيٌّ قديم يُضرب لمَن يعمل على الشّأن العامّ، ويُؤثِر الآخرين على نفسه، ومَن يقوم بهذا يُعتبَر سيّدُ النّاس. والحاج كيلالي حفظه الله سيّدنا بكلّ إيجابياته، ولا يمْلك السّلبيات، وقد شرى نفسَه لله وللعِلْم، وقدّم نفسه ومُؤسّسته إكرامًا للشّباب لِسَبْقِهم في العلم، ونِعْمَ ما يقوم به من تحفيز واستنهاض الهِمم فقد طارت آفاقه في كلّ ولايات الوطن، وأصبح بيتُه وبلديةُ الخروب مَحجًّا للمُتبارزين في مَن ينال وِسام (الحاج كيلالي) في المُستطيل الذّهبيّ، وهو الرّجل الصّدوق والمُؤثِر غيرَه على نفسه ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الحشر(9).

وأصل الإيثار الرَّحمة واللّين، وتعظيم الأخلاق الحسنة، وتشجيع المُتنافسين وطرْد الشُّح والرّغبة في التّحلّي بمَكارم الأخلاق. وأعلمُوا أيّها الحضور أنّ الإيثارَ خيرُ دِثارٍ، وأفضلُ شعارٍ، ودليلٌ على رسوخ الإيمان، والثّقة بما عند الرّحمن، وهو علامةُ حُبِّ المَرْء لإخوانه، وبُرهان على سلامة النّفس من دَغْل الأثَرَة والجَشَع والأنانيّة. وتصوّروا قيمة هذه المَعاني التي يحمِلها الشّيخ (كيلالي) بما يُقدّمه للآخر من خِدْمات استحوذَ عليها بأفكاره في خدمَة الآخر، وهذه أعلى درجات الأَثَرَة، وكذلك قيل "إنّ المُحبّ وَصْفُه الإيثار، والمُدّعي طبعُه الاستئثار". هكذا يا حاج أنت، أنت المُحبُّ تتصدّق بما لك من كفايّة دون خصاصة، وخصاصة لا تشعر بها لنفقاتك الدّائمة، وهي ضمن أبواب الصّدقات الجاريات.

1كلمات حقّ في شيخنا المفضال: ماذا عساني أقول فيكم، هي كلمات حقّ أقولها من باب "وفي ذلك فليتنافس المتنافسون" يا سي كيلالي أنتَ أمّة ومن حرف كافك أستمدّ عبارات التّقدير، ورأيت أنّك جَمَعْتَ كراسات كثيرات، وكُتِبَتْ عليك وفيك كتاباتٌ كعلاماتِ كفالة بها كشْفُ كراماتِ كُبّارِ مُنتجي كلام كوكبنا وأنتَ في

كشافات كلماتك تُدوّنها في كبرياء كسرتنا وكفايتنا؛ كمشجّعٍ وكمحامٍ غرضه فتح كواليس كيمياء صناعة كشف كعكعات النّاجحين، وأنتَ لها، بما لك من كتيبة كسلاح العمل دون التّماهي في كُرسيّ الاصطلاء في كانون البرد بمفهوم ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ المائدة (24). فأنت والصّحبُ كشركاء اجتماعيين في الميدان، وقد كبرتم على كيل الخير كيلين، فأبقاكم الله كدليل اعتلاء كراسي كرامات كسْبكم في سِجِلّ الخالدين.

2-**حديث إلى الشّباب**: نريدكم أن تتنافسوا في من يكونُ الأفضلَ، ومَن يُقدّم الأجودَ، ومَن يُسارع في الفوز بأعلى نقطة، لتُصبحوا عظماءَ، وتصْنعوا التّاريخ؛ فالعَظَمَة ليست حَكِرًا على مُجتمع مُعيّن ولا زمن مُحدّد ولا أمّة واحدة ولا على أشخاص يمْتلكون صفات غير بشرية. إنّ العظمة مَسارٌ وبصْمَةٌ وأثرٌ تُبقي اسمَك في الخالدين، بما تنفع به النّاس، وعليك أن تعيَ أنّ الأعمال العظيمة تحتاج إلى عُظماء، وإلى جُهود عظيمة، وإلى أوقات أعظمَ.

وإنّه لا يُقْبَل النّجاحُ بسَفاسِف الأعمال والأقوال، ولا يرتضي بالوقت الضّائع، ولا يُجيز الأخلاقَ المُهترئة، ولا يُقِرّ بالكسالى ولا النّائمين ولا المُغفّلين ولا الجَهَلَة... ولا بدّ مِن اجتياز شهادة العُبور؛ وهي شهادة الحصول على الإيجابيات وسط التّحدّيات، لتنال الصّدارةَ بل التّميّزَ، وبِقَدْر عظمةِ أهدافِك بقدْر عظمةِ نجاحِك، فمَن يَعِشْ لغيره يحيا أبدَ الدّهر. ولذا أيّها الشّاب، أيّها التّلميذ، أيّها الطّالب ارتفعْ بأهدافك، وابتعدْ عن السّفاسف؛ كي تَعْظُمَ بعملك وجَهْدِك، وتعْظُم بنجاحك وتميّزك. وكيف الذين كانوا قبلك عُظماء؟ لم يكونوا ليكون عظماء إلاّ بِمَسار عظيم للعظماء، وقد تركوا الأثر، ولم يكن ذلك إلاّ بعد المُعاناة والإصرار، وبقيت بَصْماتُهم حاضرةً؛ فهذا (تاكيو أوساهيرا) نَقَلَ الخطوةَ الأولى من الحضارة الأوروبيّة إلى اليابان، وأقلعت بلده إلى النّانوتكنولوجي، وهذا (بقي بن مُخلّد الأندلسي) نقلَ خطوةَ الجغرافيّة فاكتشفوا بها أمريكا، وهذا (توماس أديسون) بخطواته المُتعثّرة الكثيرة، ولكنّه في النّهاية أضاء العالم.

هي علامات النّجاح التي جاءت بجَهْدٍ كبير. أيّها الشّباب يا أصحاب الشّرف الذي تنالونه اليوم؛ بما لكم مِن صَبْر وحِلْمٍ ومُعاناة لمّا تستسلموا، فَهُبوا معًا لكتابة خطوات الوصول، وخُطوا معًا خطوات النّجاح، وارفَعوا راياتِ السّؤدد، فأنتم الحاضرُ والمُستقبلُ، وأنتم الخليفةُ في الأرض.

3-النّجاح المدرسي: أيّها المُتمدرس، أريدك أن تكون ابنَ عَصْرك ومِصْرك بما يُمْكن أن تبدأ في تحقيقه مِن مَسارك الدّراسي، ومِن احتذاء مَنازل الرّقيّ التّصاعديّ نحو النّجاح الذي تخطّط له وتصنعه مِن قائمة اختياراتك، وعليك أن تُحبّ الدّراسة لكي تنالَ المراد، وتعملَ ضمن المَباحات التي تُوفّرها الأسرة والمَدرسة والمُجتمع، وتكونَ عضوًا فاعلًا مُحفّزًا مُساعدًا مُعاونًا في مَفاتيح النّجاح المدرسيّ، بالتّفاني الكافي للدّراسة والمُرونة التي تُبْديها للمُعلّمين والمَسؤولين والمُشرفين التّربويّين. ومن الضّروريّ الانفتاح على كثرة القراءة والاطلاع على المَعارف العالميّة لتغذية الدّماغ وتنظيم الوقت. وما نوصي به أبناءنا هو رَفْعُ التّحدّي بأن يكونوا ويكونوا لينقل رسالة السّلف الصّالح إلى الخَلَف الطّافح، وبذلك نكون –نحن الكبار-على اطمئنان بأنّ الجزائر في أيدٍ آمنة، ونُغادر ونحن نحمل التّفاؤل بنجاح أخْلافِنا.

4-إيّاكم ومُثبطات الفَشَل: كثير من النّجاحات لم تكن لتحصل لولا الفَشَل الذي حاقَ بها، ولكم العِبرة في العُظماء الأمْوات وهم أحْياء، وأعْلموا أنّ مَحطّة النّجاح الأولى هي الفَشَل، وهي شُحنة الدّفع والدّفق العالي الذي يُوَلّدُ العزيمةَ فاشتدّي أزمةٌ تنفرجي، والعِبرة أنّ (وينستون تشرشل) فَشِل في الصّف السّادس الابتدائي، وفَشِل في جميع مُحاولاته ومُبادراته، ولم يفشَل في تقلّد مَنْصِبٍ سياسِيٍّ وأصبح رئيس وزراء بريطانيا؛ وكان عمرُه اثنين وستين (62) سنة. وأنّ (إسحاق نيوتن) فَشِل في ادارة مَزْرعة العائلة، ولكنّه دخل الجامعةَ، وأصبح عالمًا في الفيزياء. **فما السّر في هذا النّجاح؟**

5-سرّ النّجاح: إنّ النّجاح هو الاستخدام الأمثل للطّاقات المُمْكنة؛ بغرض تحقيق الأهداف، ولا يكفي هذا، بل هناك مُستكملاتُه التي تعود إلى الإصرار على

النّجاح مَهْما كان الثّمنُ مُكلفًا، وما يتبع ذلك من التِزام، واحترام المَواعيد والانضباط، وعدم التّأجيل أو التّأخير، والبدء بإصلاح النّفس، والأخذ بأسباب النّجاح، والاعتياد على الهُدوء، والعمَل ضمن شروط الرّاحة النّفسيّة، والابتعاد عن الأشخاص السّلبيين. إنّ النّجاح قد يكون صناعةً جماعيّةً، ولكنّه في الأصل صناعةٌ فَرْديّةٌ. وعندما يكون للفرد هدفٌ، وسُلّمُ الحاجات، سيأتي الدّافع الذي يدفع للاستمرار والتّقدّم وإحراز النّجاح، وبذلك، فالإصرار والدّافعيّة هما الشّرطان اللازمان لتحقيق النّجاح، وهما المُبعدان للفَشَل. وإنّه لا بدّ من التّفكير الإيجابيّ الذي يعمل على تطوير الذّات، من خلال الرّغبة المُلحّة في تحسين الوعي الذّاتيّ تحسين العِلْم الذّاتيّ، وتحسين المَهارات، وتطوير القوّة والمَواهب، وتحسين الإمْكانيّات، وبناء فُرَص العمَل مع تحسين نمط الحياة والصّحة، وما يتبع ذلك من التّعرّف على نُقاط ضَعْفِنا؛ لنقوم بتصحيحها أو تعديلها أو مَسْحها، ومن ثمّ استبدالها بما هو أحسن، وكلّما زاد الشّاب من تطوير نفسه علا مَركزُه في المُجتمع، وأصبح أفضلَ.

6-ما قبل الخاتمة: يجب أن تَعْلَمَ أيّها الشّابُ أنّ النّجاح وليدُ الإرادة القويّة ولا يمكن للشّاب أن يصل الى حديقة النّجاح دون أن يَمُرّ بِمَحَطّات التّعب والفَشَل واليأس، ولكنّ صاحبَ الارادة القويّة لا يُطيل الوقوفَ في هذه المَحَطّات؛ لأنّ آفاقه أبعد من أَرْنَبَة أنفه. وكما يجب العلمُ أنّ الإرادة هي التّغيير الإيجابيّ التي تجعلك تمضي قُدمًا لتحقيق الهدف، وهي التي تضمن لك سدَّ فجْوة الفَشَل.

فاستثمرْ في نفسك دون تبختر وتعالٍ، وتحكّمْ في تصرّفاتك في اللحظات الصّعبة واجعلْ لك أهدافًا أصغر ضمن الهدف الأكبر. إنّها القدرة التي تجعلك تُحقّق دوافعك وتُقاوم الإغراء، وفي ذات الوقت هي المَقدرة على إيجاد التّحفيز والطّاقة والمُدّة على التّحمل بشكل مُستمرّ.

ويجب الوعي بأنّ كلّ شيء في الحياة يستحقّ الحصول عليه يستحقّ العمل مِن أجله، والنّجاح غالبًا يأتي للذين يَقْدُمون على تأدية الأعمال بشجاعة، وإنّ النّجاح لا ينتهي، لكنّ الفَشَل ينتهي. فلا نريد أن تنتهوا إلى اليأس، حيث يُمكنكم الانتهاء

إلى الأمَل والمُستقبل المُغدق والمُشرق وإلى الغد الأفضل في بلدكم الحبيب الذي يجب أن تخدموه بعيونكم، بلدكم هو الأمَل، هو الحاضر والمُستقبل، هو الخبزُ والزّيتُ والقهوةُ والجلسةُ العائليّةُ. فأن نكون في بلدنا وإلاّ لا نكون، ولكنّنا نريد أن نكون بكم وبأمثالكم أجْمَعين وبالخيّرين أكْتَعين، وبمُنتجي الأفكار أبْصَعين، فكونوا أو لا تكونوا.

خاتمة شعريّة قصديّة: أختم كلمتي؛ وقد أُتيحت لي هذه الفرصة لألتقي المُستقبل المَنشود، مَع الشّباب المُتفوّق، لأقول لهم: لا يَغُرّنَّكم أنّ بلدانًا تُوفّر لكم ما وفّره لكم بلدكم، فالعِزّة لا تحصل لكم إلاّ في بلدكم، وعليكم المُغامرة في بلدكم؛ في فضل بنائه، وفي تحسين خدماته، وفي جبر خواطره، فكونوا فقراء في حبّه عاشقين لجماله، وقولوا ما قيل في حبّ الوطن:

عينــاكِ نهــر والجُفــون ضــفافٌ ❁ وأنــا المُتــيّم والهــوى أصنــــافُ
أبْحــرتُ في عينيــكِ دون درايــةٍ ❁ كيــف العبــورُ وخــانني المِجــدافُ

والشّعر يكثر وينمو ويتطاول في حبّ الوطن، فمن لا يحبّ وطنه لا حياة له:

ودِدتُ لــو زرعــوني فيــك مِأذنــةً ❁ أو علّقــوني علــى الأبــواب قِنــديلا
أنتِ النّساءُ جميعًا ما مِن امرأةٍ ❁ أحببــتُ بعْــدكِ إلاّ خِلْتُهــا كذبــــا

كونوا شبابَ العمل، فأنتم تملكون الحضور والظّهور، وارتقوا بالعلم المنظور وأعيدوا ترميم ذاكرة المُجتمع، واعمَلوا بقاعدة الاستباق بدل الانتظار، التّحالف بدل التّناصر، الذّكاء بدل الحيلة، الابتكار بدل الاحتكار، الاحتراف بدل الاحتراق، فكونوا أو لا تكونوا. والسّلام عليكم بما تكونون.

مُناسَبَةٌ وكَلِمَةٌ

استراتيجيّة المجلس الأعلى للّغة العربيّة

في تحقيق الأمن اللّغويّ*

الدّيباجة: سعدت بهذه الدّعوة الكريمة التي وُجّهت لي شخصيًّا في حضور هذه الأيّام الدّراسيّة ذات العلاقة بالمواطنيّة، وأرى أنّ مقاربة المجلس الأعلى للّغة العربيّة تصبّ في المواطنة اللغويّة والتي عملنا فيها على تقويم مسار تعميم استعمال العربيّة في مختلف مناحيّ الحياة، كما قدّمنا الكثير من المقترحات ذات العلاقة بالرصيد الجمعيّ والقاسم المشترك في اللّغة الذّاكرة الوطنيّة. وهكذا تقوم هذه المقاربة على تقديم بنود هذه الاستراتيجيّة التي تعمل على تحقيق الأمن اللغويّ في أبعادها الكبرى، مع تخطيط وطنيّ يعمل على تحقيق البُعد الوطنيّ والعربيّ، وفي إطار القوانين والنّصوص الوطنيّة ذات العلاقة بتخطيط سياسة وطنيّة نصّ عليها الدّستور الأوّل لدولة الاستقلال في المادة الثّالثة " اللغة العربيّة لغة رسميّة" وبقيت ذات المادّة راسخة مع مُتغيّرات إضافيّة في دساتير لاحقة على غرار "ينشأ لهذا الغرض مجلس أعلى للّغة العربيّة يعمل على ازدهار اللغة العربيّة ويعمل على تعميم العربيّة في العلوم والتّكنولوجيّة، والتّرجمة لهذه الغايّة" و"تظلّ العربيّة لغة الدّولة". كما أُضيفت الرّابعة في دستور 1996 "اللغة الأمازيغيّة لغة وطنيّة" وفي دستور 2020 "اللغة الأمازيغيّة لغة رسميّة". ومن خلال هذه المواد كان المجلس يعمل على تحقيق المَرجعيات الوطنيّة في إطار مَهامه المُخوّلة على تخطيط سياسة تربويّة، ذات المَرجعيّة الدّستوريّة، ووفق التّخطيط التّربويّ القائم على

* - الكلمة التي ألقاها رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة في الأيّام الدّراسيّة حول (المشاركة المواطنيّة في ظلّ التّحوّلات السّياسيّة والاقتصاديّة والسّوسيوثقافيّة في الجزائر: نحو مقاربة تشاركيّة مبنيّة على المواطنة) في المعهد الوطنيّ للدّراسات الاستراتيجيّة الشّاملة، أيّام 27-29 سبتمبر 2022م.

القوّة النّاعمة. وهذا ضمن المواطنة اللغويّة التي تعرفها العربيّة وِفْقَ آليات المُتغيّرات على غرار تعهّدات الأربع والخمسين (45) لبرنامج رئيس الجمهوريّة (عبد المجيد تبّون) والتي يمكن أن تحقّق ما له علاقة بالمواطنة اللغويّة والثّقافيّة هي:

1. إصلاحٌ شاملٌ للدّولة بكلّ فُروعها ومُؤسّسات الجُمهوريّة.

2. تأكيدُ وتعزيز مُكوّنات الهُويّة الوطنيّة (الإسلام والعُروبة والمازيغيّة).

3. تطويرُ الإنتاج الفكريّ والثّقافيّ والفنّي لخدمة النّمو الاقتصاديّ.

4. تحقيقُ تحوّلٍ رقميٍّ لتحسين الاتّصال.

5. إنشاءُ شبكة وطنيّة لِجَمْع المَعلومات الإحصائيّة.

6. جعْلُ المدرسة إطارًا للتّربيّة والإيقاظ الفكريّ للتّلاميذ.

7. مُواءمةُ برامج التّكوين بما في ذلك مُعالجة مُشكل تغيير اللّغة من مستوى إلى آخر.

8. تشجيعُ تعليم المواد العلميّة والتّقنيّة والتّكنولوجيّة في الثّانويات ومراكز التّكوين المِهْنيّ.

9. جَعْلُ التّكوين المِهْني وسيلةً لترقيّة فُرَص تشغيل الشّباب، وتفعيل المقاولاتيّة في منظومة (Startup)، وتحريكِ الاقتصاد والإنتاج الوطنيّ.

10. جَعْلُ الجامعة إطارًا للتّعليم والتّنميّة والإبداع.

11. تعزيزُ الثّقافة والأنشطة الثّقافيّة.

أوّلًا: ركائز استراتيجيّة المجلس في تجسيد المرجعيّة اللغويّة التي نصّ عليها الدّستور: تقوم على تخطيط لغويّ يعتمد الآتي:

1. التّخطيط على الآماد الثّلاث:

1/1. المَدى السّريع: ويُعالج الحالات المُستعجلة، أو الحالات العالقّة التي تستدعي سرعة العلاج؛ ويكون هذا على مُستوى علاج الحالات ذات العلاقة برؤيّة

لغويّة مُعالجة لأخطاء، أو النّطر في الكتاب المرجعيّ المدرسيّ، أو في علاج حالة لغويّة مرجعيّة تتطلّب سرعة النّظر والإفتاء، على غرار إدخال الإنكليزيّة لغة أجنبيّة في المرحلة القاعديّة هذه السّنة. ومدّة هذا المدى لا تتجاوز سنتين (2) ويكون التّجسيد موافقًا للخطّة التي رامها المجلس في تحقيق المسار السّياسيّ أو التّربويّ وفق النّصوص القانونيّة.

2/1. المَدى المُتوسّط: ويكون فيها التّخطيط عن مَراحل الإشباع اللغويّ وتمكين المُستعمل للّغة من بلوغ أهداف التّواصل اللغويّ، وإنتاج الكتاب المدرسيّ وفق المَراحل الكاملة، مع سيرورة مرحليّة لأطوار التّعليم والتّكوين، وكلّ ما له علاقة بمنظومة التّربيّة والتّعليم العامّ والجامعيّ، وملحقات المنظومة التّربويّة كاملة. ومدّة المرحلة بين خمس (5) سنوات إلى خمس عشرة (15) سنة كأقصى تقدير.

3/1. المدى الطّويل: تعالج فيها اللغة كوسيط عالميّ؛ يكون لها موقع في الاستعمال العامّ وفي كلّ المواقعَ، إضافة إلى دورها العالميّ في وسائل التّواصل الاجتماعيّ، وفي مختلف الوكالات العالميّة، وفي المُنظّمات الدّوليّة، وموقعها خارج الفِطْرِيين، وخارج الدّول العربيّة وفي منظومتها العالميّة باعتبارها القطب الثّانيّ بعد الإنكليزيّة. وهذه المدّة تستدعي التّخطيط للجيل وعلى أقصى تقدير خمس وعشرين (25) سنة.

ثانيًا: المواطنة اللغويّة: تثير هذه المقاربة أثر المواطنة اللغويّة وهي أساس التّطوّر الثّقافيّ والاجتماعيّ، والاعتراف المتبادل بيننا وبين من يختلف عنا في مجتمع تبنيه ثقافات ولغات متبايّنة يكون الاعتراف بها وبينها لبّ التّعايش في المجتمع بمختلف مُكوّناته.

وقد تكون الفكرة في وقتنا الحالي في مرحلة البناء فإنّها تعدّ ضروريّة لأسباب جيوسياسيّة (العولمة) وأخرى داخليّة ومَحليّة (الهويّة) ونحتاج إلى عمل كبير تتضافر فيه قوى كلّ الأطراف، ومُكوّنات المُجتمع لتجسيد مواطنة الحوار وقبول الآخر وفق رُؤى حضاريّة تؤدّي إلى الوعي اللغويّ لا إلى الفرض أو الشّرط، وفق

مقتضى الأهداف الجامعة، والمرجعيّات الوطنيّة والحضاريّة والتّاريخيّة. ومن مُسلّمات تجمعنا في اللّغة العربيّة المُشتركة، وهي قسيمنا المُختار من قبل الأجداد، بل إنّه اختيار استراتيجيّ مرن، حيث الأمازيغيّون تعربوا وبقوا على مُزوغتهم، والعرب تمزّغوا وحافظوا على عُروبتهم وكان من وراء ذلك الانصهار والتّكامل في منظومة الانسجام الجمعيّ.

وهنا يفرض علينا الواقع التّعامل مع العربيّة والمازيغيّة كوسيلتيْن يجدر بنا استثمارهما في تحقيق التّنميّة الشّاملة، ورفع الوعي بالتّاريخ الوطنيّ بصفته حصنًا منيعًا يحافظ على الشّخصيّة الوطنيّة، ويطورّها في عالم أصبح فيه الغزو اللغويّ حقيقة تعاني منه الشّعوب الهشّة لغويًا. ولهذا نرى مجموعة من التّحدّيات تحيط بالمُواطنة اللغويّة، وترتبط بجملة مُشكلات اجتماعيّة لسانيّة، وكان علينا التّوافق البينيّ في التّخاطب والتّواصل؛ لأنّ تأسيس اللّغة يرجع إلى المجتمع والإنسان ووظيفتها الأساسيّة التّخاطب، والتّواصل الاجتماعيّ، لذلك فإنّ اللغة تصنع الهُويّة وتشكّلها مُرتكزًا من مُرتكزاتها، فأفعال اللّغة هي أفعال الهُويّة على غرار قول (فلوريان كولماس).

وفي ظلّ أفعال العولمة، هناك حاجة ملحّة لتعزيز قيم المواطنة اللغويّة والأمن اللغويّ على المستوى الوطنيّ، بتعزيز قيَم الهُويّة الثّقافيّة بتخطيط سليم لمواجهة المَخاطر التي تهدّد سلامة اللغة العربيّة وحمايتها من الاندثار والضّياع في ظلّ الفوضى اللغويّة، والعمل على رسم سياسة لغويّة للمازيغيّات من أجل التّرقيّ.

وبالنّسبة للعربيّة؛ فإنّ المجلس الأعلى يُسهم بما تقرّر من السّلطة في أهميّة تعزيز المُواطنة اللغويّة وحمايّة اللّغة العربيّة بإلزام كلّ المؤسّسات باستخدامها رسميًّا، وإدراجها في نصوصها القانونيّة، فقد نصّ النّظام الأساسيّ للدّولة في المادّة الثّالثة (3) على أنّ اللّغة الرّسميّة هي اللغة العربيّة، وبالتّالي فإنّ أغلب الإدارات العامّة والقضاء تستخدم اللغة العربيّة في مُعاملاتها. ولكن هذه السّياسة ما تزال لم تنفّذ بالشّكل المطلوب في المؤسّسات الأخرى. ولهذا فإنّ التّخطيط اللّغويّ الواضح سيُسهم في بناء مواطنة لغويّة وحمايّة العربيّة، بالإضافة إلى استخدامها

في المؤسّسات التّعليميّة، واستحداث مراكز للتّرجمة، وتنظيم استخدامها في المؤسّسات والشّركات العامّة والخاصّة وفق معايير مُحدّدة، ومُقتضيات فقه اللغة. كما أنّ من مُقوّمات المُواطنة لا ضير في وجود لغتين وطنيّتين، فبالتّحاور تُحقّقان الانسجام، وبتحديث الوظائف يحصل التّكامل والمهمّ معرفة قدرة اللغتين أو أكثر في تمتين الرّباط الاجتماعيّ؛ باعتبار التّعدّد اللغويّ قيمة مضافة، وإجادة اللغتين ولاء للأمّة والوطن والمجتمع.

وإنّ الاهتمام بالمواطنة اللغويّة لأمْرٌ جلل وعلينا إيلاء العنايّة بها مثلما نعتني بأمورنا الخاصّة، وهذا ما يؤدّي بنا إلى بناء ثقافتنا المشتركة، وهي أسّ من أُسس مُستقبل اللّغة العربيّة، ونقلها سليمة إلى أجيالنا القادمة. ومن الضّروريّ كذلك تجسيد المواطنة اللغويّة عبر إعادة النّظر في مناهجنا التّربويّة وفي سلوكنا وتعاملنا، وهذا يستوجب اهتمام المدرسة بإشباع المواطنة اللغويّة وثقافة الوطنيّ، إشباعًا وقدوة وتطبيقًا، إضافة إلى السّلوك الجمعيّ وبكلّ أدواته المُمكنة. أرشي

ثالثًا: العمل على تجسيد المَرجِعيّات الوطنيّة: يحرص المجلس الأعلى للّغة العربيّة على تجسيد مَلْمَح الفرد الجزائريّ في شخصيّته وهُويّته اللغويّة، وفي انتمائه العربيّ الإسلاميّ والحضاريّ الشّرقيّ، وفي مختلف أعرافه، ومرجعيّاته التّاريخيّة والحضاريّة والوطنيّة، وفي بياناته الكبيرة على غرار بيان أوّل نوفمبر وأرضيّة الصّومام، ومواد الدّستور، ومُراعاة مُختلف المُتغيّرات، بقوّة القانون؛ واحترام اللّغة من احترام القانون. ونظرًا لمقام المجلس في استشارته؛ فإنّه يعمل بالقوّة النّاعمة مع مُختلف الشّركاء الاجتماعيين على تجسيد هذا الحرص بما يُنتجه من أفكار يُقدّمها لصاحب القرار على غرار (**مَشروع مَنظومة التّربيّة والتّعليم والتّكوين للجزائر الجديدة**).

رابعًا: منهجيّة الاستراتيجيّة: بُنيت على القوّة النّاعمة، لما لها من تأثير ومنتوج مقبول ودلّتنا التّجارب النّاجحة أنّها الأقرب إلى القبول، فبدل الأوامر علينا تقديم البدائل واقتراح الحلول والمطالبة بأداء الواجب قبل طلب الحقوق. هي منهجيّة أتت أكلَها عبر التّعامل مع الباحثين المُتطوّعين بإنتاج الأدلّة والقواميس والكتب

المنهجيّة التي تطوّر العربيّة، وصولًا إلى المطالبة بتجسيد المطلوب. فبدل أن نقول ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ المائدة (24).

نقول: هنا المنتوج المطلوب في مُختلف المَجالات، ولا حجّة مقبولة في عدم التّطبيق عندما يكون الاقتراح مصحوبًا بالحلول. هي منهجيّة نعتمدها بدل التّعزيز او النّدب اللغويّ، والبكاء على الماضيّ المُغدق، وعلى الحاضر غير المُشرق، فَلِمَ لا نكون رجالًا للمحافظة على اللغة التي تجمعنا وهي أسّ بناء حاضرنا ومستقبلنا. وقد نجح أجدادنا وكسبوا ودّ العالم، وكانوا الأسياد في خدمة التّقارب والأخذ والعطاء وبنوا الحضارة العربيّة الإسلاميّة الشّرقيّة، فهل نعجز في وقتنا الذي يتوفّر على كلّ وسائل النّجاح وتنقصنا المُبادرات، فتعالِ نبادر بالقوّة النّاعمة، وكسبنا ودّ المستعمل، ورضينا بالنّجاح النّسبيّ الذي جَعَلَ العربيّة تنال مقامات عبر مراحل التّطوير والمطر أوّله قطر ثمّ ينهمر.

خامسًا: رصد الواقع، واستشراف المُستقبل: يعمل المَجلس على رصد الواقع بكلّ ما يستكنِهُهُ من أفكار، وما يرصد من استعمال، وما يستخلصه من ملتقيات وندوات، وما يصله من أهل الرّأي والمشورة، ويخضعها للدّراسة والتّحليل، ويأخذ زبدة ما يراه صالحًا لاختصاصه يكون محلّ اقتراح في برامجه السّنويّة، كما يكون خلاصة أفكار تقدّم في التّقرير السّنويّ للسّيد رئيس الجمهوريّة. وهذا الرّصد جعل المجلسَ يتعامل مع مُختلف الوزارات والمُنظّمات، ومع المُجتمع المَدنيّ في إهداء النّقائص، وتقديم للعلاج، بوصفة علميّة وبمرجعيّة فقهيّة؛ مُستكنَهَة من المَصادر والمَراجع، ومن القرارات العلميّة التي تأتينا من اتّحاد المجامع اللغويّة ومن المنظّمات التي ننتمي إليها: اليونسكو+ الألكسو+ الإسيسكو.

وأمّا الاستشراف فهي مُسلّمات العمل العلميّ الذي يقوم به المجلس انطلاقًا من الحاضر، وصولًا إلى المُستقبل، وهذا باعتماد خريطة استباقيّة لمَقام اللغات، ومَوْقع العربيّة من خلال تبادل المَصالح اللسانيّة مع اللغات الأُمَمِيّة، ومع اللغات الشّرقيّة، وهذا لتجسيد سلوك حوار اللغات؛ وهو حوار الحضارات، وهو الأخذ

والعطاء، وهذا مطلوب منّا لجعْل العربيّة الفصيحةَ تنال مَوقعَها العلميّ والعالميّ، وتسدُّ الثّغراتِ التي تُعانيها في مَجال الرّقمنة.

سادسًا: اللّغة وضع واستعمال: تنصّ كلّ الدّراسات والتّجارب العالميّة النّاجحة أنّ أيّة لغة مرتبطة بمدى ما يكون لها من اتّساق مفاهيميّ، ومنطق طبيعيّ ومحتوى أدبيّ في المقام الأوّل، ومن حمولة تنتقل من الأجداد إلى الأحفاد، عبر استعمال مَدرسيّ وإعلاميّ وعلميّ ومُجتمعيّ. وهذا ما تعرفه العربيّة في مقاماتها الانقباضيّة، أو في خطابات الأُنس.

وهنا الفجوة التي يمكن العمل على ردمها في التّقريب بين المكتوب والمسموع، بين لغة العامّة ولغة الأدباء. ويسعى المجلس الأعلى على ضوء المَنتوج المفعّل لردم الفجوة، وتقريب اللغة العربيّة في استعمالها المُرتبط بالتّجسيد الفعليّ، وهذا من مُتطلّبات المُجتمع عندما تُمحى أمّيتهُ في لاحقٍ من الزّمان. ولكن لا نعدم ذلك التّقارب المَلْمُوس في لغة الإعلام والمَدرسة والإدارة، وهي ظاهرة تتمثّل الآن في اللغة البيضاء التي نراها تُسَوَّقُ عبر وسائل التّواصل الاجتماعيّ، والهُجْنة التي تعرفها، ويمكن للمُختصّين أن يُرافقوا تلك الحالات اللغويّة التي تحمل الحوادث اللسانيّة عبر حوارات بنّاءة لمُستقبل استعمال العربيّة في الفضاء الافتراضيّ، وعبر برامج تصحيحيّة على غرار (صَحِّحْ لغتَك) (لغتُنا الجميلة) (قلْ ولا تقلْ) (حديقةُ النّحو)... علمًا بأنّ العربيّة لا تحتاج إلى شُرطة، ولا إلى تقريع، تحتاج إلى تحبيبها والتّرغيب فيها، وإلى بناء أرضيّات مَعرفيّة في ديداكتيكا اللغات، وإلى تمكينها، فهي ليست عاجزة، بل تدعونا إلى فتح المَجال لها، ورمْيها إلى الشّباب فهم يُطوّروها، وهي مِن المَنهجيات التي تتطلّب منّا الاستثمار في منظومة التّربيّة والتّعليم.

سابعًا: التّعامل العلميّ مع خرائط اللّغة في المُستقبل: لدينا دراسات مُستقبليّة على خرائط لغويّة قادمة يكون فيها تغيير لمَقام اللغات أُمَميًّا وحضاريًّا، وهناك خريطة سريعة في 2026 وخريطة لغويّة في 2036، وخريطة ثالثة في 2046م فماذا أعددنا لنكون بلغتنا في كوليرا اللغات الذي يأتي على اللغات الهشّة، والتي لا تنتقل، أو اللغات التي بدأت تعرف التّهيئة؟

إنّ المجلس رفع التّحدّي بوضع آليات تطوير اللّغة العربيّة بما ينتجه مِن مُحتوى رقميّ مُعاصر وبما يَقتضيه عالمُ الحَوْسَبة، كما نرى تَحدّيه في دخول مرَحلة الحوسبة السّحابيّة، وخوضه غمار (OCR)(Optical Character Cognition) في القراءات النّصيّة للنّصوص المصوّرة، ربحًا للوقت والجهد، وما تقتضيه العربيّة من العيش ضمن هذا المَخاض لخصوصياتها الفقهيّة، ومَتْنِها الضّخم والكبير؛ والذي لا يعالج إلاّ بالتّماهي في العلاج الآلي للّغة العربيّة، بكلّ مُقتضيات الذّكاء الصّناعيّ.

وإنّ المجلس الأعلى للّغة العربيّة يُنتج التّطبيقات النّاطقة، كما يضع المِنصّات الرّقميّة بصفر خطأ، ويستعمل الطّريقة الكوريّة في نسبيّة المَنتوج اللغويّ السّنويّ؛ وصولًا إلى إنتاج مُحرّك بحث عربيّ مئة في المئة. ولهذا دلّتنا الدّراسات المُستقبليّة بأنّ العربيّة من خلال الخرائط القادمة سوف تعرف نزولًا في مَراتبها الأُمَميّة، وقد تنزل من النّافذّة الخامسة إلى الرّابعة أو الثّالثة، وتبقى من اللغات التي لا تتأثّر بِمَرَض الانقراض أو ما يُسمّى (كوليرًا اللغات).

وبدأت الشّعوب تُترجم تراثَها إلى العربيّة لأنّه سوف يكتب لها البقاء، ومع ذلك لا يمكن التّعويل على الافتراض الذي سوف يتحقّق الجزء منه ولكن هل يتحقّق الكلّ. يمكن أن يتحقّق بتضافر جهود الجميع في خدمة اللغة العربيّة الفصحى وهي التي تجمَعنا باعتبارها لغة جامِعة ولغة الحضارة، ولغة قبلها أجدادنا بقبولهم للدّين الإسلاميّ الذي حماها وحافظ عليها مدى الزّمان، وتبقى خالدة بسدنتها ووصيفاتها. ونزعم أنّنا من هذا القوم بما نُقدّمها لها من مُحتوى يعلو بها إلى المَقامات العُلا.

الخاتمة: هي مقاربة المجلس الحاملة لاستراتيجيّة مرتبطة بالجانب السّياسيّ الوطني وبكلّ التّحوّلات المُجتمعيّة، وهي دعوة تشاركيّة لمن يُهِمُّه الأمرُ في أن نتداعى لشراكات بينيّة تكون وفق قاعدة تبادل المصالح المرسلة؛ لنصل إلى المُشترك الذي يجمَعنا بمَنهجيّات مُتباينة، ولكنّ الهدف واحد في النّهاية.

وبوركت خطواتُ العاملين على الشّأن العامّ، وأنتم منهم، وأضع نقطةً في هذه الخاتمة لأقول: تعالِ للمُشترك اللغويّ الذي يجعل منّا وجودًا؛ لأنّه **لم يثبت أنّ أمّة في العالم ارتقت بغير لغتها، ولم يثبت أنّ التّنميّة المُستديمة في أيّ بلد عُوملت وعُولجت بغير لغة البلد، وخُصوصيّة مُجتمع ذلك البلد**، فلا يمكن أن نأتي بثقافة بلد ونطبّقها على بلد له خُصوصيّة غير توافقيّة، فهل نعتبر؟! وإن فعلنا هذا فإنّه يمكن تعطيل حركة النّمو الاجتماعيّ الذي لا تظهر فيه الرّفاهيّة العامّة إلاّ بالمشترك اللّغويّ. وأشكر لكم دعوتكم، دامت جهودُكم مائزةً، والسّلام عليكم.